

# تفسير الثقلين

تأليف  
سمحة آية الله المعظم المولى  
الحاج ميرزا عبد الرسول الحائري الاحقائي

المجلد الأول

منشورات  
مكتبة الإمام الصادق العامة  
جامع الإمام الصادق الكويت

تفسير التفصيل

الأوحد

موقع الأوحد  
Awhad.com



# تفسير الثقلين

شرح حديث الثقلين

تفسير سورة الفاتحة

تفسير سورة الإخلاص

المجلد الأول

نألف

سماحة آية الله المعظم المولى

الحاج ميرزا عبد الرسول الحائري الاحقائي

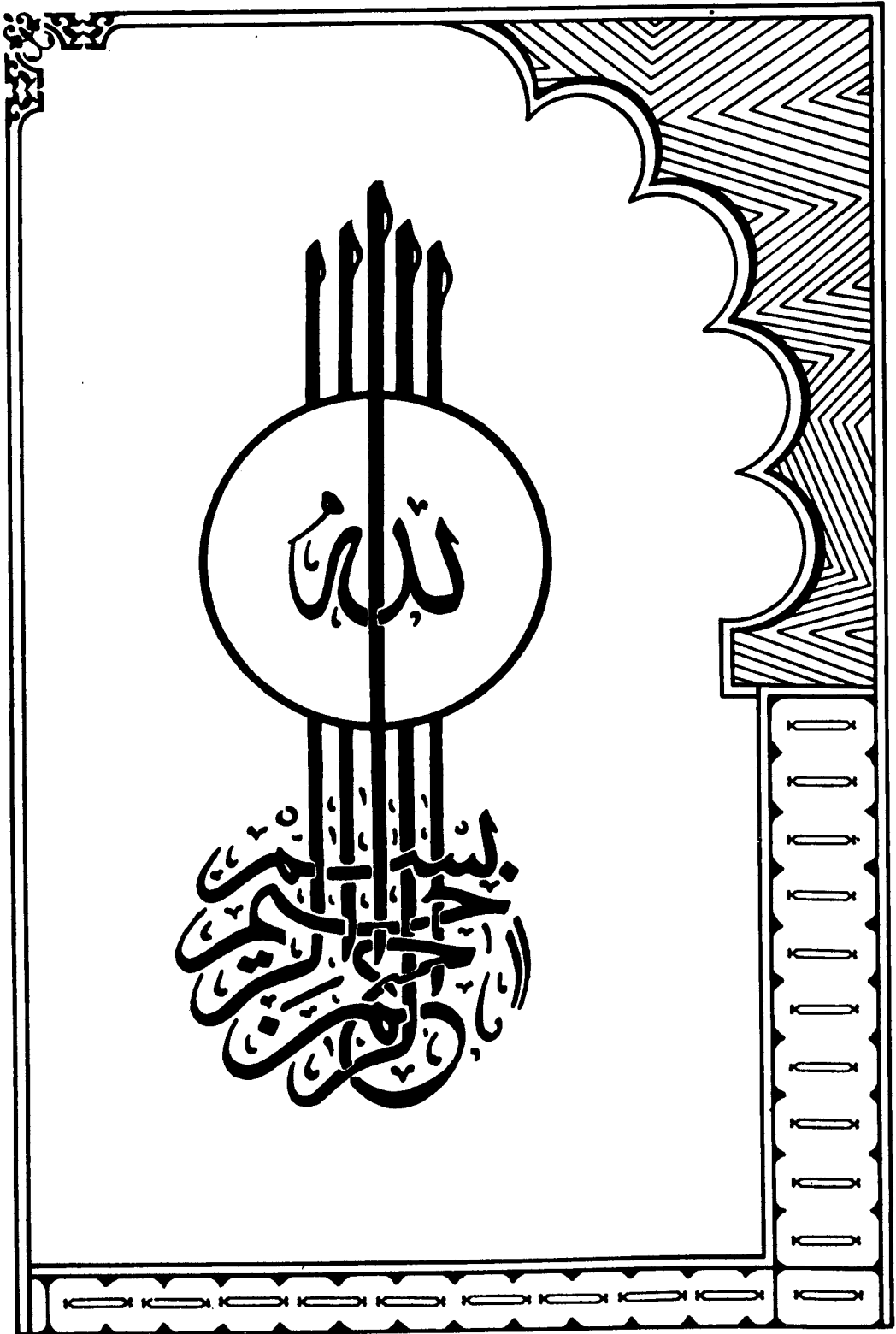
منشورات

مكتبة الإمام الصادق العامة

جامع الإمام الصادق الكويت

اسم الكتاب : تفسير الثقلين  
المؤلف : سماحة آية الله العظمى المولى  
الحاج ميرزا عبد الرسول الحائري الاحقائي  
الطبعة : الاولى - بيروت - لبنان  
التاريخ : ١٤١٥ هجرية / ١٩٩٤ ميلادية

حقوق الطبع محفوظة



ذکر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



قال رسول الله عليه وآله وسلم

عَلَى مَعَ الْقَبْرِ لَيْسَ وَالْقَبْرِ لَيْسَ مَعَ عَلِيٍّ

أَمَّا الشَّيْخُ، مَنَاقِبُ الْخَوَارِزْمِيِّ، الْحَمَوِيِّ  
رَبِيعُ الْأَبْرَارِ لِلرَّمْضِيِّ





عَنْ أُمِّ سَكَمَةَ قَالَتْ  
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَالصَّلَاةُ  
فِي مَرَضِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ يَقُولُ  
« وَقَدْ مَاتَ الْحَجْرَةَ مِنْ أَصْحَابِهِ »

أَيُّهَا النَّاسُ يُوشِكُ أَنْ أَقْبِضَ قَبْضًا سَرِيحًا  
فَيَنْطَلِقُ بِي وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ الْقَوْلَ مَعْذِرَةً إِلَيْكُمْ  
أَلَا إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِترتي أَهْلَ  
بَيْتِي ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي عَلَيَّ فَرَفَعَهَا فَقَالَ : هَذَا عَلَيُّ  
مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ خَلِيفَتَانِ بَصِيرَانِ  
لَا يَفْتَرَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ

« أمالي الشيخ »

ص : ٤٩١



# لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

الَّذِينَ \* يَا وَالِدِي الْجَمِيلِ .

الَّذِينَ \* يَا مُعْتَمِرِي الْأَوَّلِ .

الَّذِينَ \* يَا مَنْ تَوَجَّتْ رَأْسِي بِالْقُدْرَانِ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ حَيَاتِي

الَّذِينَ \* يَا مَنْ أَنْشَدْتَ بِصَوْنِكَ الْمَلَكُوتِي نِعْمَةَ الْوِلَايَةِ فَلَنْفَقَهَا

شِغَافَ قَلْبِي

الَّذِينَ \* يَا مَنْ وَضَعْتَ الْقَلَمَ فِي يَدِي وَفَتَحْتَ أَمَايْمِي سِفْرَ الْحَبِيبَةِ

وَالْيَوْمَ بَعْدَ أَنْ مَنَحَ الرَّبُّ الْكِرَامَ هَذَا الْعَبْدَ الذَّلِيلَ عُمْرًا وَتَوْفِيقًا

وَبَعْدَ سِنِينَ طَوِيلَةٍ ، وَقَبْلَ أَنْ أَنْقَلَ إِلَى مَكَرِّي الدَّائِمِ أَكْبُرُ

بِذَلِكَ الْقَتْلِ « تَفْسِيرُ الثَّقَلَيْنِ » مُودِيًا هَاتَيْنِ الْأَمَانَتَيْنِ الْعَظِيمَتَيْنِ

وَاقْدَمَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ .

رَبُّنَا الْأَبْنَاءِ الَّذِينَ \* لَمْ تَعِشْ فِي حَيَاتِكَ الْمُبَارَكَةَ غَيْرَ « الْفَرَّانِ وَالْمُهَلِّينِ »

وَاعْلَمْ أَنِّي فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلِ الْمُنْبَقِيَةِ مِنْ حَيَاتِي وَفِي حَيَاتِي بَعْدَ

مَمَاتِي أَعِشُ دَائِمًا فِي شِعَاعِ هُدْيِ النُّورِ الْخَالِدِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

تَعَالَى



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَقْلُهُمْ

سَمَاحَةُ الْمَرْجِعِ الْعَظِيمِ الْإِمَامِ الْمُصَلِّحِ  
الْحَاجِّ مَيْرَزَادِ حَيْثُ الْخَائِزِيِّ الْإِحْقَاقِيِّ

الحمد لله الذي فضل العلماء على سائر عباده فضل الشمس على الكواكب، وجعل تفاضلهم بقدر استقامتهم على الطريقة وتحملهم من الآثار والمراتب، ورجح مدادهم على دماء الشهداء المجاهدين، كما فضل المجاهدين على القاعدين.

والصلاة والسلام على معلم العالم وأشرف أولاد آدم وخاتم الأنبياء وقائد الأمم محمد سيد العرب والعجم وعلى أهل بيته معادن المعارف والحكم ومصابيح الظلم وأولياء النعم. ولعنة الله على أعدائهم ومخالفهم ومنكريهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

وبعد، كنت قد اطلعت على تفاسير كثيرة حررها عدد من العلماء الأعلام والمفسرين الكرام أورد فيها كل منهم أخباراً وروايات عن أهل بيت العصمة عليهم السلام واجتهادات عقلية بمقدار علمه واطلاعه - أعلى الله مقامهم - ولكنني بعد أن قرأت وبدقة تفسير سورتي

«الحمد وقل هو الله أحد» المباركتين من تفسير الثقلين لولدي وقرة عيني ونور بصري وثمره فؤادي وأرشد أولادي ذخري وذخيرتي في حياتي وبعد مماتي حجة الإسلام صاحب الرأي والاجتهاد وجامع المعقول والمنقول الحكيم الإلهي الحاج الميرزا عبد الرسول الإحقاقي زاد الله في توفيقاته، وجدته تفسيراً جامعاً وممتازاً لا نظير له ولا يقاس بالتفاسير السطحية، ولا عجب فمؤلفه العالم الأوحى المتبحر والحاوي باتقان لغالب العلوم القديمة والجديدة.

وقد تعلم الحكمة الإلهية بما يوافق نهج أئمة الهدى عليهم الصلاة والسلام وكان محيطاً إحاطة تامة بمصطلحاتهم وقد ألف كتباً قيمة عديدة في هذا المجال مثل كتاب «الولاية: بحث حول الولاية من وحي القرآن»، وغيره.

أسأل الله جل وعلا أن يزيد في توفيقاته ليتم تفسير كامل القرآن الكريم فيكون له من الباقيات الصالحات فيورثه سعادة الدنيا والآخرة ويكون محل استفادة المؤمنين والمؤمنات، آمين بحق محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

حَسْبُكَ بَنُ مَوْسَى بَنُ مُحَمَّدٍ بَنُ بَاقِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ

الْحَازِمِيِّ الْإِجْتِبَائِيِّ الشَّكُونِيِّ

الحمد لله

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## نقريظ

سِمَاةُ الإِمَامِ آيَةَ اللَّهِ  
السَّيِّحِ مُحَمَّدِ مَهْدِي شَيْخِ الدِّينِ  
رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى  
لبنان

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله  
الطيبين الطاهرين.

أتوجه بالشكر إلى الله سبحانه وتعالى على نعمة الإسلام، وأتذكر  
قول الله سبحانه وتعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾. وهي نعمة  
الإسلام، وفي أساس الإسلام القرآن الكريم الذي بُعثَ به رسول الله  
صلى الله عليه وآله وسلم.

وكانت بداية الوحي الشريف المقدس هي قول الله سبحانه وتعالى:  
﴿اقرأ بأسم ربك الذي خلق \* خلق الإنسان من علق \* اقرأ وربك  
الأكرم \* الذي علم بالقلم \* علم الإنسان ما لم يعلم﴾ فقد أجمع علماء  
المسلمين على أن الرسول الأكرم بُعثَ بالقرآن بهذه الآيات المباركة،  
وهذا أمر له دلالة ومغزاه، فقد حمل هذا الدين الشريف - الإسلام  
العزیز - حمل معه رسالة المعرفة، وكان النصّ الأوّل في الوحي



المقدّس هو النصّ الذي يؤسّس لقضيّة المعرفة ولأدوات المعرفة وهي الكتاب والكتابة.

ومن هنا فإن القرآن في حياة المسلمين يمثل الأساس الأوّل للإسلام الحنيف، ومن هنا كانت عناية علماء المسلمين به منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه الذين اتّبعوه بإحسان، كانت عنايتهم به عناية لا حدود لها، وقد سجّل تاريخ المعرفة عند المسلمين جيلاً بعد جيل علماء فطاحل خدموا هذا القرآن وخدموا المسلمين به وخدموا البشرية كلّها به، وذلك عن طريق تدبّر آياته والتّمعن في معانيه واستنباط بعض ما ضمّنه الله تعالى إياه من معاني الكون والحياة والإنسان، فكان كما ورد عن أئمّة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، يسري في حياة الناس، كما يسري الشمس والقمر، حيث أنّه ليس كتاب حقبة معيّنة، ولا مرحلة تاريخيّة معيّنة، بل هو النصّ الأخير من نصوص الوحي على لسان خاتم النبيّين ومن هنا فإنه خزّان المعرفة البشريّة لما يصلح حياة الناس في معاشهم ومعادهم بما تضمّنه من القضايا الكبرى في مجالات التشريع والأخلاق والتنظيم، وقبل كل ذلك في مجال الرّؤية الكلية للكون والحياة والإنسان، وموقع الإنسان في الحياة وفي الكون، ووظيفة الإنسان في هذه الحياة وما أَرادَه الله له من سيرٍ نحو الكمال على هدى شريعته وتعاليمه المقدّسة.

ووجوه القرآن لا تنتهي، فهو تعبير عن كلمات الله التي لا تنتهي، ولذا فإنّ الأعماق التي تحتويها النصوص القرآنية الشريفة هي أعماق لا يمكن سبر غورها، والله سبحانه وتعالى يعلم مداها. قال الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ﴾ كلّ نبيٍّ ورد في القرآن الكريم من

تشريع أو أخلاق أو تنظيم أو دلالة على آيات الله في الخلق وفي الطبيعة لا يمكن لعهد من العهود أو لفهم من الأفهام أن يسبر غوره كله، ولذلك ورد في أحاديث أئمة أهل البيت المعصومين سلام الله عليهم التعبير عن القرآن - وصف القرآن - بأنه بحر، ما معناه أنه بحر لا يدرك قعره، بمعنى أن مدى الأعماق المعنوية والمغازي المعنوية التي حفل بها هذا النص المقدس لا يدركها عقل أجيال من البشر، ولذلك نجد أن عشرات وربما مئات ألوف الكتب التي ألفها العلماء على مدى تاريخ الإسلام في هذا القرآن - بالرغم من هذا العدد الهائل من الابحاث والدراسات القرآنية - فإن القرآن يبقى غصاً طرياً جديداً، ويبقى فيه متسع لفهم كل من يريد ان يقتبس من نوره ومن هداه .

في هذا السياق يأتي هذا التفسير «تفسير الثقلين» الذي أنعم الله به على فضيلة العلامة الجليل آية الله الحاج ميرزا عبد الرسول الحائري الإحقيقي أيده الله سبحانه وتعالى لينضم به إلى هذه المسيرة المقدسة المباركة من خدمة كتاب الله سبحانه وتعالى .

ولقد تصفحت هذا التفسير الذي أنجزه فوجدت أنه - حفظه الله - قد استفاد ممن سبق من علمائنا علماء التفسير الأبرار وجرى على منهاجهم، ولكنه لم يكن فيما دونه مجرد مُقتبسٍ وناقل وإنما ضمن هذا التفسير بعض اللفقات الرائعة وبعض القبسات النفيسة التي اعطت لكتابه شخصيته المميّزة ونكهته الخاصة، ولاحظت أمراً أكبرته وأنوّه به في فصل من فصوله، حينما تحدّث فيه عن الوجود التكويني والوجود التدويني، وحينما لمس نقطة هامة في وظيفة القرآن الكريم الذي هو

كتاب تضمّن أصول شريعتنا وأصول أخلاقنا، وفي نفس الوقت الذي فيه مجال وفيه بعدٌ روحي خاص يتعلّق بالبركة ويتعلّق بالألطف الخفية التي يسبغها الله على من يتبرّك به تلاوةً وتعظيماً وتبريكاً. ولكنه في هذا اللحاظ لحاظه للوجود التكويني إلتفت إلى نقطة هامة. هذه اللّفة الهامة أمل أن تكون موضع عناية من الباحثين من العلماء ومن المفكرين ومن الموجهين والوعاظ ليبينوا للناس أنّ القرآن الكريم مع كونه كتاب بركة فإنه بالدرجة الأولى كتاب عمل - علم وعمل - وقد رأينا في هذا النص المقدّس أنّ الله سبحانه وتعالى قرن العلم بالعمل وندّد بمن يعلمون ولا يعملون، كما ندّد في الوقت نفسه بمن يعملون بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير، فما سمّاه حضرة المؤلف الفاضل «الكتاب التكويني» تعبير موفق عن البعد العملي لهذا النص المقدّس والأمثلة التي ذكرها لهذا البعد العملي هي الأمثلة النموذجية من حياة الرسول الأكرم ومن حياة الأئمة الكرام سلام الله عليهم، وهم يمثلون النموذج والمثال لسائر المسلمين فيما يتعلّق بسيرهم على طريق الحق والهدى على الصراط المستقيم الذي قدّم فيه بحثاً عرفانياً طريفاً.

خلاصة القول: إنّ هذا التفسير كما أطلعت على جانب من فصوله، ليس مجرد تكرار بصيغ جديدة لغيره من التفاسير بل يتمتّع هذا التفسير بشخصية خاصة أنتجتها قريحة المؤلف الفاضل الذي كشف في أبحاثه التفسيرية في هذا الكتاب عن سعة اطلاعه وتنوع معارفه القرآنية، وليس كثيراً عليه، فهو من بيت عريق في العلم وفي التأليف، وهو نجل أحد اعلامنا اعلام المسلمين الكبار وأخبارهم المبجلين ألا وهو آية الله العظمى الإمام المصلح الحاج ميرزا حسن

الحائري الإحقاقي أيده الله وأقرّ عينه بهذه العطيّة الإلهية المتمثلة في المؤلف الفاضل سماحة آية الله الميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي حفظه الله وأيده.

وأسال الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الكتاب التفسيري الرائع موضعاً لقبوله سبحانه وتعالى، وان يعمّم نفعه لكلّ من يطّلع عليه ونسأل الله أن يرزقنا من نعمه الظاهرة والباطنة وان يوفقنا لخدمة كتابه العزيز والإسلام الحنيف والحمد لله رب العالمين .

بيروت في ١٦/٥/١٤١٥ هـ

٢٢/١٠/١٩٩٤ م

مُحَمَّدُ مَهْدِي شَيْخِ الدِّينِ



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُتَدَمَّةٌ وَجَبْرَةٌ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

السلام على مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام امام المتقين وسيد الوصيِّين وأبي الأئمة الطيبين الطاهرين.

وبعد: منذ أربعين عاماً وأنا مشغول بخدمة الدين المبين خصوصاً في تفسير القرآن الكريم من طرق أهل بيت النبوة عليهم السلام ونشر فضائلهم ومناقبهم وآثارهم الجليلة بتوفيق من الله عز وجل ورعاية من وليّ العصر وصاحب الزمان أرواحنا فداه وإجازة وتأييد الأساتذة الأجلاء وخصوصاً الوالد الماجد - روعي فداه - والعم الكريم - آية الله العظمى الحاج ميرزا علي الحائري الإحفاقي - قدس الله روحه الشريفة - اللذين ذكرت فضلهما عليّ في كتابي «قرنان من الاجتهاد والمرجعية» الذي طبع في بيروت سنة ١٩٩٣.

وقد وفقت بحمد الله، لتفسير القرآن الكريم - هذا الكتاب السماوي المقدس - عدة مرات من أوله إلى آخره في محاضراتي،

مستنداً إلى آثار وروايات العترة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، وبعبارة أخرى لقد استخرجت أحاديثهم وأقوالهم الشريفة حول الآيات القرآنية المباركة بجهدٍ ومشقةٍ من أعماق الكتب المفصلة والمعتبرة لدى الفريقين، وقدّمتها خالصةً إلى شيعتهم ومحبيهم.

وكثيراً ما سجل بعض الأفاضل عند حضورهم مجالس درس التفسير - وكذلك بعض المخدّرات الفاضلات - محاضراتي لهذه الدروس، كما سجلت أنا أيضاً ما كنت ألقيه مع ذكر مصادره.

وكنت قبل مدة بعيدة وفي تلك الأيام التي قضيتها في مدينة «تبريز» وضواحيها، ألقى أسبوعياً خمس محاضرات علمية وتفسيرية، في حشد كبير، وذلك في مسجد «حجة الإسلام» المعظم، ومدرسة «صاحب الأمر» عليه السلام العلمية. وقد طلب مني بعض الأصدقاء الأعداء والفضلاء المحترمين وبإصرار، أن أدوّن الدروس التي كنت ألقها في تلك السنين المتمادية حول القرآن الكريم وفضايا المعصومين عليهم السلام، ليتم تنظيمها ومن ثم طبعها، لتكون في متناول أيدي المحبين والمتبعين الأعداء.

فاستجبت لطلبهم رغم تراكم مسؤولياتي من تدريس وتدريب لطلبة العلوم الدينية ومتابعة للأمور الشرعية لعددٍ كبير من الأخوة والأخوات الذين يراجعونني في أمور دينهم، وأيضاً انصرافي إلى التأليف في مواضيع مختلفة من قبيل كتاب «الولاية: بحث حول الولاية من وحي القرآن» و «حقائق الشيعة» و «نداء الشيعة» و «الحكمة البالغة» ودورة فقهية مفصلة، وغير ذلك من الكتب التي طبعت مراراً،

بالإضافة إلى الواجبات المتعددة والثقيلة الأخرى التي لا نجد هنا داعياً لتفصيلها.

وكانت استجابتي هذه نابعةً من تعلقي الشديد وحبّي ورغبتني في أداء هذه الخدمة، فاختصرت بعض الساعات من فترة استراحتي، وتحملت الصّعب الكثيرة، وتهيأت لكتابة تفسير القرآن على ضوء الأوليات التي كانت في يدي، وأمسكت بالقلم. ولكن فجأةً انتابني خوف عمّ كياني، حيث أحسست أنني أمام بحرٍ عظيم وسماء غير متناهية «كالبحر لفظاً، والسماء معنىً» وتذكرت قول كتاب الله الناطق، أمير المؤمنين علي عليه السلام، في الخطبة الثامنة عشر من كتاب «نهج البلاغة»، حول القرآن الكريم - هذا الكتاب السماوي المحيّر للعقول - حيث قال:

«وإن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلاّ به»<sup>(١)</sup>.

فوجدت نفسي في هذه الحالة أمام هذا الكتاب العظيم الذي هو ﴿تبياناً لكل شيء﴾<sup>(٢)</sup> أني لا شيء. واعتراني إحساس بالعجز والخجل أمامه، فتركت القلم وأعرضت عن الغوص في هذا البحر العظيم الذي عجز أمام عظمته وهيمته الخطباء والفلاسفة ومفكروا العالم على مدى خمسة عشر قرناً، فوقفوا منشدين إليه، ومبهورين بألفاظه ومعانيه المعجزة.

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.



ومن جهة أخرى وجدت نفسي كالفراشة التي يجذبها نور الشمعة فلا تنفك تدور حوله، أو كعاشق ولهان للغوص في هذا البحر العميق، فكان قلبي خافقاً بذلك وأحسست أن لا سبيل أمامي إلا الغوص فيه، والبحث في آياته النورانية، والتمسك بأذيال معلميه العظماء من أهل البيت عليهم السلام، وهو السبيل الوحيد لإرواء عطشي المتزايد إليه يوماً بعد يوم.

وكما أشرت سابقاً أنني كنت قد فسّرت هذا الكتاب المبين عدّة مرات عن طريق أهل بيت العصمة عليهم السلام، إلا أن مسألة تدوين تلك الأحاديث وترتيب مجموعة بحوث باسم «تفسير القرآن الكريم» والانضمام إلى أوتاد هذا العلم - أعلى الله كلمتهم - هو أمر خطير جداً، وأمانة ثقيلة لم أكن أجد في نفسي الجرأة على حملها، منتظراً التأييدات الغيبية والتوفيقات الربّانية في هذا الموضوع. إلا أنه وفي إحدى الليالي وقيل الصبح، كنت أغوص بفكر عميق في هذه المسألة، فمن جهة كان شوقٌ شديد يشدني نحو أداء هذه المهمة الخطيرة، ومن جهة أخرى كنت أخشى الشطحات والوقوع في الأخطاء فيها، ولم أكن أستطيع أن أرجح أي طرف من هذين الطرفين، وفجأة هتف في روعي هاتف قرأ لي هذه الآية الكريمة: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾<sup>(١)</sup>.

هذا الهاتف منحني قوةً معنوية عالية، وزخماً روحياً كبيراً، وأودع قلبي الواجف اطمئناناً محكماً وقاطعاً، وأنقذني من ضياعي مما

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

أحيا الأمل في نفسي .

عندئذٍ عقدت العزم من جديد وبدأت أتهيأ لأداء هذه المهمة العظيمة، متوكلاً على الألفاظ الغيبية و متمسكاً بأهل البيت عليهم السلام الذين هم سفن النجاة، ومتوسلاً بولي العصر الحجة ابن الحسن العسكري - أرواحنا فداه - آملاً درك عناياته وأطافه، فأمسكت بالقلم للمرة الثانية، وتصديت لهذا الأمر قربةً إلى الله تعالى، وبنية الخدمة لمحبي أهل بيت النبوة وشيعتهم .

بدأت أولاً بتحرير مجموعة بحوث تحت اسم «مقدمة لعلم تفسير القرآن» وهي في الواقع الجزء الثاني من كتاب «الولاية: بحث حول الولاية من وحي القرآن» وجعلتها بين يدي المتبعين الأعزاء، فطبعت مرتين باللغة الفارسية ما بين سنة (١٣٥٣) و (١٣٥٦) هجري شمسي في إيران على نفقة اثنين من المخلصين لأهل البيت عليهم السلام، الأخت الدكتورة «صدقي»، والأخ الحاج «غلام رضا عظيمي» - وفقهما الله تعالى - ونشرت بين القراء من طالبي الحق والصلاح، وبحمد الله كانت موضع قبول أهل العلم والمعرفة، فنفذت النسخ بعد مدة قصيرة من نشرها .

لقد تضمّن الكتاب، مقدّمات لعلم التفسير مما لا بدّ من معرفته للإحاطة بهذا العلم الشريف، وهي كآلاتي :

- القرآن الكريم الظاهرة السماوية الأبدية .....
- الوليد بن المغيرة والقرآن الكريم .....
- قصيدة مارون عبود والقرآن الكريم .....

● القرآن الكريم الوحي الإلهي على نبي الرحمة (ص)، وأكمل الكتب السماوية

- ..... - ماهية الوحي
- ..... - أقسام الوحي
- ..... - أسماء القرآن الكريم
- ..... - السور القرآنية
- ..... - أسماء السور القرآنية
- فضيلة تلاوة القرآن الكريم
- ترجمة القرآن الكريم
- تفسير القرآن الكريم
- تأويل القرآن الكريم
- ..... - التأويل في الإصطلاح القرآني
- تفسير الآية المباركة السابعة من سورة (آل عمران)
- ..... - العقل ونظرية الوقف على لفظة الجلالة
- كلمة حول «الراسخون في العلم»
- ..... - الرسوخ في العلم
- ..... - اعتراف الخلفاء الثلاثة بالمقام العلمي لعلي (ع)
- ..... - المقصود من «الراسخون في العلم»: بعد رسول الله (ص) هم
- ..... علي وأولاده الأطهار (ع)
- ..... - علي مصدر كل علم
- بعض الآيات المتشابهة وتأويلها
- كلام حول العصمة

- تأويل بعض الآيات من سورة (الفتح) .....
- تأويل آيات سورة (الضحى) .....
- الحروف المقطعة في فواتح السُّور القرآنية .....
- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم .....
- ما هو البداء .....
- هل حصل النسخ .....
- أقسام النسخ .....
- أقسام الناسخ .....
- شروط النسخ .....
- الآيات المنسوخة في القرآن الكريم .....
- مبهمات القرآن الكريم .....
- العام والخاص في القرآن الكريم .....
- اللفظ العام .....
- أنواع العام في القرآن الكريم .....
- الفرق بين العام المراد منه الخاص والعام المخصص .....
- اللفظ الخاص .....
- الظهر والبطن والحد والمطلع في القرآن الكريم .....

وقد طبع هذا الكتاب مرتين في بيروت مع الجزء الأول منه باللغة العربية، ما بين سنة (١٩٩٢ - ١٩٩٣) ميلادي، وتم نشره.

وبعد طبع هذه المجموعة قمت بتهيئة وتنظيم وتفسير للقرآن الكريم، ولكن لأسباب معينة تأخر هذا الأمر «والخير فيما وقع» حتى كان هذا الوقت حيث طلب مني عدد من المهتمين به، وأمرني سماحة

الوالد الماجد - روعي فداه - بالاستمرار في هذا العمل الجليل .  
وأمسكت بالقلم مرة أخرى لأؤدي - لمحبي أهل بيت العصمة عليهم  
السلام - الأمانة الغالية التي بذلت عمري وشبابي في تحصيلها، وبذلت  
الفاني لتحصيل الباقي، فإن كانت مقبولة عند الله عز وجل فحقاً إنها  
تجارة عظيمة، ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ ﴾<sup>(١)</sup>.

وبدأت بسورتي «الحمد» و «التوحيد» المباركتين، لما فيهما من  
نفع عام، ومعرفة تفسيريهما ضرورية للجميع، رجالاً ونساءً، صغاراً  
وكباراً، فكل مصلٍ يقرأهما يومياً ما لا يقل عن عشر مرات في صلواته  
اليومية الواجبة، لهذا كان من الضروري وجود هذا التفسير الموجز،  
لكثرة طالبيه من كل الأطراف، فبوجوده بين أيديهم لا يحتاجون  
الرجوع إلى التفاسير الكبيرة التي كتبت بأيدي جهابذة علماء هذا الفن  
- أعلى الله مقامهم - وهي غالباً ما تكون باللغة العربية، وحاوية على  
مصطلحات علمية يصعب عليهم فهمها.

وقد قمت بكتابة هذا المختصر، الذي هو مجموعة من تفاسير  
معلمي القرآن الحقيقيين، وهم الأئمة المعصومون عليهم السلام، لأنه  
أسهل منالاً وفهماً لهم وليكون إلى جانب كتب الأدعية في أماكن  
عباداتهم. فبالرجوع إليه يعرفون كيف يناجون ويعبدون ربهم الواحد  
الأحد، ولهذا قدمت طبع ونشر تفسير هاتين السورتين على بقية أقسام  
القرآن الكريم، ليصل إلى أيدي طالبيه بأسرع وقت ممكن.

وسعت في تصنيف وتأليف هذا التفسير الشريف إلى أن تكون

(١) سورة النحل، الآية: ٩٦.

مواضيعه بسيطة قدر الإمكان، وبعيدة عن الاصطلاحات العلمية،  
والفنون التفسيرية التي يصعب على المبتدئين فهمها، وإن أوجبت  
الضرورة استعمال بعض المصطلحات، قدمت لها توضيحاً مسبقاً كي  
لا يواجه المبتدئون الأجزاء صعبة في فهمها.

أسأل الله عز وجل، أن تكون هذه الهدية الصغيرة، مقبولة لدى  
وليه بالحق صاحب العصر والزمان الحجة ابن الحسن العسكري  
- أرواحنا فداءه - كما أسأل الله عز وجل، أن يمنحني التوفيق لطبع ونشر  
بقية أجزاء هذا التفسير، بحق محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين،  
صلوات الله عليهم أجمعين.

خادم الحرمين الشريفين

الحاج ميرزا عبد الرسول

الحسيني الأحمدي

طهران  
١٤١٥ هـ





تَضَيُّرُ الْبَقَالِيَّةِ





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا للتمسك بالثقلين، وعرفهما بلسان نبيّه سيد المرسلين بكتاب الله المبين وعترته أهل بيته المعصومين، اللذين لن يفترقا حتى يوم الدين.

والصلاة والسلام على مظهر لطفه ومعدن رحمته ومنار هدايته سيدنا ونبيّنا وحبیب قلوبنا وطیب نفوسنا أبي القاسم محمد خاتم النبيين الذي جعله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وعلى آله وأهل بيته الطيبين الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وجعلهم محال معرفته، ومخازن حكمته وتراجمة وحيه والعروة الوثقى التي من تمسك بها نجا ومن تخلف عنها هلك.

واللعنة الدائمة على أعدائهم ومخالفهم وغاصبي حقوقهم ومنكري فضائلهم من الآن إلى قيام يوم الدين.

## « تفسير الثقلين »

إن اسم هذا التفسير، مأخوذ من حديث «الثقلين» المشهور، فقد روي هذا الحديث الشريف عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، متواتراً لدى علماء العامة والخاصة، وسنفرد له بحثاً مستقلاً في هذا الكتاب إن شاء الله.

وفي هذا الحديث جاء اقتران القرآن الكريم بأهل البيت عليهم السلام، باستعارة كلمة «الثقلين» وهي بمعنى: الأمانتين الثقيلتين، أو الشيتين النفيسين والثقلين شأناً.

ولقد أكد النبي صلى الله عليه وآله في هذا الحديث لجميع المسلمين أنهما لن يفترقا أبداً إلى يوم القيامة، وأن القرآن من دون أهل البيت أو أهل البيت من دون القرآن لن يكونا مورد قبول الله عز وجل.

لهذا، فقد اخترت لهذا التفسير، هذا الاسم المبارك الغني بالمعاني، حيث طرق مسامع قلبي بالإلهام. واستجبت لأمر النبي الحبيب صلى الله عليه وآله بالتمسك بهما وهما: الحبل المتين والعروة الوثقى. فبهما النجاة في الدنيا والآخرة وهما الميراث النبوي العظيم.

وقبل أن نشرع بالتفسير سنذكر حديث «الثقلين» الشريف لمناسبة تسمية هذا التفسير باسم «الثقلين»، النوراني. فنورد متنه وجزءاً من مصادره، وبعض البحوث حول مضامينه.

أملاً أن تكون هذه البضاعة المزجاة مورد قبول الله عز وجل، وأن تكون لي ذخراً في ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون، وأن أوفق للتمسك بحبل الله - القرآن الكريم وأهل البيت المعصومين - عليهم السلام .

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، هو مولاي فنعم المولى ونعم النصير.





سُح

حَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ



قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاللَّهِ لَأَعْلَمُ  
إِنِّي تَلَيْتُكُمْ فِي كِتَابَيْ  
كِتَابُ اللَّهِ مَوْعِزَتِي «أَهْلَ بَيْتِي» فَإِنَّهُمَا  
لَنْ يَفْتَرُوا حَتَّى يَرْدَا عَلَيَّ الْجَوْضَ

مُسْتَدَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَنْبَلٍ  
مَنَاقِبُ ابْنِ الْمَغَازِي





## حَدِيثُ الثَّقَلَيْنِ

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين - أو الثقلين - كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي».

### مصادر حديث «الثقلين»:

١ - بصائر الدرجات: بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي» فنحن أهل بيته<sup>(١)</sup>.

٢ - أمالي الشيخ الطوسي: بإسناده عن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله في مرضه الذي قبض فيه، يقول وقد امتلأت الحجرة من

(١) بصائر الدرجات: ٤٣٤، ح ٤.

أصحابه: «أيها الناس! يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا إني مخلف فيكم كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي». ثم أخذ بيد علي فرفعها، فقال: «هذا علي مع القرآن، والقرآن مع علي، خليفتان بصيران لا يفترقان حتى يردا علي الحوض»<sup>(١)</sup>.

٣ - تفسير البرهان: بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: دعا رسول الله الناس بمنى، فقال: «أيها الناس! إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»<sup>(٢)</sup>.

٤ - الغيبة: محمد بن علي بن بابويه، بإسناده عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي [أهل بيتي]، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»<sup>(٣)</sup>.

٥ - وعنه بإسناده عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعلي بن أبي طالب، واعلموا أن علياً لكم أفضل من كتاب الله لأنه يترجم لكم

(١) أمالي الشيخ: ٤٩١.

(٢) تفسير البرهان: ٩/١، الباب ٣ من المقدمة، ح ١.

(٣) كمال الدين: ٢٣٤، ح ٤٤، وما بين المعقوفين من الطبعة المحققة.

كتاب الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

٦ - مناقب ابن المغازلي: بإسناده عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني قد تركت فيكم الثقلين: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض...»<sup>(٢)</sup>.

٧ - مسند أحمد بن حنبل: بإسناده عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»<sup>(٣)</sup>.

٨ - مناقب ابن شاذان: يرفعه إلى زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) واعلموا أن علياً لكم أفضل من كتاب الله لأنه يترجم كتاب الله تعالى»<sup>(٤)</sup>.

٩ - كنز العمال: للمتقي الهندي، بإسناده عن زيد بن أرقم، في

---

(١) كمال الدين: ٢٤٠، ح ٦٠.

(٢) مناقب ابن المغازلي: ٢٣٥، ح ٢٨٣، وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: ١٧/٣، وابن سعد في الطبقات الكبرى: ١٩٤/٢ (ط. مصر).

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ١٨١/٥، وعنه فضائل الخمسة للفيروز آبادي: ٥٦/٢، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال: ٤٤/١، والمناوي في فيض القدير: ١٤/٣.

(٤) مناقب ابن شاذان: ١٤٧، المنقبة (٨٦).

خبر طويل عن رسول الله في الجحفة، إلى أن قال صلى الله عليه وآله: «فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين؟».

فنادى منادٍ: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: كتاب الله طرف بيد الله عز وجل، وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلّوا، والآخرة عترتي (عشيرتي) وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدموهما فتهلّكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلّكوا، ولا تعلموهما فهما أعلم منكم».

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: «من كنت أولى به من نفسه فعليّ وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...»<sup>(١)</sup> ونقله أيضاً الهيثمي في مجمع<sup>(٢)</sup>.

١٠ - وعن الشيخ إبراهيم بن محمد الجويني - من أعيان علماء العامة - في كتاب «فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين» مسنداً إلى سليم بن قيس الهلالي، في خبر المناشدة، إلى أن قال: ثم قال علي عليه السلام: «أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قام خطيباً لم يخطب بعد ذلك، فقال: يا أيها الناس! إنني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فتمسكوا بهما لن تضلّوا، فإن اللطيف [الخبير]<sup>(٣)</sup> أخبرني وعهد إليّ أنهما لن

(١) كنز العمال: ح ٨٧٢، ٨٧٣، ٩٤٢، و ٩٤٧.

(٢) مجمع الزوائد: ١٦٣/٩.

(٣) وردت هكذا في المصدر المطبوع.

يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

فقام عمر بن الخطاب شبه المغضب، فقال: يا رسول الله! أكل أهل بيتك؟

فقال صلى الله عليه وآله: «لا، ولكن أوصيائي منهم، أولهم أخي ووزير ووارثي وخليفتي في أمّتي وولي كل مؤمن بعدي، علي بن أبي طالب هو أولهم، ثمّ ابني الحسن ثمّ ابني الحسين ثمّ التسعة من ولد الحسين، واحد بعد واحد حتى يردوا عليّ الحوض، شهداء الله في أرضه وحجته على خلقه وخزان علمه ومعادن حكمته، من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله».

فقال الحُضَار كلهم: نشهد أن رسول الله قال ذلك... إلى آخر الحديث<sup>(١)</sup>.

إن حديث «الثقلين» قد فاق بأسانيده المعتبرة من طرق الخاصة والعامّة، حدّ التواتر، وقد قال عنه «ابن حجر المكي» - من أعظم علماء العامّة ومتعصبيهم - في كتابه «الصواعق المحرقة»: اعلم أن لحديث التمسك (أي حديث «الثقلين») طرقاً كثيرة وردت عن نيفٍ وعشرين صحابياً<sup>(٢)</sup>.

لقد ذكرنا خمسة نماذج من هذا الحديث من طرق الخاصة، وخمسة أخرى من طرق العامّة، نقلاً عن الكتب المعتبرة جداً لدى الفريقين، لنثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله، قد قرن بين أهل

(١) فرائد السمطين: ٣١٧/١.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٥٠.

البيت عليهم السلام والقرآن الكريم في كل مكان وإلى يوم القيامة، وأوصى المسلمين بالتمسك بهما كي لا يضلّوا، وعبرَ عنهما في جميع الأحاديث المذكورة باسم «الثقلين».

## معنى كلمة «الثقلين»:

وردت هذه الكلمة في الأحاديث المختلفة على صورتين:

١ - «الثقلين» مثنى «الثقل» بفتح التاء المثلثة والقاف، وعلى هذه

الصورة يكون لها معنيان:

أ - «الثقل» في اللغة بمعنى المتاع وَحَشَمَ المسافر، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه مشرف على الانتقال من هذه الدنيا، جعل نفسه بمنزلة المسافر الذي ينتقل من منزلٍ إلى آخر، ووصف الكتاب والعترة فجعلهما كالمتاع للمسافر لأنهما كانا أقرب وأثمن شيء لديه صلى الله عليه وآله، ولذا أطلق عليهما اسم «الثقلين».

ب - «الثقل» بمعنى الشيء النفيس والثمين، وقد عبر رسول الله صلى الله عليه وآله، عن القرآن الكريم، والعترة المعصومين عليهم السلام بكلمة «الثقلين» لأنهما أنفس شيء من الموجودات لديه.

٢ - «الثقلين» مثنى «الثقل» بكسر التاء المثلثة وسكون القاف،

بمعنى الشيء الثقيل، ذي الوزن الكبير.

فقد وصف رسول الله صلى الله عليه وآله، القرآن وأهل البيت بذلك لأن العمل بأحكام القرآن الكريم والالتزام بمحبة أهل البيت عليهم السلام أمران خطيران ووظيفتان ثقيلتان، خصوصاً أن مرجع كل

من القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام إلى الولاية، وهي من أهم وأثقل المسائل في الدين الإسلامي الحنيف، فمسألة التوحيد والنبوة مثلاً هي من أهم الأمور المتفق عليها لدى كافة فرق المسلمين، أما مسألة الولاية فهناك الكثير ممن سيهلك بإفراطه أو تفريطه فيها، كما قال صاحب الولاية أمير المؤمنين عليه السلام في «نهج البلاغة»: «هلك فيّ رجلان: محبٌّ غالٍ ومبغضٌ قال»<sup>(١)</sup>.

والغلو ليس كما اعتقده بعض الضعفاء من الفريقين وهو أن يؤمن الإنسان بأن المكانة العالية والدرجات الرفيعة التي أعطها الله للأئمة المعصومين عليهم السلام هي أصل المعرفة والحقيقة الإسلامية، بل الغلو الذي ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في حديثه أعلاه هو أن يعتقد الإنسان بشأن أحد أو جميع الأئمة الأطهار عليهم السلام الألوهية والربوبية، ومن الطبيعي أن يكون الإنسان في هذه الحالة من الغلاة وكافراً نجس العين.

ورد في حديث شريف عن أمير المؤمنين عليه السلام، ذكره العالم الجليل المرحوم «محمد تقي حجة الإسلام» - أعلى الله مقامه - نقلاً عن كتاب «العوالم» وكتاب «أنيس السمراء» قوله: «لا تجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا ولا نهايته... إلى آخر الحديث»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الموضوع مبرهن عليه عند أهل العلم والفضل، فكل صفة

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٤٦٩، وعنه في ينابيع المودة: ١/١٠٩، ب ٣٥.

(٢) بحار الانوار: ٢٥/٢٦١، ب ٩ وب ١٠.



أو فضيلة، وكل موجود عدا الله عزّ وجل هو مخلوق، ومحمد وآله عليهم السلام هم أفضل المخلوقات ولا يمكن لأية صفة أن تحيط بحقيقتهم وكنههم لأنها في درجة أقل من درجتهم.

### المراد من العترة وأهل البيت عليهم السلام:

لا شك أن المقصود في حديث «الثقلين» وسائر الأحاديث الشريفة، والآيات الكريمة (كآية التطهير، وآية المودة، وآية المباهلة، وغيرها) هم عترة النبي صلى الله عليه وآله، وأهل بيته، وهم: أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء، وأحد عشر من أبنائهما صلوات الله عليهم أجمعين. وهم أئمة الشيعة، ولم يشركهم في هذا المقام أحد من زوجات النبي أو أعمامه أو سائر أقربائه صلى الله عليه وآله، وهذه المسألة مجمع عليها لدى العلماء والمحققين من الفريقين، وقلّما نجد في الأحاديث المعتبرة مسألة أجمع عليها كهذه المسألة.

هذا فضلاً عن الأحاديث المتواترة والمقبولة لدى المسلمين كافة - والتي سنذكر إن شاء الله قسماً منها في هذا البحث - فالعقل السليم أيضاً، يقضي بأن المراد في الحديث المذكور من العترة وأهل البيت هم أوصياء رسول الله: الأئمة الإثنا عشر والزهراء سلام الله عليهم أجمعين. فهم معادن العلم الإلهي في السماوات والأرضين، ولديهم العلم اللدني، الذي لا يستطيع أحد غيرهم الوصول إليه، ولذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وآله، قد قرن في الحديث المذكور بين العترة أهل البيت وبين القرآن الكريم فجعلهم بدائل وقرناء له، وبما أن علوم القرآن غير متناهية وأبدية، فقرناء القرآن أيضاً يجب أن

يكون لديهم علم لدنيّ غير متناهٍ وخالد، وكما ثبت بالأدلة الصريحة والمحكمة المذكورة في مظانها بالتفصيل أن ليس لأحدٍ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله - المعلم المطلق للعالم - أن يصل إلى هذا المقام العظيم غير علي وآل علي عليهم السلام.

هذا بالإضافة إلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد جعل في أحاديث معتبرة أمير المؤمنين عليه السلام معلماً ومفسراً للقرآن الكريم، بل وأفضل وأعلى من القرآن الكريم، كما ورد في الحديث الثامن من المبحث السابق.

فهل يمكن لأحدٍ أن يداني من قال مراراً وفي مناسبات كثيرة ومجالس عديدة: «سلوني قبل أن تفقدوني»<sup>(١)</sup> حيث يدل قوله هذا دلالة قاطعة على علمه غير المتناهي.

وهل يمكن أن يدانيه من يقول مع كامل العجز: «أقيلوني أقيلوني ولست بخيركم وعليّ فيكم». (الأول)<sup>(٢)</sup>.

أو من يقول: «أعوذ بالله من معضلة لا عليّ لها».

---

(١) ورد هذا الحديث في كتاب «صحيفة الأبرار من منتخب البصائر»، وأيضاً هناك حديث قريب من هذا المضمون ورد في «مناقب الخوارزمي». (المؤلف).  
مناقب الخوارزمي: ٩٠، ح ٨٣، فقد روي عن سعيد بن المسيب قال: «ما كان في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، أحد يقول: (سلوني) غير علي بن أبي طالب عليه السلام».

وورد قوله: سلوني قبل أن تفقدوني في «المناقب» أيضاً: ٩١، ح ٨٥. ورواه الجويني في «فرائد السمطين»: ٣٤٠/١، وفي «تذكرة الخواص» لابن الجوزي: ٢٥. وراجع «مناقب ابن شهر آشوب»: ٤٧/٢١.

(٢) مشارق انوار اليقين: ١٠٢.

(الثاني)<sup>(١)</sup>.

أو من يقول: «ذهب الفقه والعلم بموت علي بن أبي طالب عليه السلام». (معاوية)<sup>(٢)</sup>.

أو ابن عباس حيث يقول عندما سئل: أين علمك من علم ابن عمك؟

فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط<sup>(٣)</sup>.

نعم، لا يمكن أن يكون هناك قرين للقرآن إلا من كان باب علم النبي، حيث قال عنه صلى الله عليه وآله مرات عديدة: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) مناقب الخوارزمي: ٩٦، ح ٩٧، وقال أيضاً: اللهم لا تبقي لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب حياً. (المناقب: ٩٧، ح ٩٨، ورواه الجويني في «فرائد السمطين»: ٣٤٤/١). وقال أيضاً: الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من إذا اعوججنا أقام أودنا (المناقب: ٩٨، ح ١٠٠). وقال: لولا عليّ لهلك عمر (المناقب: ٨١، ح ٦٥).

(٢) الإستيعاب لابن عبد البر: ٤٦٣/٢، وعنه فضائل الخمسة: ٢٥٩/٢.

(٣) قال ابن عباس: علم النبي صلى الله عليه وآله من علم الله وعلم علي من علم النبي صلى الله عليه وآله، وعلمي من علم علي، وما علمي وعلم الصحابة في علم علي إلا كقطرة من سبعة أبحر. (ينابيع المودة: ٦٨).

(٤) مناقب ابن المغازلي: ٨٠، وذكر له سبعة طرق. ورواه الحافظ الكنجي في «كفاية الطالب»: الباب ٥٨ ص ٢٢١. وأخرجه الخطيب في تاريخه: ٣٧٧/٢. وأخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين: ١٢٧/٣. والحافظ البغدادي في تاريخه: ٤٨/١١ خمس مرات. والمحدث المغربي في فتح الملك العلي: ٢٢. وفي تاريخ جرجان: ٢٤. والبداية والنهاية: ٣٥٨/٧. وابن حجر في لسان الميزان: ١٢٣/٢. والذهبي في ميزان الاعتدال: ٤١٥/١، رقم ١٥٢٥ و ٩٣٥. وفي جمع الجوامع: ٤٠١/٦. والسيوطي في الجامع الصغير: ٣٦٤/١ =

وبعد أن ذكرنا المقدمات أعلاه سنذكر بعض الأحاديث الواردة لدى الفريقين والتي صُرح فيها بأن المراد من العترة وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، هم فقط علي وآل علي عليهم السلام، ومن الله التوفيق.

١ - مسند أحمد بن حنبل: بإسناده عن أبي سعيد الخدري حيث ذكر حديث «الثقلين» وقال في آخره: وروي عن أبي بكر أنه قال: عترة النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام<sup>(١)</sup>.

٢ - صحيح الترمذي، وجامع الأصول: عن أم سلمة، قالت: نزلت الآية في بيتي وأنا جالسة عند الباب، فقلت: يا رسول الله! ألسنت من أهل البيت؟

فقال عليه السلام: إنك علي خير، أنت من أزواج رسول الله. قالت: و [كان] في البيت رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فجللهم بكساء، وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»<sup>(٢)</sup>.

٣ - وفي الاستيعاب لابن عبد البر: لما نزلت الآية، دعا رسول

---

=رقم ٢٧٠٥. والمتقي الهندي في منتخب كنز العمال: ٣٠/٥. والعلامة القندوزي في ينابيع المودة: ٧٣. وذكره في اللآلئ المصنوعة: ١٧٣/١. وأسد الغابة: ٢٢/٤. وتهذيب التهذيب: ٣٢٠/٦. ومجمع الزوائد: ١١٤/٩.

(١) مسند أحمد بن حنبل: ١٤/٣، و٢٦، و٩٥. والطبراني في معجمه الصغير: ١٣١/١، وفي معجمه الكبير: ١٣٧. وأخرج الحديث بطريق آخر، ابن سعد في الطبقات الكبرى: ١٩٤/٢. ومسلم في صحيحه: ١٢٢/٧. والدارمي في سننه: ٤٣١/٢. والحاكم في مستدرکه: ١٤٨/٣.

(٢) سنن الترمذي: ٣٠/٥، ح ٣٢٥٨.

الله فاطمة وعلياً وحسناً وحسيناً عليهم السلام في بيت أم سلمة،  
وقال: «اللَّهُم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم  
تطهيراً»<sup>(١)</sup>.

٤ - كفاية الأثر: عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول  
الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين: أحدهما كتاب الله عزّ  
وجل، من اتّبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة، ثم  
أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، قالها ثلاث مرات.

فقلت لأبي هريرة: فمن أهل بيته، نساؤه؟

قال: لا، أهل بيته صلبه وعصبته، وهم الأئمة الإثنا عشر<sup>(٢)</sup>  
الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾<sup>(٣)</sup>.

ورد في تفسير هذه الآية المباركة، عن الإمام الصادق عليه  
السلام أن «الكلمة الباقية» هي الإمامة إلى يوم الدين.  
أما ابن عباس والسدي فقالوا: ذريته وولده، وهم آل محمد<sup>(٤)</sup>.

٥ - في الصواعق المحرقة لابن حجر: أخرج مسلم عن سعد بن  
أبي وقاص، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ندعُ أبناءنا وأبناءكم﴾ دعا  
رسول الله صلى الله عليه وآله، علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال:  
اللَّهُم هؤلاء أهلي<sup>(٥)</sup>.

(١) الإستيعاب: ٣٧/٣.

(٢) كفاية الطالب: ٨٧.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٢٨.

(٤) مجمع البيان: ٦٩/٩.

(٥) الصواعق المحرقة: ١٢١. وأخرجه مسلم في صحيحه: ١٢٠/٧. ورواه الترمذي

٦ - معاني الأخبار: عن محمد بن سليمان الديلمي، عن أبيه،  
قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، من آل؟  
قال: ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم.  
قال: قلت: ومن الأهل؟  
قال: الأئمة عليهم السلام<sup>(١)</sup>...  
٧ - وفيه عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله (ع): من آل  
محمد؟

قال: ذريته.

فقلت: من أهل بيته؟

قال: الأئمة والأوصياء.

فقلت: من عترته؟

قال: أصحاب العباء.

فقلت: من أمته؟

فقال: المؤمنون الذين صدّقوا بما جاء به من عند الله تعالى،  
التمسكون بالثقلين اللذين أمروا بالتمسك بهما: كتاب الله عزّ وجل  
وعترته أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وهما

---

= كما في مناقب الخوارزمي: ١٠٨، ح ١١٥. وهو في صحيح الترمذي:  
٦٣٨/٥. وأسد الغابة: ٢٦٠٤. وتاريخ ابن عساكر في ترجمة الإمام علي عليه  
السلام: ٢٢٥/١. ومستدرك الصحيحين: ١٥٠/٣. وعن الصواعق في ينابيع  
المودة: ١٠٦/٢.

(١) معاني الأخبار: ٩٤، ح ٢.

الخليفتان على الأمة بعده صلى الله عليه وآله<sup>(١)</sup>.

إن ما ذكرنا من الأحاديث السبعة أعلاه (خمسة منها مأخوذة من طرق العامة، وحديثان من طرق الخاصة) تكفي لإثبات أن مراد الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله في حديث «الثقلين» وسائر موارد الكتاب والسنة من كلمة «العترة» و«أهل البيت» و«الآل» هم فقط علي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومين من أولاد الحسين عليهم السلام.

وهناك شواهد كثيرة على هذا الأمر في آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسائر الأئمة المعصومين عليهم السلام، وحتى في أقوال المخالفين والمعاندين مما يحتاج ذكرها إلى تأليف كتاب مستقل في ذلك.

وأحب أن أذكر في آخر هذا الفصل - كشاهد - إقرار واعتراف أحد أشهر المخالفين، وهو «ابن حجر الهيتمي» المعروف، لنقطع الطريق أمام الشكاكين وأهل الشبهة (والفضل ما شهدت به الأعداء).

فقد ذكر «ابن حجر»، أحد أعظم علماء العامة، وأحد أشد المخالفين لشيعة أهل البيت عليهم السلام في كتابه «الصواعق المحرقة» في ذيل حديث «الثقلين» الشريف، ما نصّه:

تنبيه: سمى رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم القرآن وعترته - وهي بالمثناة الفوقية، الأهل والنسب والرّهط الأدنون - «ثقلين» لأن

---

(١) معاني الأخبار: ٩٤، ح ٣.

الثقل، كل نفيسٍ خطيرٍ مصونٍ، وهذان كذلك، إذ كلٌّ منهما معدن للعلوم اللدنية. والأسرار والحكم العلية والأحكام الشرعية، ولذا حث صلى الله علي [وآله] وسلم على الاقتداء والتمسك بهما والتعلم منهما، وقال: «الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت» وقيل: سميا «ثقلين» لثقل وجوب رعاية حقوقهما.

ثم الذين وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض، ويؤيده الخبر السابق: «ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم».

وتميّزوا بذلك عن بقية العلماء، لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة، وقد مرّ بعضها وسيأتي الخبر الذي في قريش: «وتعلموا منهم فإنهم أعلم منكم».

فإذا ثبت هذا العموم لقريش، فأهل البيت أولى منهم بذلك لأنهم امتازوا عنهم بخصوصيات لا تشاركهم فيها بقية قريش، وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل<sup>(١)</sup> منهم إلى يوم القيامة، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض - كما يأتي - ويشهد لذلك الخبر السابق: «في كلّ خلفٍ من أمّتي عدول من أهل بيتي... إلى آخره».

ثم أحق من يتمسك به منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - لما قدّمناه من مزيد علمه، ودقائق مستنبطاته، ومن

(١) متأهل: لعلّ المقصود منها عدم انقطاع ذرية الواحد منهم (ع).



ثم قال أبو بكر: عليّ عترة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، أي الذين حثّ على التمسك بهم، فخصه لما قلنا، وكذلك خصّه صلى الله عليه [وآله] وسلم بما مرّ يوم غدیر خم. (انتهى موضع الحاجة من كلام ابن حجر)<sup>(١)</sup>.

فلاحظ عزيزي القارئ، كيف أن الله عزّ وجل أجرى كلمة الحق على لسان هذا الرجل: ﴿ليحقّ الحقّ ويبطل البطل ولو كره المجرمون﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي آخر هذا الباب وجدت من المناسب أن أذكر حديثين قيّمين مباركين في ذكر فضيلتين من فضائل مولاي ومولى العالمين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليكون ختام مسك له، وفيهما ارتباط كبير بما ذكرناه في هذا البحث:

١ - ورد في كتاب «حلية الأولياء» لأبي نعيم، وفي مصادر أخرى كثيرة لدى أهل العامة حديث للنبي محمد صلى الله عليه وآله، يذكر فيه فضل أمير المؤمنين علي عليه السلام، بإسناده عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «يا معشر الأنصار، ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلّوا أبداً؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: هذا علي عليه السلام فأحبوه بحبي وأكرموه بكرامتي. فإن

(١) الصواعق المحرقة: ١٥١.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٨.

جبرائيل عليه السلام أخبرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل»<sup>(١)</sup>.

٢ - وذكر الثعالبي في «قصص الأنبياء» بإسناده عن أنس بن مالك، قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، صلاة الفجر فلما انتقل من الصلاة أقبل علينا بوجهه الكريم فقال: «معاشر المسلمين! من افتقد الشمس فليستمسك بالقمر، ومن افتقد القمر فليستمسك بالزُّهرة، ومن افتقد الزُّهرة فليستمسك بالفرقدين.

فقيل: يا رسول الله! ما الشمس وما القمر وما الزُّهرة وما الفرقدان؟

فقال: أنا الشمس، وعلي القمر، وفاطمة الزُّهرة، والحسن والحسين الفرقدان، هم مع كتاب الله لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض»<sup>(٢)</sup>.

توضيح: ليس المراد من الشمس والقمر والزُّهرة والفرقدين الأجرام السماوية الظاهرية، بل هي المنابع الحقيقية للنور في أول الخلقة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله مراراً وبعبارات مختلفة: «أول ما خلق الله نوري»<sup>(٣)</sup>.

ومن هذا النور كل ما هنالك من أنوار في السماوات والأرض والعالم، حتى الشمس والقمر والنجوم: ﴿الله نور السموات

(١) حلية الأولياء: ٦٣/١. وروى أبو بشر عن سعيد بن جبير عن عائشة، نحوه في السؤدد، وعنه فضائل الخمسة: ٥٩/٢.

(٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروز آبادي: ٦٠/٢. عن قصص الأنبياء: ١٤.

(٣) ينابيع المودة: ج ١، ب ١، ص ٩.

والأرض ﴿١﴾ ﴿٢﴾ وأشرفت الأرض بنور ربّها ﴿٢﴾.

إن هذا البحث النوراني مما تهواه قلوب محبّي آل البيت عليهم السلام وإن شاء الله سيرد ضمن بحث (النور) في هذا التفسير الشريف.

### تحقيق واستنباط في حديث «الثقلين» الشريف:

إن هذا الحديث الشريف مع أنه مختصر في متنه وعدد ألفاظه، ولكن بما أنه جرى على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله المبارك - وهو بمنزلة الوحي - فهو للمتبع الدقيق ذو باطن وسيع مليء بالمضامين والمعاني البديعة والعميقة جداً، فدراسة ألفاظه الواحد تلو الآخر، وكذلك سياق الكلام فيه، تمنحنا فوائد تكون أساساً لاطمئنان خاطر الموالين، وراحة ضمائرهم، وتكون سبباً لإرغام وإسكات المخالفين، وموجباً لانتباه أهل الشبهة، والشكاكين. وسنشير إلى قسم منها بما يسعه المقام ويتحملة الزمان، لنؤدي بعض ما علينا من دين لهذه الجواهر الثمينة والأمانة الثقيلة، ومن الله التوفيق.

### القرآن وأهل البيت عدلان:

إن قليلاً من الدقة في مضمون أحاديث «الثقلين» - التي نقلنا بعضاً منها في هذا الكتاب لقرائنا الأعزاء - يثبت أن القرآن وأهل البيت

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٩.

قرينان، وأحدهما بديل وعِدْلٌ للآخر، لأن الرسول صلى الله عليه وآله قال مراراً عديدة وبصراحة قاطعة، إنّ القرآن مع أهل البيت، وأهل البيت مع القرآن، لا يفترقان أبداً وإلى يوم القيامة، وسيحشران معاً.

وإذا دققنا النظر ببصيرة وإمعان في هذا الموضوع فسنصل إلى أن أهل البيت هم أفضل وأعلى من القرآن أيضاً.

ولدينا بهذا الخصوص الكثير من البراهين والدلائل الواضحة، وقد ذكرت مفصلة في محلها، وسنذكر هنا بعضاً منها كنموذج نكتفي به:

الأول: الأخبار التي وردت في أن علياً عليه السلام، هو أفضل من القرآن. ومنها الخبر الوارد في «مناقب ابن شاذان» نقلاً عن زيد بن ثابت، عن رسول الله صلى الله عليه وآله - وقد ذكرناه في الفقرات السابقة - حيث ورد فيه: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) واعلموا أن علياً لكم أفضل من كتاب الله لأنه يترجم كتاب الله تعالى».

يُستفاد من هذا الحديث الشريف، الذي يصرح بأفضلية أمير المؤمنين علي عليه السلام، على القرآن الكريم، وعلة ذلك أن علياً عليه السلام، هو مفسر القرآن ومعلمه. ومن البديهي أن معلم أي كتاب هو أعلى من ذلك الكتاب.

الثاني: يتضح من الحديث أعلاه أيضاً، أن القرآن الكريم كتاب يحتاج إلى معلم ومفسر لأنه يصعب علينا فهمه ودرك ما في هذا الكتاب السماوي الخالد من معانٍ ومفاهيم دقيقة من دون تعليم وإرشاد

أساتذته الأجلاء، بل يستحيل ذلك .

وما نجده من تفاسير كبيرة للفريقين (الخاصة والعامّة)، وبمجلدات عديدة يفوق عدد بعضها المائة، في شرح وتفسير آيات القرآن الكريم لأكبر دليل على احتياجنا إلى هؤلاء الأساتذة، وإلا لما كتبت كل هذه التفاسير، ولأمكن لكل مُلِمٍّ باللغة العربية أن يصل إلى معانيه وأسراره بتلاوة آياته المباركة، في حين أننا نجد حتى أولئك الذين قضوا أعواماً كثيرة بصحبة النبي صلى الله عليه وآله وعاصروا نزول آيات القرآن الكريم عليه - وقد أطلق على بعضهم اسم كاتب الوحي - ومع ذلك نجدهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا يرجعون في فهم آياته المباركة إلى باب علم النبي أمير المؤمنين علي عليه السلام لأنه هو وأولاده الأطهار وحدهم، هم الذين عينهم الله عزّ وجلّ بواسطة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لتفسير قرآنه وتوضيح معانيه وبيان أسرارهِ .

لقد ذكرنا هذا الموضوع بالتفصيل في الجزء الثاني من كتاب «الولاية: بحث حول الولاية من وحي القرآن» الذي هو مقدّمة لعلم التفسير، وأثبتنا هناك أن جميع الصحابة حتى مدّعي الخلافة منهم كانوا تلاميذ علي عليه السلام، ولولاهم لهلكوا في ظلمات الجهالة على اقرار الخليفة الثاني حيث قال: لولا علي لهلك عمر<sup>(١)</sup>.

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي شارح نهج البلاغة - وهو من أجلة علماء أهل السنّة - بخصوص هذا الموضوع بقصيدة من قصائده السبع التي أنشأها في مدح وتبيين فضائل علي عليه السلام، يقول في بيت منها:

(١) مناقب الخوارزمي: ٣٩، الرياض النضرة: ١٩٦/٢ ذخائر العقبى: ٨٠.

لولاه ما وجدوا كفوآ لفاطمة لولاه لم يفهموا أسرار قرآن  
الثالث: إن القرآن الكريم هو كتاب الله الصامت، وأهل البيت  
عليهم السلام هم كتاب الله الناطق، وقد فاق حدّ التواتر قول أمير  
المؤمنين علي عليه السلام: «أنا كتاب الله الناطق»<sup>(١)</sup>.

ومن البديهي أن الناطق هو دائماً أفضل وأعلى من الصامت، لأن  
الصامت لا يمكن لأحد أن يستفيد منه من دون وجود ناطق يوضح ما  
فيه، وقد أجاد من قال:

ساووا كتاب الله إلا أنه هو صامت وهم الكتاب الناطق

## الوجود التدويني والوجود التكويني:

الرابع: لكل موجود وجود تدويني ووجود تكويني:

أ - الوجود التدويني: هو عبارة عن مجموعة أوصاف وحدود  
وخصائص يتصف بها الموجود، ويمكن كتابتها في كتاب ما.

ب - الوجود التكويني: هو عبارة عن تجسّم وتمثّل تلك  
الأوصاف والحدود والخصائص التي كتبت عنه، في العالم الخارجي.

فعلى سبيل المثال لو أردنا أن نذكر خصائص الإنسان الكريم في  
أحد فصول كتاب أخلاقي، فسنقول وباختصار: إن الإنسان الكريم هو

---

(١) جاء في ينابيع المودة: ٦٨/١. وفي المناقب: «ولما أراد أهل الشام أن يجعلوا  
القرآن حكماً بصفين قال الإمام علي - رضي الله عنه -: أنا القرآن الناطق». و  
ذكر في تفسير الكاشف: ١٤/٢، قول أمير المؤمنين عليه السلام: «ذاك القرآن  
الصامت وأنا القرآن الناطق».

الذي ينفق ماله على الآخرين، خصوصاً على الفقراء والضعفاء، ولا يَحْرُمُ من كرمه أحداً، ولا يردّ سائلاً قدر استطاعته، وأحياناً يؤثر الآخرين على نفسه فيبقى جائعاً ليشبع شخصاً آخر، وهذا منتهى الكرم حيث وجود بما لديه وبما يمكنه، ويؤثر الآخرين على نفسه: وهذا وجود تدويني للإنسان الكريم.

أما إذا وجدنا هذه الصفات في شخص له وجود خارجي كمصداق لها، حيث تتجسم فيه هذه الخصائص في عالم الشهود، فيكون هذا الشخص وجوداً تكوينياً للكريم.

إننا لو شرحنا حياة حاتم الطائي المعروف في كتاب التاريخ، فكلامنا هذا هو وجود تدويني له، أما نفس حاتم الطائي بسخائه وكرمه عندما يكون متجسماً في الخارج فهو وجود تكويني له، وهذه القاعدة جارية في جميع أنحاء الخلق.

إن الوجود التدويني ليس هو إلا شرح ووصف لشيء أو لشخص معين دون أن يكون له أي أثر آخر في العالم الخارجي، كما لو شرحنا لجائع مئات المرات عن حياة حاتم الطائي وسخائه وكرمه وما كان يبذله من طعام وغذاء للجائعين. وهو ما نعبر عنه بالوجود التدويني. فإنه سوف لا يشبع من ذلك، أما الوجود الخارجي لحاتم الطائي - أي الوجود التكويني له - في حياته فقد أشبع المئات أو الآلاف من البطون الجائعة.

نخلص إلى القول: إن الوجود التكويني لأي موجود هو أعلى وأفضل من الوجود التدويني له لما يملك من أثر في العالم الخارجي.

والآن لنطبق هذه القاعدة بشأن القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام:

إن القرآن الكريم هو الوجود التدويني لأهل البيت عليهم السلام وأهل البيت هم الوجود التكويني للقرآن المجيد.

فلو وضعنا هذا الكتاب السماوي المقدس عشرات السنين في رفٍ من رفوف المكتبة تاركين له من دون قراءة ولا تعمق ولا تدبر بآياته الكريمة وبمضامينه العالية، فلم نحقق ولم نطبق مفاهيمه في العالم الخارجي، فمن البديهي في هذه الحالة، أن لا يكون له أي نفع في المجتمع والناس (مع أن هذا الكتاب هو كلام إلهي ورد على اللسان المبارك لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، وله أثر تبرّكي ومعنوي بشكل يجعل وجوده في المنزل، أو النظر إلى صفحاته، أو قراءته سبباً للأجر والثواب والفضيلة).

إن هذا الكتاب السماوي المقدس والمحير للعقول سيجلب أنظار الناس إليه، ويشدّ عقولهم إلى تعاليمه العالية ويسوقهم ويقودهم نحو السعادة الحقيقية والمدينة الفاضلة إذا قرئت آياته بتدبر وتعقل، ثم طبقت مفاهيمه ومسائله بعد دركها بالشكل الصحيح في المجتمع وفي الحياة.

ولذا دعا هذا الكتاب المقدس الناس في المئات من آياته البينات إلى التدبّر والتعمّق فيه، والعمل بما جاء به مرغباً ومشوقاً لهم، وطالباً منهم تحقيق أحكامه ومسائله في العالم الخارجي بقدر الوسع والطاقة والعمل على ضوئه.



أما الذين يقرأون القرآن ولا يعملون به ولا يجسمون مفاهيمه في العالم الخارجي، فقد ذمهم القرآن الكريم، وشبههم في الآية الخامسة من سورة الجمعة المباركة بالحمار الذي يحمل كتبا وأسفارا وليس له من ذلك إلا التعب والجهد.

وللأسف، فعلى مدى السنين والقرون المتتالية وحتى في هذا العصر المتطور، نجد أن أغلب الناس من المسلمين يكتفون بامتلاك نسخة من القرآن الكريم يضعونها في بيوتهم، أو على الأبعد يقنعون أنفسهم بقراءة عدة آيات منه في اليوم، معرضين عن فهم مطالبه، غافلين عن العمل بمضامينه، ومع الأسف فإن أغلبهم لم يسلكوا الطريق المستقيم فابتعدوا عن المدينة الإسلامية الفاضلة.

لو ذهب إنسانٌ إلى سوقٍ صغيرٍ في بعض المجتمعات الإسلامية، لشراء متاع معين، ودخل إلى ذلك السوق لوجد أن صوت تلاوة القرآن الكريم يملأ فضاء ذلك المكان بقراءة صحيحة، وبتجويد كامل، وصوت حجازي جميل، عن طريق مكبرات صوتٍ وزعت في أرجاء ذلك السوق، مما يعطي المكان أبعاداً ملكوتية وصفاءً روحياً.

ويرى على مدخل هذا السوق لافتة كبيرة، مكتوباً عليها مثلاً، عبارة «سوق الحجة المنتظر (ع)» بخطٍ جميل وواضح فمع سماعه لتلك الآيات السماوية، ورؤيته لهذا الاسم النوراني المقدس، يظن أنه دخل إلى مدينة صاحب الزمان - أرواحنا فداه - وخصوصاً، عندما يسمع من البائع الحديث عن حجه لبنت الله الحرام وأنواع القسم والأيمان التي يستعملها في حديثه، فينجذب الإنسان نحو ذلك المكان

معتقداً بأنه مجتمع إسلامي .

ولكن عندما يتعامل مع بعض البائعين، سرعان ما يكتشف أن الأمر غالباً - وللأسف - عكس ما كان يتوقع، فالرذائل حلت محل المحاسن، وتلاوة هذه الآيات المباركة، ليست إلا أصوات تردد لتملاً فضاء ذلك المكان دون أن يكون لها أي أثر خارجي وعملي .

إن القرآن يصرخ هنا ليقول: إنكم تكذبون؛ وهذا البائع المسلم ظاهراً يكذب في معاملته .

وينادي بصوت جلي: لا تغشوا، فإن هذا البائع المتظاهر بالإيمان، يعطي للمشتري بضاعة مغشوشة .

هذا بالإضافة إلى الخبائث والمظالم الأخرى التي يعجز القلم عن شرحها ويخجل من كتابتها! .

ومثله سائر المجتمعات التي أساءت الاستفادة من القرآن الكريم، ومن اسم الإسلام العظيم على مرّ التاريخ، أمثال عمرو بن العاص الذي رفع القرآن الصامت على الرّماح ليحني به ظهر القرآن الناطق، وأمثال مروان، وأمثال شريح، وأمثال عمرو بن عبّيد، وأمثال يحيى بن أكثم... وغيرهم من بداية صدر الإسلام إلى زماننا هذا حيث جلسوا على كرسي الفتوى والقضاء، ولكن طعنوا الحق والعدالة من الخلف. وإن كنت أريد أن أكتب في كل ذلك لطلال بنا المقام، وخرجنا عن المراد في هذا الكتاب .

إذاً يجب أن يكون للقرآن جانب تكويني، وتطبيق عملي يجسم مضامينه العالية في الخارج وبين المجتمع بشكل محسوس وملمس،

لتظهر للناس آثاره المعجزة وتقتلع من الأرض جذور الظلم والكذب والغش والرياء والتزوير، ولتظلّل الشجرة المقدسة المحمدية المجتمع البشري بأوراقها الجميلة والطرية، وثمارها الحلوة المعطرة والتي هي عبارة عن العدالة والمساواة والصدق والإخلاص وسائر الفضائل الأخلاقية، وما لم يكن ذلك فلن يستطيع أي حزب أو أي قانون أو أية مجموعة من الناس إصلاح هذا المجتمع المتلاطم في مشكلاته ومعضلاته.

إن كل ما قلناه أعلاه يتلخص بهذه الجملة: إن كتابة وطبع القرآن الكريم بورق فاخر وتجليد مذهّب، وتلاوته بصوت جليّ أمرٌ حسن، ولكن لا يكفي، بل يجب تطبيق معاني القرآن وتعاليمه والأخلاق الفاضلة التي وردت فيه في المجتمع البشري، وتجسيما فيها بشكل محسوس وواضح.

وباتفاق الفريقين نجد أن تجسّم آيات القرآن الكريم بشكل كاملٍ ومحسوس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كان بوجود أمير المؤمنين علي عليه السلام المقدس، والصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء وأولادهما الأطهار من الأئمة المعصومين عليهم السلام، ففي الواقع هم الكتاب التكويني لله عزّ وجلّ والقرآن الناطق دون غيرهم.

ومن البديهي أن الوجود التكويني لأي شيء هو أفضل وأعلى من الوجود التدويني له، ولا يترك القول، أن معنى كلمة «أفضل» هو غير معنى كلمة «أكبر» أو «أطول» فكلمة «أفضل» تفيد علو الرتبة والسمو، أما كلمة «الأكبر» و«الأطول» فلا تفيد إلا القياس والحجم.

إن «الأكبر» و «الأطول» لا يُفِيدان معنى الأفضلية والتمييز في اصطلاح أهل اللغة، وعلماء التفسير فقط، بل حتى في أقوال الأئمة المعصومين عليهم السلام، بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله، في بعض روايات الثقلين من أن القرآن هو ثقل الله الأكبر وأهل البيت عليهم السلام، هم ثقل الله الأصغر، لا يراد من ذلك، أن القرآن هو أفضل من أهل البيت عليهم السلام، بل أن هذه التعبيرات تقصد أموراً أخرى، أو أطلقت لأهداف معينة خارجة عما نحن فيه، وإن شاء الله سنوضحها في محلها.

وبعد، فقد أوضحنا أفضلية أهل البيت عليهم السلام على القرآن الكريم بالأدلة النقلية والعقلية أعلاه - وهي في الواقع كلمة من ألف - وسوف لا نحتاج إلى مزيد من الإثبات وطرح مباحث أخرى في هذا الموضوع.

إن أفضلية أهل البيت عليهم السلام - أو على الأقل مساواتهم للقرآن - تعني أن جميع خصائص ومزايا القرآن الكريم في الكتاب والسنة هي كلها ثابتة ومعينة لأهل البيت عليهم السلام بطريق أولى أو باعتبار المساواة بينهما على الأقل.

وعندما ندرس ونحلّل تلك الخصائص والمزايا، نواجه المسائل المهمة والأساسية الآتية:

## ١ - الخلافة:

إن الذي يظهر لكل عاقل وفاضل - ممن له المعرفة بأحاديث

الأئمة المعصومين عليهم السلام - من سياق حديث «الثقلين» الشريف المتفق عليه لدى الفريقين أن العترة المعصومين علي وآل علي (الأئمة الاثنا عشر) صلوات الله عليهم هم خلفاء الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بلا فصل، وكل من تمسك بالقرآن الكريم وبهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنهم يهدونه إلى الصراط المستقيم، وإلى الحق والحقيقة وإلى طريق النجاة، وعلى العكس فكل من خالفهم وتخلف عنهم، سيكون مصيره الضلال الأبدي، وظلمات الكفر والنفاق.

وكما قلنا: إن المستفاد من مدلول هذا الحديث الشريف، أن رسول الله صلى الله عليه وآله، ذكر هذا القول في حال الوصية، فأغلب الأحاديث المنقولة بهذا الشأن كانت بألفاظ مختلفة وكنيات متعددة، ذكر فيها للناس أنه يوشك أن يقبض، ويترك الدار الفانية، وأنه تارك لهم خليفتين وهما: القرآن وأهل البيت عليهم السلام، وخصوصاً ما ورد في بعضها حين عبّر عن هاتين الأمانتين العظيمتين بلفظ «الخليفة» وقال: «إني تارك فيكم خليفتين...» (مسند أحمد بن حنبل).

فلا يبقى لأحدٍ بعد ذلك شك في أن الخليفة بلا فصل لرسول الله صلى الله عليه وآله، هو القرآن وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

إن سياق هذا الحديث الشريف جليٌّ ومحكم بشكل حتى لو لم يكن لدينا معه أية رواية أخرى أو دليل آخر على أن خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل هو علي عليه السلام، لكان كافياً لأي بصير ومنصف، ولا يحتاج إلى إثبات آخر.

هذا في حين أن هناك بالإضافة إلى هذا الحديث أحاديث أخرى كثيرة وردت في كتب الفريقين في مبحث الخلافة، وهي مليئة بالشواهد المحكمة، والأدلة القوية، من الآيات المباركة والأحاديث الشريفة المتواترة والمجمع عليها مما لا يسع المجال لذكره مفصلاً، وقد تعرضنا إليها في الجزء الأول من كتاب «الولاية: بحث حول الولاية من وحي القرآن» فذكرنا قسماً منها، وخصوصاً حديث «الغدير» المشهور مع ذكر أسانيده ومصادره.

ولكن بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله عن الدنيا، لم يعمل - للأسف - بوصيته الصريحة والواضحة، بل حدث العكس من ذلك في هذه المسألة المهمة، فكان لهذا العمل المفجع والظالم أن غير مسار التاريخ ومقدّرات البشرية في غير الاتجاه الذي أراده النبي صلى الله عليه وآله. وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون!.

لقد كنت في أول شبابي أعيش في المدارس العلمية مكباً على الدراسة وتحصيل العلوم الدينية، وكنت حينما أسمع من أساتذتي القصة المؤسفة لغضب الخلافة، وما أصاب أهل البيت عليهم السلام من ظلم، كنت أطيل التأمل والتفكير بعد عودتي الى المنزل في هذه القصة متسائلاً: كيف يمكن أن يضيع حق بهذا الوضوح!؟

والأعجب من ذلك: كيف يمكن أن يكون أمير المؤمنين علي عليه السلام، جليس الدار وهو أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله، وكان له الدور الأساس في معارك الإسلام مع الكفر، وله

الصولات والفتوحات، وهو من نودي بحقه في السماء: لا فتى إلاّ علي ولا سيف إلاّ ذو الفقار<sup>(١)</sup>.

ومن قال النبي صلى الله عليه وآله في حقه: «ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين»<sup>(٢)</sup>. ومئات الروايات المتفق عليها مما امتلأت بها الكتب، كيف يمكن لهكذا إنسان ملكوتي ملىء إيماناً وتوحيداً وسخاءً وعدالةً وشجاعةً وعبادةً أن يكون جليس الدار، وزوجته وهي بضعة النبي صلى الله عليه وآله ونور عينيه، الوحيدة الباقية من ذريته، تُضرب فتمرض وتموت بذلك الوضع الأليم، ويظلم أولادها الأطهار جميعاً ويستشهدون ظلماً وعدواناً!!

وفي مقابل ذلك نجد أمثال مروان ومعاوية والوليد يتصدون لأمر المسلمين مع كل ما لديهم من تاريخ مشين، حيث كانوا يعارضون رسول الله صلى الله عليه وآله باستمرار، ويقابلونه بالفتن والمؤامرات والحروب التي يريدون بها القضاء على الإسلام هم

---

(١) روى الطبري في تاريخه: ١٩٧/٣، قال: «لما قتل علي بن أبي طالب عليه السلام أصحاب الألوية أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة من مشركي قريش فقال لعلي عليه السلام: إحمل عليهم فحمل عليهم ففرق جمعهم وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي... قال: فسمعوا صوتاً: لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي».

وذكر هذه الرواية المحب الطبري في الرياض النضرة (ج ٢/١٧٢). وعلي بن سلطان في مرثاته: ٥٦٧/٥. وراجع أيضاً كثر العمال: ١٥٤/٣. وفضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٣٥١/٢. ومناقب الخوارزمي: ١٦٧، ح ٢٠٠. وينابيع المودة: ٣٤/١، وفي ص ٧٨ عن النبي صلى الله عليه وآله.

(٢) نور الأبصار: ٨٨.

وأباؤهم، وقد قضوا عمراً بالشرك والفسق وسائر الخبائث، مما يخجل  
عن تسطيره القلم!!

ولماذا يجلس على كرسي الخلافة الإسلامية ومنبر رسول الله  
صلى الله عليه وآله هكذا أناس، فيمسكون بزمام الإسلام والمسلمين،  
ويتوارثون هذه الأمانة الإلهية بينهم نسلاً بعد نسل، ويورثونها خلفاً  
أشرّ منهم، لماذا؟!

في الحقيقة كنت أعجز تماماً عن حلّ هذا اللغز، وكان قلبي  
يحترق لهذا الأمر، إلا أنني لم أستطع أن أصل فيه إلى أية نتيجة، أو  
جواب مقنع! إن حدوث هكذا أمر في العالم الإسلامي هو في الحقيقة  
طعنة نجلاء في قلبي، ولكن بعد أن تقدّم بي السنّ وكثرت دراستي  
للتاريخ وخصوصاً القصص القرآنية ذات العبرة، وما لاقيته في مسيرة  
حياتي من أمور وتجارب، فرأيت بأّمّ العين أشخاصاً كانوا موضع ثقتي  
واعتمادي من جميع الجهات، ولكن في النهاية صدر منهم ما لا يُحمد  
فعرفت أن هناك - وللأسف - هكذا أمور تحدث في هذه الدنيا الدنيئة!!

نعم، إن للشيطان الرجيم وشياطين الإنس وجوداً في كل عصر  
وزمان، مما يجعل حدوث المظالم أمراً ممكناً وعادياً، فما أكثر أمثال  
علي عليه السلام على مدى التاريخ ممن أصبحوا جلساء دارهم، في  
حين أن أمثال معاوية جلسوا بمقامهم ومحلهم، وقد ذكر القرآن الكريم  
في آياته البيّنات علة ذلك، وشرّح الأئمة المعصومون عليهم السلام  
هذا الأمر في أحاديثهم الشريفة مما لا يسع هذا المختصر أن يوردها  
بالتفصيل.



وخلاصة القول: إن هذه الدنيا هي دار امتحان، يتعرض فيها الجميع للاختبار والامتحان أمام الموازين الإلهية. يقول الله عزّ وجل، في سورة العنكبوت: ﴿ألم \* أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون \* ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين﴾<sup>(١)</sup>.

إن الله عزّ وجل العادل المتعال قد امتحن حتى أوليائه وأنبياءه، أمثال موسى وداوود وسليمان وغيرهم عليهم السلام، وغالباً ما كان موضوع الامتحان يتعلق بالأئمة المعصومين الإثني عشر عليهم السلام، وولايتهم ومحبتهم، وسيبقى هذا الامتحان إلى يوم القيامة. أعاذنا الله تعالى من زلة الأقدام، وثبتنا بالقول الثابت على وولايتهم ومحبتهم بحقهم عليهم السلام، والعاقبة للمتقين.

وخلاصة القول، إن مسألة الخلافة وولاية علي وآل علي عليهم السلام هي مسألة ليس هناك في المسائل والموضوعات الإسلامية مسألة بوضوحها، وما جرى في ذلك اليوم وإن كان في الظاهر هو غضب حق مسلم وضياعه، إلا أن الفضيحة كانت في عاقبة الأمر لهم. وقد قال سلمان (المحمدي) - رضوان الله عليه - حينها: (كردند ونكردند) ومعناه باللغة العربية، أنهم فعلوا ولم يفعلوا. أي إنهم حتى لو استطاعوا في ذلك اليوم أن يسيطروا على مقام الخلافة والولاية ويتصدى بعض مدّعي الإسلام لهذا الأمر - وكما يقول سلمان إنهم فعلوا ما يريدون - إلا أن المدة لم تطل بهم حتى افتضح أمرهم وفشلوا

(١) سورة العنكبوت، الآية: ١ - ٢ - ٣.

في هذا الامتحان الإلهي في الدنيا، حتى أنهم اعترفوا بهذا الخطب العظيم والخيانة التاريخية - وكما قال سلمان أيضاً إنهم لم يفعلوا ما أرادوا أن يفعلوه ولم ينجحوا فيه - فلن تنطلِ الخدعة، ولم تنجح الخيانة مع كل ما رافقها من وسائل دعائية، حتى أننا نجد اليوم اسم علي وآل علي عليهم السلام في أعلى درجات الفخر والشرف عبر التاريخ، وقد عكسوا للإنسانية وللمسلمين أسمى الصور وأطهر النماذج، وظلت الشهادة الثالثة «أشهد أن علياً أمير المؤمنين ولي الله» تتردد في المآذن وعبر مكبرات الصوت وأجهزة المذياع والتلفاز لتصل إلى أبعد النقاط في العالم.

ونجد في المقابل صفحات سوداء من التاريخ، قد سجلت تلك الخيانات والانحرافات التي مارسها هؤلاء المفسدون عبر أربعة عشر قرناً من تاريخ الإسلام الطويل، مما يبكي عيون الإنسانية، ويُسوّدُ ذاكرة التاريخ، ويوجه أصابع الاتهام والرفض لهم، حاكماً عليهم بالخسران المبين.

إننا لا نجد اليوم في أوساطنا الإسلامية إسماءً أو شعاراً لأولئك الطغاة، وكأن نسلهم قد انقطع نهائياً من مجتمعاتنا ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العلمين ﴾<sup>(١)</sup>.

ولا نجد اليوم لتلك الشجرة الخبيثة بما كانت تحمله من أغصان وأوراق مسمومة، تبتّ سمها في العالم الإسلامي، لا نجد لها أثراً

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٤٥.

بيننا، وقد اقتلعت من جذورها من سطح الأرض: ﴿ اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾<sup>(١)</sup>.

واعلموا يقيناً، أن الطواغيت الصغار والظالمين ستكون لهم هذه العاقبة أيضاً، وسيقتلعون من الأرض ليكونوا حطب جهنم، وخصوصاً عندما تشرق شمس الحقيقة، وتسطع بظهور حامل لواء العدالة قائم آل محمد الحجة ابن الحسن العسكري - أرواحنا فداه - ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً: ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون ﴾<sup>(٢)</sup> وهو يوم سيكون من أيام الله وعيداً كبيراً للمؤمنين.

وأخيراً، أقول لكل أولئك الأعداء الذين أصابتهم حالة من الحيرة والتعجب مما جرى في تاريخنا، ولعلهم يتساءلون أحياناً عن علة حدوثه.

أقول لهؤلاء: إن شمس الحقيقة حتى وإن غابت لحكمة إلهية بالغة خلف غيوم مجازية إلا أنها في عاقبة الأمر ستظهر، وستنجلي بظهورها كل الحجب المظلمة، وينتفي الظلم، فتشرق شمس العدالة لتنير بشعاعها الجميل العالم البشري، فيأخذ كل ذي حق حقه فبشرى للمظلومين.

إن التساؤل عما حدث والاستنكار لما جرى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو تساؤل طالما نجده على مدى التاريخ البشري، فقد تناولته كتب الفلسفة، وهناك أجوبة لكل منها ولكن لا يتسع هذا المختصر لتفصيل ذلك، بل يحتاج ذكرها إلى كتاب منفصل، ولذا

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤.

ستترك الحديث في هذا الأمر إلى مناسبة أخرى.

## ٢ - الطهارة:

لا شك أن القرآن الكريم في منتهى درجات الطهارة، حتى أن لمس آياته وكلماته المباركة من دون طهارة شرعية هو من المحرّمات، وقد قال القرآن الكريم في ذلك: ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾<sup>(١)</sup>.

إن أهل بيت النبوة عليهم السلام الذين هم عدل القرآن ومساووه، بل وأفضل منه - كما أثبتنا ذلك في البحوث السابقة - هم في مسألة الطهارة طاهرون مطهّرون ومنزّهون من جميع الأرجاس والأدناس، ولدينا أدلة لا تعدّ ولا تحصى في خصوص طهارتهم المطلقة ومنها آية التطهير المباركة: ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾<sup>(٢)</sup>. وقد أدى العلماء هذا الموضوع حقه، بما كتبه في هذا الشأن في كتبهم<sup>(٣)</sup>، ولكن مع كل ما لدينا من أدلة وشواهد، فإننا نجد أن حديث «الثقلين» الشريف هو أفضل إثبات لطهارة الأئمة عليهم السلام، إذ لا نحتاج معه إلى أي دليل آخر.

لقد ذكرت في الجزء الأول من كتاب «الولاية: بحث حول الولاية من وحي القرآن» شرحاً موسعاً على قدر طاقتي في هذا

(١) سورة الواقعة، الآية: ٧٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٣) راجع على سبيل المثال «ينابيع المودة»: ١٠٦، ب ٣٣.

الموضوع ضمن الفصل الخاص بتفسير آية التطهير المباركة.

### ٣ - الشرف:

لقد أجمع المسلمون كافة في العالم، بل وهناك عدد لا يحصى من المحققين والمنصفين من سائر الأديان، يعتقدون بأن القرآن الكريم هو أشرف كتاب موجود على الأرض، وقد نسخ بجلالة شأنه، وشرف مقامه، جميع الكتب السماوية، وغير السماوية، فألفاظه في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة، ومقاله في أعلى طبقات العلم والحكمة، وشرف كل شيء يرتبط بمحتواه، وبما أن القرآن الكريم هو أثرى كتاب في العالم من حيث المحتوى فلا بدّ من أن يكون أشرفها جميعاً.

وكذلك هم عدلُ القرآن (الكتاب المقدس) أي أهل بيت النبوة عليهم السلام، فهم أشرف الكائنات وخالصة الوجود البشري، بل هم منبع الشرف والسيادة في العالم دون غيرهم، وهناك آيات وزوايات كثيرة جداً في هذا الشأن مما لا يخفى على أهل العلم والفضل، وقد ثبت أن العرش الإلهي مزين ومشرف بوجودهم عليهم السلام.

ما أجمل ما قال الفرزدق - رحمه الله - بهذا الخصوص ضمن قصيدة غراء مدح فيها الإمام السجّاد عليه السلام، فقال:

إن عُدَّ أهل التقي كانوا أئمتهم      أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم<sup>(١)</sup>

(١) ديوان الفرزدق: ١٧٨/٢ (ط. بيروت)، وأخرج القصيدة الكشي في رجاله على ما في منتخبه لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي: ٢٩، رقم ٢٠٧ (ط. المصطفوي). والسيد المرتضى في أماليه: ٦٧/١. وأبو الفرج الأصفهاني =

ونجد أن كل من ينتسب إليهم عليهم السلام من جهة الأب يسمى «السيد» وكل من ينتسب إليهم من جهة الأم يدعى «الشريف» .  
 إن أعلى درجة للشرف هي العزة، وقد اختصها الله عز وجل لنفسه ولرسوله وللأئمة الطاهرين عليهم السلام، فقال: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾<sup>(١)</sup>.

ومن الواضح أن المؤمنين الواقعيين، هم الأئمة الطاهرون عليهم السلام وأمير المؤمنين هو علي بن أبي طالب (ع)، أما بقية المسلمين فبايمانهم وإذعانهم بولايته يدخلون في فرقة المؤمنين.

ذكر الزمخشري في «ربيع الأبرار»، قيل للحسن بن علي عليهما السلام: فيك عظمة!

قال: لا، بل في عزة<sup>(٢)</sup>، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ولله العزة

= في الأغاني: ٣٢٦/١٥ (ط. دار الكتب). وحلية الأرباب: ١٣٩/٣. وصفة الصفوة: ٥٤/٢. وطبقات الشافعية: ١٥٣/١. شذرات الذهب: ١٤٢/١. وفيات الأعيان: ١٤٥/٥. وحياة الحيوان: ٩/١ (الأسد). والبداية والنهاية: ١٠٨/٩. وشرح الحماسة للتبريزي: ٢٨/٢. وقد روى ابن المغازلي: ١٩٢، ح ٤٤٧، بإسناده قال: «حج هشام بن عبد الملك في خلافة الوليد فكان إذا أراد استلام الحجر زوحم عليه، وحج علي بن الحسين عليه السلام فكان إذا دنا من الحجر يفرق عنه الناس إجلالاً له، فوجم لذلك هشام وقال: من هذا؟ فما أعرفه؟ وكان الفرزدق واقفاً فأقبل على هشام فقال:  
 هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم  
 (إلى آخر القصيدة).

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٢) ربيع الأبرار: ٧٣/٤. وذكره في مناقب ابن شهر آشوب: ١٣/٤.

ولرسوله وللمؤمنين ﴿١﴾.

وقد ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة: «طأطأ كل شريفٍ لشرفكم، وبخع كل متكبرٍ لطاعتكم، وخضع كل جبارٍ لفضلكم، وذَلَّ كل شيءٍ لكم»<sup>(٢)</sup>.

#### ٤ - سماوية القرآن:

إن القرآن الكريم هو كتاب إلهي نزلت جميع آياته وكلماته من الله عزّ وجلّ ومن عرشه الأعلى على رسوله صلى الله عليه وآله، ولذا وصف بأنه كتاب سماوي، وقد تحدث الله عزّ وجلّ عنه فقال في آيات متعددة من القرآن الكريم: ﴿تنزيل من رب العلمين﴾<sup>(٣)</sup> و ﴿تنزيل من الرّحمن الرّحيم﴾<sup>(٤)</sup>.

إن القرآن الكريم في ظاهره يشبه بقية الكتب، فلو وضع في مكتبة ضمن مجموعة كتب أخرى، فسوف لا يميّز الجاهل هذا الكتاب عنها لأنه في الظاهر شبيه لها، ولكن الفرق الأساس بينه وبينها هو أنه كتاب وحي، مما أعطاه هذه العظمة والجلالة والعلم والطهارة، فالقرآن هو معدن الوحي الإلهي، أما سائر الكتب فليس لها هذا الامتياز. فلو قال القرآن الكريم لسائر الكتب - مثلاً - وبلسان الحال:

- 
- (١) سورة المنافقين الآية: ٨.
  - (٢) راجع كتب الأدعية والزيارات.
  - (٣) سورة الواقعة، الآية: ٨٠.
  - (٤) سورة فصلت، الآية: ٢.

«أنا كتاب مثلكم إنما يوحى إليّ» لكان كتاباً مثلها على الظاهر إلا أنه يوحى إليه ولكن حاشا وكلا! فكل من يعتقد بذلك يكون منحرفاً عن جادة الحق والصراط المستقيم.

وكذلك هم عدل القرآن الكريم - أي رسول الله صلى الله عليه وآله، وأولاده الطاهرون عليهم السلام - فهم موجودات ملكوتية وسماوية، فظاهرهم يشبه سائر الناس إلا أن باطنهم كنز للوحي والإلهامات الإلهية، وهم بالنسبة إلى سائر الناس كالقرآن بالنسبة إلى سائر الكتب، وهذا هو المعنى الحقيقي لقوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ﴾<sup>(١)</sup>.

إن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأولاده الطاهرين الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، يشبهون سائر الناس ظاهراً، وكما يقول المشركون: ﴿يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾<sup>(٢)</sup>.

إن هذا الشبه هو شبه ظاهري، في حين أن بعض الناس الفاقدين للدراية والبصيرة يتمسكون بظاهر هذه الآية المباركة فيزيلونهم عن مقامهم الملكوتي ودرجتهم اللاهوتية، التي خصهم الله عز وجل بها فجعلهم كنوز وحيه، ويضعهم الناس في صفهم وبعض الناس هم منبع للجهل والظلمة.

هذا بالإضافة إلى أنه سبحانه وتعالى قال في الآية المباركة: «أنا بشر مثلكم» ولم يقل «أنا بشرٌ عَيْنُكُمْ» فعند أهل اللغة والمعرفة، كلمة

(١) سورة فصلت، الآية: ٦.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧.



«عين» هي غير كلمة «المثل» فقطعة النقد المعدنية المغشوشة هي مثل القطع الحقيقية إلا أنها ليست عينها، وصورة أو تمثال الإنسان يكون مثله، ولكن ليس عينه، وكما قلنا إن أي كتاب هو في الظاهر مثل القرآن الكريم إلا أنه ليس عينه، فلو جاءت في الآية المباركة كلمة «عينكم» في مكان كلمة «مثلكم» لكان هناك محمل لهذا الإدعاء ولكن الحال مختلف.

إن الفرق بين الناس العاديين وبين الأئمة المعصومين عليهم السلام، الذين هم محال مشيئة الله، وحاملو إرادته، ومنبع علومه اللدنية، ومخازن وحيه الرباني، هو فرق ما بين الأرض والسماء، بل أكثر من ذلك وأعلى هو فرق بين المتناهي واللامتناهي.

نعم جاء في بعض الموارد احتمال استعمال كلمة «مثل» بمعنى كلمة «عين» احتمالاً ضعيفاً، إلا أن هذا الاستعمال كان مجازياً وليس حقيقياً، أما في الآية المباركة، فإن سياق الكلام، وخصوصاً مع وجود قرينة «يوحى إليّ» يثبت أن كلمة «مثل» هنا ليست بمعنى كلمة «عين».

## ٥ - العلم:

إن القرآن الكريم هو جامع لكل العلوم باتفاق جمهور علماء الخاصة والعامة، وهو كذلك في جميع الأعصار والأزمنة إلى يوم القيامة، وقد صرح القرآن الكريم بذلك، فقال في موارد عديدة: ﴿ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتبٍ مبينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

إن هذه الآية الكريمة تصرح بوضوح أنّ القرآن الكريم فيه بيان كل العلوم: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾<sup>(١)</sup> ﴿وكل شيء أحصيناه كتباً﴾<sup>(٢)</sup>.

واليوم وبعد مرور ما يقرب من أربعة عشر قرناً من تاريخ نزول هذا الكتاب المقدس، ثبت للجميع أن أسس وجذور جميع العلوم والمعارف العالمية، في المجالات كافة موجودة فيه:

فمن حكمة الخلق المتعالية وأسرار الخليقة المعقدة، وما يفوق ذلك مما لم يصل إليه العقل البشري في دائرة تصوره إلى الآن إلى أبسط الموضوعات اليومية، من قبيل ارتداء اللباس، وطريقة المشي، وما هو أبسط من ذلك أيضاً مما يلزم النظام الاجتماعي، كل ذلك نجده في القرآن الكريم بنحو صحيح وقاطع وغير قابل للنسخ، وكل ذلك شاهد بارز على أن القرآن الكريم جامع لكل علوم الأولين والآخرين.

وكذلك أهل بيت النبوة عليهم السلام فهم عدل القرآن الكريم، وقلوبهم المباركة مخزن لجميع العلوم ومعدن لها، ومخزن للحكم من بدء الخليقة إلى يوم المحشر. وليست هناك مسألة إلاّ وهم محيطون أعلى إحاطة ممكنة بها، وهناك بهذا الخصوص أدلة وبراهين ملأت كتب الفريقين، بل حتى بعض آثار المنصفين من سائر الأديان، وقد ذكرت في الجزء الأول من كتاب «الولاية: بحث حول الولاية من وحي

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٢) سورة النبأ، الآية: ٢٩.

القرآن " بعضاً منها في مسألة العلم ولا أجد داعياً لتكرارها هنا .

## ٦ - الإعجاز:

إن من المسلم لدى الجميع، أن القرآن الكريم هو أكبر معجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله، بل هو أظهر وأخلد معجزة موجودة في العالم اليوم، وكما يقول مارون عبود (بك) المسيحي - الأستاذ الجامعي في لبنان - مخاطباً رسول الله صلى الله عليه وآله: «لولا كتابك ما رأينا معجزاً» .

فإن سفينة نوح، ونار إبراهيم، وعصا موسى، ومعجزة عيسى، وبساط سليمان، ومئات المعجزات الأخرى للأنبياء السابقين عليهم السلام إنما كانت في زمانهم فحسب، وليس لها أي أثر في يومنا هذا، بل أصبحت من قصص التاريخ، (ولا شك أنها قصص حقيقية وواقعية)، أما القرآن الكريم فهو المعجزة الخالدة الوحيدة لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، وهي تتحدى يوماً وعلى مرّ التاريخ العالم الذي يقف حائراً أمام عظمتها وإعجازها .

لقد ثبت للجميع هذا اليوم، أن ظاهر وباطن وألفاظ ومعاني وسبك وأسلوب وكل خصائص هذا الكتاب السماوي المحيرة للعقول هي معجزة تفوق قدرة وتصور جميع الناس والعلماء .

وكذلك هم عدل القرآن الكريم، أي أهل بيت النبوة عليهم السلام، فهم منذ ولادتهم حتى آخر يوم من حياتهم الظاهرية كانوا في وجودهم وأقوالهم وأعمالهم وآثارهم كلها في حدّ الإعجاز، وارتبطوا

بما وراء الطبيعة كما هو المصطلح في علم الفيزياء. وكل من اطلع  
- ولو إجمالاً - على حياة أي من المعصومين الأربعة عشر عليهم  
السلام - المليئة بالإعجاز والسمو لأنهم خلاصة الجيل البشري - فإنه  
سينغوص لا محالة في بحر من التعجب والحيرة، مذهولاً أمام عظمتهم  
وجلالتهم.

ولا يترك القول، أن ما كتبه عنهم أعلاه من عبارة (من بداية  
ولادتهم حتى آخر يوم من حياتهم الظاهرية) هي عبارة محدودة لأن الله  
عز وجل جعلهم منذ صبح يوم الأزل وحتى نهاية ليل الأبد في مستوى  
عالٍ ومحير للعقول، مما لا يمكن لأي أحد سوى الخالق القادر  
المتعالي درك مقاماتهم النورانية: «يا علي ما عرفك إلا الله وأنا» .

إن جميع معجزاتهم الباهرة التي صدرت في حال حياتهم وبعد  
وفاتهم من مشاهدتهم المقدسة كلها، ترجمان لمقامهم الظاهري، أما  
باطنهم وحقيقتهم فخارجة عن دائرة تصوّرنا، بل حتى عن دائرة تصور  
الأنبياء الماضين: .

قال علي عليه السلام: «ظاهري إمامة وباطني غيب منيع  
لا يدرك»<sup>(١)</sup> وهذا قول نوراني مشهور لأمير المؤمنين علي عليه  
السلام.

---

(١) «صحيفة الأبرار» للمرحوم حجة الإسلام محمد تقي التبريزي المامقاني.

(المؤلف)

## ٧ - الأبدية:

إن القرآن الكريم هو كتاب خالد وناسخ لجميع الكتب السماوية وغير السماوية، وما ورد فيه من علوم وأحكام وأسرار وقوانين وأوامر ونواهي جعلته كتاب القانون الإلهي إلى يوم القيامة، مؤيداً من الله عزّ وجل، تأييداً أبدياً إلى يوم المحشر، وما دام هذا العالم باقياً فهو الكتاب الوحيد في القانون والعلم الذي يصلح للبشرية، ولن يكون هناك أي جديد، كما لم يكن، ليقف أمام وجوده النوراني، وكل من جرّب ذلك رجح خاسئاً ذليلاً مهزوماً.

وكذلك هم أهل بيت النبوة عليهم السلام - عدل القرآن - فإن وجودهم وإفاضتهم أيضاً خالدة لا تنقطع، وقد قرن رسول الله صلى الله عليه وآله، بينهم وبين القرآن الكريم إلى يوم القيامة، فقال: «لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

ولن يخلو زمان ولا عصر من أحدهم، سواء أكان ظاهراً مشهوراً أو غائباً مستوراً، ليتدبّر أمر العالم ومن في العالم بأمر من الله عزّ وجل، ويكون وسيلةً لإيصال اللّطف والفيض الإلهي إلى البشرية، ويكون قائدهم ودليلهم في الظلمات، وأمانهم وملجأهم في الأخطار.

## ٨ - الشفاء:

لقد ثبت بحكم آيات القرآن الكريم وشهادة التجارب العديدة المذكورة في الكتب المعنية والتفاسير الشريفة، أن القرآن الكريم شفاء

لجميع الأمراض الجسدية والروحية، والظاهرية والمعنوية<sup>(١)</sup> كما قال  
الله تبارك وتعالى: ﴿ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة  
للمؤمنين﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: ﴿يأتها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء  
لما في الصدور﴾<sup>(٣)</sup>.

وكذلك هم أهل بيت النبوة عليهم السلام - الذين هم عدل  
القرآن - فإن وجودهم المبارك شفاء ورحمة للموجودات كافة حتى  
ملائكة السماء، كانوا ولا يزالون وسيبقون كذلك إلى الأبد.

فكم من مريض صعب علاجه أو أصبح محالاً، وبعد يأس من  
مراجعة الأطباء الحاذقين أو من استعمال أنواع الأدوية والعلاجات من  
دون فائدة جاء إلى أطباء عالم الإمكان - سواء في زمان حضورهم أو  
غيابهم - فجعلهم شفاء له عند الله عز وجل، فشفي فوراً وبنظرة  
واحدة منهم شفاءً كاملاً.

يقول الإمام الصادق عليه السلام عن جدّه سيد الشهداء الحسين  
عليه السلام «وفي تربته الشفاء»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) إن لهذا الموضوع شروطاً عديدة سنعرض لها في كتابنا هذا عند تفسير سورة  
التوحيد المباركة فنَدعو القراء الأعزاء إلى مراجعتها لمزيد من الفائدة.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٤) بحار الأنوار: ٢٢١/٤٤، ح ١، عن أمالي الطوسي: ٢٠١، حيث ورد الاستشفاء  
بترية الحسين عليه السلام بشروط وتفصيل مذكورة في الكتب المختصة، راجع  
بحار الأنوار: ١٠٦/١٠١، ١٤٠، ب ١٦، وب ١٧.

إن من البديهي أن القرآن الكريم معصوم ومنزه عن أي خطأ أو زللٍ أو اشتباه أو إفراط أو تفريط وإلا سقط عنه الإعجاز وقد ورد فيه بهذا الشأن: ﴿ لا يأتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾<sup>(١)</sup>.

وكذلك هم أهل بيت النبوة عليهم السلام الذين هم عدل القرآن بل أفضل من القرآن فإنهم اختصوا بالعصمة التامة.

إن جميع أقوالهم وأعمالهم وحركاتهم وسكناتهم منزهة ومهذبة وبعيدة عن الاشتباه والخطأ وعارية عن السهو والنسيان وخالية من الزلل والذنب بل إن أي قول يتفوهون به وأي عمل يقومون به هو بأمر الله تعالى الخالق ذي الجلال كما في قوله تعالى: ﴿ وما ينطق عن الهوى \* إن هو إلا وحي يوحى ﴾<sup>(٢)</sup>.

إن صلحهم عليهم السلام هو بأمر الله، وحرّبتهم ودفاعهم أيضاً بأمر الله، وجميع أمورهم إنما هي فقرات في برنامج نظم من قبل الله عزّ وجل، ولذا فهم معصومون من جميع الجهات واختصوا بهذه العصمة الإلهية: «عصمكم الله من الزلل وآمنكم من الفتن وطهركم من الدّنس وأذهب عنكم الرّجس أهل البيت وطهركم تطهيراً»<sup>(٣)</sup>.

لقد حوت هذه الجملة من (الزيارة الجامعة الكبيرة) المعنى

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣ - ٤.

(٣) زيارة الجامعة الكبيرة (راجع كتب الأدعية).

الكامل للعصمة والظهارة وقد ذكرت في الجزء الثاني من كتاب «الولاية: بحث حول الولاية من وحي القرآن» بحثاً خاصاً بالعصمة ذكرت فيه أدلة كثيرة من القرآن الكريم وأحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام في هذا الخصوص.

## ١٠ - وجوب الطاعة:

إن إطاعة القرآن الكريم، والإنقياد لمضمون آياته الشريفة، والعمل بأوامره والانتهاز عن نواهيه، هي في رأس أمور ديننا المبين، وهي واجبة بأمر الله عز وجل، ويحرم التمرد عليها ومخالفتها فإن ذلك يوجب الكفر، ولدينا من الآيات الكريمة ما لو قلنا إن كل صفحة من القرآن الكريم، لا تخلو من شاهد على هذا الموضوع، لما كنا من المبالغين، وسنذكر هنا نماذج فقط من سورة الكهف المباركة: ﴿أولئك الذين كفروا بآيت ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ \* ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً ﴿<sup>(١)</sup>.

تلاحظون في هاتين الآيتين الكريمتين أن إنكار الآيات الإلهية - أي إنكار القرآن الكريم - مساوٍ للكفر، وجزاؤه حبط الأعمال يوم القيامة ودخول جهنم.

وكذلك هم أهل بيت النبوة المعصومون عليهم السلام - عدل القرآن - ففي الحقيقة أن إطاعتهم إطاعة الله عز وجل وللقرآن،

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٥ - ١٠٦.



والانحراف عنهم مخالفة لله وللقرآن، فيجب اتباعهم في جميع الأحوال وبأي عنوان كان، أما مخالفة أوامرهم فتوجب الكفر والخذلان في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى في هذا الشأن: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

ورد في تفسير الآية المباركة في قوله تعالى «أولي الأمر» أحاديث متواترة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام أن المراد بأولي الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة الطاهرون من أولاده عليهم السلام فقط.

ومن تلك الأحاديث نكتفي بهذا الحديث المعبر الذي ورد في أغلب كتب التفسير كنموذج:

روى العياشي عن بريد بن معاوية عن الإمام محمد الباقر عليه السلام في رواية طويلة أنه سأل الإمام عن المراد بأولي الأمر في الآية المباركة فكان جوابه عليه السلام أن قال: «إيانا عنى خاصة»<sup>(٢)</sup>.

وفي كتاب «المناقب» عن الحسن بن صالح، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أولو الأمر هم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام»<sup>(٣)</sup>.

ومن الواضح أن مراجع الدين والمجتهدين الكرام الحاملين لآثار أهل البيت عليهم السلام إذا توافرت فيهم الشروط التي ذكرها «الحجة

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) تفسير العياشي: ٢٧٢/١، ح ١٥٣، وعنه تفسير البرهان: ٣٨٤/١، ح ١٦. والبحار: ٦٠/٧. وتفسير الصافي: ٣٦٣/١.

(٣) ينابيع المودة: ١١٤/١.

المنتظر»<sup>(١)</sup> - أرواحنا فداء - فعلى العوام أن يقلدوهم - أعلى الله كلمتهم - في المسائل الشرعية الفرعية المطابقة للقرآن والسنة والعقل والإجماع.

ومن الشروط التي عينها الإمام عليه السلام للمجتهد والمرجع بالإضافة إلى المقام العلمي والقدرة على استنباط الأحكام الشرعية أن يكون، كما ورد في عبارة الإمام:

١ - «صائناً لنفسه» أي حافظاً لها من المحرمات بل حتى المكروهات واللذائذ الدنيوية.

٢ - «حافظاً لدينه» أي يحفظ دينه من الكدر وبيتعد عن البدعة، ويسير وفق سيرة الأئمة الطاهرين عليهم السلام ويحكم بحكمهم وأن يقاوم الظالمين والمستكبرين إذا جاروا على المؤمنين لحفظ الدين وأن لا يعتمد على الفسقة والكفرة ولا يسلمهم زمام الأمور.

٣ - «مخالفاً لهواه» أي يخالف هوى نفسه الأمانة بالسوء وبيتعد عن الشهوات وعن طلب الجاه وتكريس اللذات وغيره وغيره.

٤ - «مطيعاً لأمر مولاه» أي يطيع أمر ولي العصر «الحجة المنتظر» - عجل الله تعالى فرجه - فقط ولا يكون تحت تأثير عوامل أخرى بأي عنوان كان.

وهنا ألفت معنى أدق من الشعرة!

---

(١) بحار الانوار: ٨٨/٢، ح ١٢، عن تفسير الحسن العسكري والاحتجاج، وروى فيهما عن الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول: «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه».

## ١١ - الفاروق:

إن أحد أسماء القرآن الكريم «الفرقان» لأنه يفرق بين الحق والباطل، وقد ورد في سورة الفرقان المباركة قوله تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾<sup>(١)</sup> فنلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد سمى القرآن في هذه الآية بـ «الفرقان» لأنه يفرق بين الحق والباطل.

وكذلك الأئمة المعصومين من آل النبي عليهم السلام، فهم الفاروق الأعظم للأمة، وعظمتهم من عظمة النبوة ومحبتهم وولايتهم وطاعتهم محك بين الإيمان والكفر، وهم الذين يفرقون بين المؤمن والمنافق، والصادق والكاذب، وهناك آيات وأحاديث كثيرة بهذا الشأن، منها هذا الحديث الشريف:

عيون أخبار الرضا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لكل أمة صديق وفاروق، وصديق هذه الأمة وفاروقها علي بن أبي طالب عليه السلام إنه سفينة نجاتها...» إلى آخر الحديث<sup>(٢)</sup>.

## ١٢ - كلمات الله:

إن جميع كلمات وآيات القرآن الكريم من الله عزّ وجل، وكما قلنا إن هذه الكلمات هي كلمات تدوينية، أي خطوط مقدّسة توضع

(١) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١٦/٢، ب ٣، ح ٣٠.

غالباً على صفحات الورق، أما أهل بيت النبوة عليهم السلام الذين هم عدل القرآن فهم كلمات الله أيضاً، إلا أنهم كلمات تكوينية، وقد كتبت هذه الكلمات المقدسة بيد التكوين على صفحة الخلق الواسعة، وسطعت أنوارهم فوصلت إلى آخر حدود الكون والإمكان، وقد ورد وصفهم في القرآن الكريم بكلمات الله حيث كان أنبياء الله العظام عليهم السلام عند الإبتلاء ومواجهة المشاكل الكبيرة يتوسلون بهم، وسنذكر آيتين مباركتين كنموذج لذلك:

١ - ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾<sup>(١)</sup> «وكان ذنب آدم تركاً للأولى».

ذكرنا في تفسير هذه الآية الشريفة، أن المراد من كلمات الله، هم محمد وآل محمد عليهم السلام وذلك في بحث جامع حاوٍ للآيات والأحاديث المعتمدة أوردناه في الجزء الأول من كتابنا «الولاية: بحث حول الولاية من وحي القرآن» تحت عنوان «كلمات الله» فعلى الراغبين في معرفة تفصيل هذا الموضوع، مراجعة ذلك الكتاب، أما هنا فسندكر حديثاً مختصراً ونكتفي به نموذجاً منها:

ينابيع المودة: ابن المغازلي بإسناده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه؟

قال: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فتاب

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

عليه وغفر له<sup>(١)</sup>.

٢ - ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ...﴾<sup>(٢)</sup> إلى آخر الآية.

روى محمد بن علي بن بابويه بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية:

قال سألته عن قول الله عزّ وجل: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ ما هذه الكلمات؟

قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم فتاب الله عليه، وهو أنه قال: «يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام إلا تبت عليّ» فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم<sup>(٣)</sup>.

إذاً «كلمات الله» التكوينية التي كان يعرف بها أنبياء الله جميعاً منذ يوم الأزل وأول الخلق، ويعلمون مكانتها ومنزلتها عند الله عزّ وجل، ويلجأون إليها في الشدائد هي عبارة عن محمد وآل محمد عليهم السلام.

### ١٣ - الهيمنة:

إن القرآن الكريم مهيمن على جميع الأمور والمسائل، وناظر

(١) ينابيع المودة: ٩٥/١. والسيوطي في تفسير الدرّ المنثور وكنز العمال: ٣٤/١،

وعنهما فضائل الخمسة: ٢٠٥/١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٥٨/٢، ح ٥٧.

وحارس وحافظ لجميع المسلمين في العالم، وفي جميع مراحل التاريخ من الأخطاء والاشتباهات، وهو مصباح هداية رباني وضعه الله عزّ وجل في طريق المسلمين، بل في طريق البشرية جمعاء، ليس لنوره ذهاب أبداً، وهو حلال للمشاكل ورافع للاختلافات ودافع للبدع.

وكذلك أهل بيت النبوة عليهم السلام، فهم في هذه المسألة مثل القرآن الكريم، بل وبطريق أولى هم رؤساء وحرّاس جميع العالم الإسلامي، بل جميع الكائنات، وهم ملجأ ودليل المسلمين، بل الشعوب كافة عند المعضلات والطوارئ الشديدة.

بل إن قيام نظام الخلق وجريان عجلات الخليقة هو يمين وبركة أنوارهم عليهم السلام، وإذا خلا العالم ولو للحظة واحدة من وجودهم فسيهلك بكل ما فيه، لأنهم أركان الكائنات، ورافعو جميع المشكلات بأمر الله ذي الجلال والإكرام: «لولاهم لساخت الأرض بأهلها»<sup>(١)</sup> و«لولا علي لهلك عمر»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) قال الصادق عليه السلام: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت». وعن الرضا عليه السلام: «لو خلت الأرض طرفة عين من حجة لساخت بأهلها». وعن الباقر عليه السلام: «لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة (لماجت بأهلها) كما يموج البحر بأهله».

راجع بصائر الدرجات: ٥٠٨/١٠، ب ١٢.

(٢) مناقب الخوارزمي: ٨١، ح ٦٥. ومسند أحمد بن حنبل: ١٤٠/١ و ١٥٤. والمنائوي في فيض القدير: ٣٥٦/٤. والعسقلاني في فتح الباري: ١٣١/١٥. وابن عبد البر في الاستيعاب: ٤٦١/٢.

## ١٤ - الجذب المعنوي:

إن أي كتاب أو أي حديث أو أي شعر أو أي نثر إذا قرىء أو سمع مرة واحدة أو عدة مرات فسيفقد حدائته ولذّته ويتحول إلى كلام عادي، إلا القرآن الكريم فإن كلماته المحكمة، وآياته البيّنة، تبقى دائماً وأبداً حيّة وجديدة، ولو قرئت آلاف المرات تبقى جاذبة للقلوب عند القراءة باعثة فيها النور والصفاء، وهذه إحدى جوانب الإعجاز في هذا الكتاب المقدّس، فإنه دائماً وفي جميع الأزمان جاذب للقلوب، ومطهر لها، ونافذ بعمق فيها وفي النفوس!

وما أكثر الفصحاء والبلغاء الذين استمعوا إلى آية أو مجموعة آيات كريمة فصعقوا لما فيها من بلاغة وإعجاز بياني.

وكذلك ما أكثر الأساتذة والعلماء وفلاسفة التاريخ ممن تعمقوا قليلاً في معاني القرآن وحكمته فإذا بهم يهيّمون بها ويحتارون بأمرها، فأعرضوا عن فرضيّاتهم الفلسفية، واعتبروا هذا الكتاب السماوي معلم حكمة وأخلاق للعالم.

نعم، إذا رأينا أن بعض الأقوال والأحاديث قد احتفظت بطراوتها وبقيت مورد استشهاد أهل العلم والأدب، كبعض الأشعار الحكيمة للحكيم «أبي القاسم الفردوسي» - رحمه الله - أو أشعار الشاعر «سعدي الشيرازي»، أو غزليات الشاعر «حافظ» العرفانية، وغيرهم فإنما كان ذلك لأن منابع ومصادر أقوالهم هي الآيات الكريمة وكلمات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام، فهم لم يأتوا بشيء من عندهم، ورأس مالهم أهل بيت الوحي عليهم السلام.

ومتى ما سمعنا أقوالاً مخالفة لأقوال أهل بيت العلم والنبوة عليهم السلام، أو قرأناها فلربّما نحس بلذة فيها للوهلة الأولى، ولكن سرعان ما تزول هذه اللذة فتصبح كالسراب في زواله فيصاب المستمع بعد لحظات عديدة من استماع القائل بحالة يأس وحرمان.

هذا الأمر واضح لكل أديب وعالم ومحقق، ولا يحتاج إلى دليل وبرهان، فشعاع الشمس دليل على وجودها.

إن هذا الجذب المعنوي في القرآن الكريم هو بعينه من دون زيادة أو نقصان ظاهر في الوجود المقدس لأهل بيت النبوة عليهم السلام، وفي كلماتهم الجليلة التي ملأت الكتب، وهي ليست فقط عند سماعها وقراءتها لا تبلى لدى السامع والقارىء فتفقد جاذبيتها، بل كلما قرئت من جديد أعطت معنى وجذباً جديدين.

وعلى سبيل المثال نجد أن كتاب (نهج البلاغة) لمولى المتقين أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي مضى عليه ألف وأربعمائة سنة تقريباً وهو يتداول بين العلماء وينتقل بين أيدي الأعداء والأصدقاء، وقد كتبت له شروح كثيرة وترجمات عديدة إلى جميع اللغات العالمية الحية، وطبع بأعلى نسب الطبع وانتشر بين الناس ومع ذلك لا نجد حتى سطرأ واحداً منه قد تلف وبلي، بل اعترف جميع العلماء والمفكرين العالميين - حتى بعض دعاة العلم والتمدن - أن ألفاظه وكلماته البليغة وأسراره ومعانيه الدقيقة وحكمه ومعارفه اللطيفة تزداد جاذبية يوماً بعد يوم، جاذبة إليها قلوب وأرواح رجال العلم والأدب والحكمة والعدالة حتى لقب هذا الكتاب بـ: (أخ القرآن).



وكذلك أُطلق على المجموعة المقدسة لأدعية الإمام السجاد عليه السلام (الصحيفة السجادية) الحاوية على مناجاته وأدعيته الجليلة لقب: (أخت القرآن). ومثلها بقية آثار وكلمات سائر المعصومين عليهم السلام التي تجلب إليها أنظار المحققين والعلماء في كل زمان.

ويلاحظ من له إطلاع في الوضع العالمي، الآثار العظيمة التي تركها الصادقان (الإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصادق عليهما السلام) في العلوم المعاصرة لدى الجامعات العالمية والمراكز العلمية مما يجعلهم مبهورين بها.

وفضلاً عن وجودهم المقدس عليهم السلام وآثارهم وكلماتهم الجليلة فإن مراقدهم المطهرة كانت منذ يوم استشهادهم مطافاً ومزاراً لمؤمني العالم دون أن يكون للزمان أثر في تقليل ما فيها من جانب معنوي وملكوتي، بل هي كل يوم تنفذ إلى القلوب أكثر فأكثر، وتجلب إليها الأبدان، ورغم كل هذه الدعايات المسمومة، والمحاولات الشيطانية في كل زمان من قبل شياطين الإنس والأعداء لإبعاد الناس عنهم عليهم السلام، فإننا نجد أن مزاراتهم يؤمها في كل سنة وفي كل شهر وفي كل يوم من العشاق أكثر فأكثر لأنها بيوت النبي، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

كانت هذه أربع عشرة مسألة من أمّهات المسائل العقائدية فيما يخص القرآن الكريم وأهل البيت المعصومين عليهم السلام، ذكرناها خلال مضمون حديث «الثقلين» الشريف، ولو لم يكن لدينا دليل غير هذا الحديث في إثبات المقام العالي والدرجة الشامخة لأهل البيت

عليهم السلام، لكان كافياً في إثبات ذلك ولا حاجة لأي دليل آخر،  
في حين أن قسماً عظيماً من آيات القرآن الكريم وآلاف الكتب المهمة  
والمعتبرة للفريقين مملوءة بذكر وشرح فضائلهم ومناقبهم عليهم  
السلام، مما يحير العقول ويشد الأنظار ويفرح قلوب المؤمنين  
وينورها.

والحمد لله على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب على  
ولايتهم ومحبتهم عليهم السلام والسلام عليكم وعلى عباد الله  
الصالحين ورحمة الله وبركاته.

خَادِمُ الشَّرِيعَةِ الْفَرَّاءِ  
مِيرزا عَبْدِ الرَّسُولِ الْخَائِرِيِّ الرَّاهِقَانِي  
صِرَاةُ الْحَقِّ وَالْحَقِّ



تفسير القرآن العظيم

سورة الفتح المكية



وَاللَّهُ بَارِكُ وَمَعَالِي

وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ

سُورَةُ الْحَجِّ  
الآيَةُ ٨٧



فَالرَّسُولُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالرُّسُلُ  
مَنْ عَلَّمَ تَفْسِيرَهَا  
«أَيُّ الْفَاتِحَةِ»  
كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ تَفْسِيرِ جَمِيعِ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ

تفسير الدر المنثور

١٦١





قال مولانا الأسيوطي في تفسيره على بن أبي عمير (ع)

نَزَلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ بِمَكَهٍ مِنْ كِنِزَتِ الْعَرْشِ

تفسير الدر المنثور

١٦/١

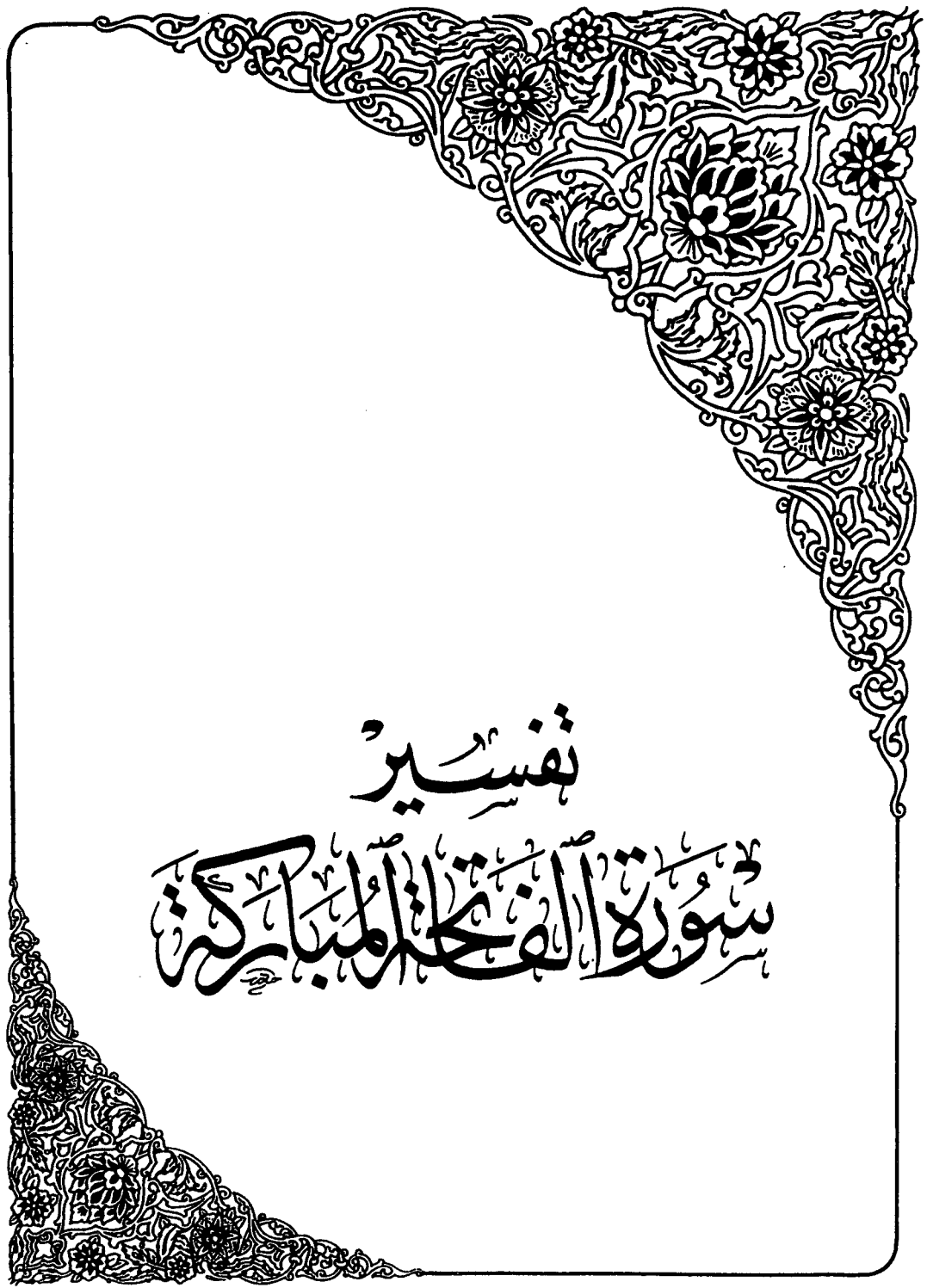


قال مولانا امجدت بن محمد انصاري عليه السلام

# اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ مَقْطَعٌ فِي أَمْرِ الْكِتَابِ

تفسير البرهان ٤١/١ ح ٨  
تفسير العياشي ٣١/١





تفسير

سورة الفتح المباركة



سُبْحَانَكَ يَا قَدِيرُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ① وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ②

مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ③ يَا أَيْتُهَا الْعَالَمِينَ اسْمِعُوا ④

أَهْلَ بَيْتِهِ الصَّالِحِينَ ⑤ صِبْغَةَ اللَّهِ يَرْسُلْ

أَنْ يَخْتارَ مِنْ نَبِيِّرِهِ أَلِيًّا ⑥ وَإِنَّ رَبَّهُ لَسَمِيعٌ

عَلِيمٌ ⑦

وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ





## أَسْمَاءُ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ الْمُبْتَكَرَةِ

### ١ - الفاتحة و فاتحة الكتاب:

«الْفَتْحُ»: لها معانٍ كثيرة في اللُّغة، منها: الإبتداء والشروع.  
الفتاح أو الفاتحة: تقال لكلّ شيء يبتدأ به، وبما أن القرآن الكريم الموجود حالياً بأيدي المسلمين يفتتح بهذه السورة وكذلك الصلاة تفتتح بها، لذا سمّيت بسورة «الفاتحة» و «فاتحة الكتاب».

### ٢ - الحمد:

سمّيت هذه السورة المباركة بسورة «الحمد» لأنها تبدأ بكلمة الحمد بعد البسمة.

### مصطلح تفسيري:

ذكرنا أعلاه مصطلحاً تفسيرياً وهو «البسمة» وهو يستعمل كثيراً في التفاسير، لذا، سنوضح هذا المصطلح للمبتدئين من القراء، فنقول:

إنّ كلمة «البسمة» هي تلخيص اصطلاحى للآية المباركة ﴿بِسْمِ

الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿ ومتى ما استعملت يكون المراد منها هو هذه الآية، كما هو الحال في كلمة «الإستعاذة» فإنها تشير إلى عبارة «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». وكلمة «الحوقلة» تشير إلى عبارة «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». فهذه العبارات المشهورة قد لُخصت اختصاراً بهذه المصطلحات.

### ٣ - أم الكتاب، وأم القرآن:

تستعمل كلمة «الأم» إضافةً إلى معناها المتعارف - وهو أحد الوالدين - بمعنى «الجامع والمحيط» أيضاً، فيقال: «أم الرأس» بمعنى «الدماغ والمخ» لأن دماغ الإنسان جامعٌ ومحيطٌ بكلِّ حواسه.

وقد أطلق اسم «أم الكتاب» و«أم القرآن» على سورة الفاتحة المباركة لأنها - وكما سنذكر ذلك في أحاديث صحيحة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام - تحتوي بشكلٍ مجملٍ على جميع مطالب القرآن الكريم، ومواضيعه.

### ٤ - السَّبْع:

سُميت هذه السورة بـ«السَّبْع»، لأنها تحتوي على سبع آياتٍ فقط، من دون بقية سور القرآن الكريم.

### ٥ - المثنائي:

المثنائي: جمع المثنى من التثنية، وهي من مادة «ثني» من باب

التفعيل، وهي هنا بمعنى «إثنين إثنين»، وسبب إطلاق هذا الاسم على سورة «الفاتحة» هو أن هذه السورة تُقرأ في جميع الصلوات الواجبة ومعظم الصلوات المستحبة مرتين: الأولى في الركعة الأولى، والثانية في الركعة الثانية.

أو كما اشتهر بين علماء التفسير من أن هذه السورة المباركة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله مرتين: مرة في مكة المكرمة عند نزول الأمر بالصلاة، ومرة أخرى في «المدينة المنورة» عند تحويل القبلة من «بيت المقدس» إلى «المسجد الحرام».

واعتبر بعض المفسرين أن كلمة «المثاني» من مادة «ثني» وهي من الثناء والمدح، وقالوا: إن هذه السورة المباركة تحوي في كل آية من آياتها مدحاً مباشراً. أو غير مباشرٍ لله عزّ وجل.

واستعمل بعض علماء التفسير كلمة «السبع» مع «المثاني» كاصطلاح واحد، فقالوا: «السبع المثاني» ولعلمهم يستندون في ذلك إلى الحديث الذي أورده «الآلوسي» في «روح المعاني» وبقية المفسرين في تفاسيرهم عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال حول سورة الفاتحة: «والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها، إنها لهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»<sup>(١)</sup>.

---

(١) روح المعاني: ٣٣/١. ومجمع البيان: ٨٨/١. والدر المنثور: ١٣/١. وقال: أخرجه أبو عبيد، وأحمد، والدارمي، والترمذي وصحيحه، والنسائي، وابن =

ويستفاد أيضاً من سياق هذا الحديث الشريف أن جميع مواضع القرآن الكريم وُضعت إجمالاً في هذه السورة المباركة، لأنه استعمل واو العطف، فقال: «والقرآن العظيم».

ويؤيد هذا الحديث الشريف، قوله تعالى: ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾<sup>(١)</sup>.

وورد في «التوحيد» و«العياشي» و«القمي». في تأويل هذه الآية المباركة، حديث شريف عن الإمام الباقر عليه السلام، يقول فيه: «نحن المثاني التي أعطاها الله تعالى نبينا صلى الله عليه وآله»<sup>(٢)</sup>.

فالمراد من الضمير «نحن» الأئمة الإثنا عشر، وخصوصاً الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليهم السلام.

قال الصدوق - عليه الرحمة والرضوان - في تفسير كلام الإمام الباقر عليه السلام في هذا الحديث: معنى قوله: نحن المثاني، أي نحن الذين قرنا النبي صلى الله عليه وآله إلى القرآن، وأوصى بالتمسك بالقرآن وبناء، فأخبر أمته بأن لا نفترق حتى نرد عليه الحوض<sup>(٣)</sup>.

---

خزيمه، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبو ذر الهروي في فضائل القرآن، والبيهقي في سننه.

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

(٢) التوحيد: ١٥٠، ح ٦. وتفسير العياشي: ٢/٢٦٩، ح ٣٣. وتفسير القمي: ٣٧٧/١.

(٣) التوحيد: ١٥١.

## ٦ - السبع المثاني:

مرّ شرحه في الصفحات السابقة.

## ٧ - القرآن العظيم:

كما ذكر في سورة الحجر الآية (٨٧) المتقدّمة.

٨ - التفويض.

٩ - العبادة.

١٠ - تعليم المسألة.

١١ - الشافية.

١٢ - الشفاء.

١٣ - الشكر.

١٤ - الصلاة.

١٥ - فاتحة القرآن.

١٦ - الإستعانة.

١٧ - الدّعاء.

١٨ - التحرّز.

١٩ - الأساس.

٢٠ - الأنعام.

- ٢١ - الوافية.
- ٢٢ - النور.
- ٢٣ - الهداية.
- ٢٤ - الكنز.
- ٢٥ - الاستقامة.
- ٢٦ - الكافية.
- ٢٧ - المنّة.
- ٢٨ - المناجاة.

وهناك لكلّ من هذه الأسماء المباركة مناسبات ومحامل صحيحة، أشرنا إلى بعضها في بداية التفسير، ولا نجد ضرورةً لذكر تفاصيل ذلك.

# مَخْلُوفُ زُفْرِ عَدَاكُمَا بِحُرُوفٍ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ الْمُبَارَكَةِ

تفسير المنهج: روى بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش»<sup>(١)</sup>.

ولا ينافي هذا الحديث نزول هذه السورة المباركة مرة أخرى على النبي صلى الله عليه وآله عند تحويل قبلته من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام في «المدينة المنورة».

إن عدد آيات هذه السورة المباركة باتفاق جميع المفسرين هو سبع آيات، وكلماتها خمس وعشرون كلمة، وحروفها مائة وثلاثة وعشرون حرفاً.

## فضيلة سورة الفاتحة المباركة:

١ - المجمع: كتاب محمد بن مسعود العياشي، بإسناده أن النبي صلى الله عليه وآله، قال لجابر بن عبد الله الأنصاري: يا جابر! ألا أعلمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه؟

(١) المنهج، والدر المنثور: ١٠/١، عن الواحدي في أسباب النزول، والشعبي في تفسيره.



قال: فقال له جابر: بلى، بأبي أنت وأمي يا رسول الله،  
علّمنيها.

قال: فعلمه الحمد (أم الكتاب).

ثم قال: يا جابر! ألا أخبرك عنها؟

قال: بلى بأبي أنت وأمي فأخبرني.

فقال: هي شفاء من كل داء إلا السّام، والسّام (الموت)<sup>(١)</sup>.

٢ - الدر المنثور: بإسناده عن أبي سعيد بن المعلّى، قال: «كنت

أصلّي فدعاني النبي صلى الله عليه وآله، فلم أجبه، فقال: ألم يقل  
الله: ﴿استجيبوا لله وللرسول، إذا دعاكم﴾<sup>(٢)</sup>!؟

ثم قال: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من

المسجد.

فأخذ بيدي فلما أردنا أن نخرج، قلت: يا رسول الله! إنك

قلت: لأعلمنك سورة في القرآن؟

قال: «الحمد لله رب العالمين» هي السبع المثاني، والقرآن

العظيم الذي أوتيته<sup>(٣)</sup>.

٣ - المجمع: ذكر بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه

(١) مجمع البيان: ٨٨/١. عن تفسير العياشي: ٣٤/١، ح ٩. وعنه البحار:

٥٩/١٩. وتفسير الصافي: ٥٦/١. والوسائل: ١، ب ٣٧. والبرهان: ٤٢/١.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٣) الدر المنثور: ١٣/١. وقال: أخرجه أحمد، والبخاري، والدارمي، وأبو داود،

والنسائي، وابن جرير، وابن حبان، وابن مردويه، والبيهقي عن أبي سعيد بن

المعلّى.

قال: «أيما مسلم قرأ فاتحة الكتاب أُعطي من الأجر كأنما قرأ ثلثي القرآن، وأُعطي من الأجر كأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة»<sup>(١)</sup>.

٤ - المجمع: عن أبي بن كعب أنه قال: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله فاتحة الكتاب، فقال: «والذي نفسي بيده! ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها، هي أم الكتاب، وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بين الله وبين عبده، ولعبده ما سأل»<sup>(٢)</sup>.

فمن أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ خاصّ الله عزّ وجل وأوصافه وحمده، وما بعده دعاء للعباد، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في ذيل هذا الحديث: إن الله يستجيب للعبد ما سأل عند قراءة هذه السورة.

٥ - الدرّ المنثور: عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «فاتحة الكتاب تجزىء ما لا يجزىء شيء من القرآن، ولو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان، وجعل القرآن في الكفة الأخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرّات»<sup>(٣)</sup>.

٦ - الدرّ المنثور: عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنزل الله سبحانه وتعالى مائة وأربعة كتب، أودع علومها أربعة منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم التوراة

(١) مجمع البيان: ٨٨/١.

(٢) مجمع البيان: ٨٨/١.

(٣) الدرّ المنثور: ١٦/١، عن أبي نعيم. والدلمي عن أبي الدرداء.

والإنجيل والزبور [في] الفرقان<sup>(١)</sup>، ثم أودع علوم القرآن المفصل<sup>(٢)</sup>،  
ثم أودع المفصل فاتحة الكتاب، فمن علم تفسيرها كان كمن علم  
تفسير جميع الكتب المنزلة<sup>(٣)</sup>.

٧ - الدر المنثور: عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال:  
استشفوا بما حمد الله به نفسه قبل أن يحمده خلقه، وبما مدح الله به  
نفسه.

قلنا: وما ذاك يا نبي الله؟

قال: «الحمد لله» و«قل هو الله أحد» فمن لم يشفه القرآن، فلا  
شفاء له<sup>(٤)</sup>.

أقول: إن القرآن الكريم وآياته المباركة شفاء لجميع العلل،  
الظاهرة والباطنة، إلا أنه غالباً ما يراد في هكذا أحاديث مطلقة  
الأمراض المعنوية والروحية، وخصوصاً مرض الشرك وعدم الإيمان  
الخطيرين، ولدينا توضيحات كثيرة في هكذا روايات سنذكرها إن شاء  
الله في تفسيرنا لسورة الإخلاص المباركة.

٨ - العياشي: بأسانيده عن الحسن بن علي بن أبي حمزة  
البطائني، عن أبيه، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «اسم الله  
الأعظم مقطّع في أم الكتاب»<sup>(٥)</sup>.

(١) في المصدر المطبوع: «والفرقان»، والأظهر ما أثبتناه أي «في الفرقان».

(٢) وهو السور القرآنية الكبيرة.

(٣) الدر المنثور: ١٦/١، عن البيهقي في شعب الإيمان.

(٤) الدر المنثور: ٧/١، عن ابن قانع في معجم الصحابة.

(٥) تفسير العياشي: ٣٣/١، ح ١. وعنه البرهان: ٤١/١.

٩ - العياشي: عن محمد بن سنان، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام، قال: قال [أبي] <sup>(١)</sup> لأبي حنيفة: ما سورة أولها تحميد وأوسطها إخلاص وآخرها دعاء؟

فبقي متحيراً، ثم قال: لا أدري!

فقال أبو عبد الله عليه السلام: السورة التي أولها تحميد وأوسطها إخلاص وآخرها دعاء سورة الحمد <sup>(٢)</sup>.

وذلك لأن أول آية فيها بعد البسملة: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ وهو تحميد، ووسطها قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وهذا منتهى الإخلاص لله عزّ وجل، وآخرها: ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ إلى آخر السورة وهو دعاء.

١٠ - أصول الكافي: بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لو قرئت الحمد على ميت سبعين مرة، ثم رُدّت فيه الروح ما كان عجباً» <sup>(٣)</sup>.

أقول: ذكرنا أننا نسلّم بظاهر هذه الروايات، إلا أننا نعتقد أن المقصود من (المرض أو الموت) غالباً هو مرض أو موت الإيمان، كما نلاحظ في الآيتين التاليتين:

١٠ - ﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ﴾ <sup>(٤)</sup>.

(١) أضفناه استدراكاً لسقطٍ مقدر.

(٢) تفسير العياشي: ٣٣/١، ح ٢. وعنه البرهان: ٤١/١. والبحار: ٥٨/١٩.

(٣) أصول الكافي: ٦٢٣/٢، ح ١٦. وعنه البرهان: ٤١/١، ح ٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠.

ولا شك أن المرض المشار إليه في هذه الآية الكريمة ليس مرضاً جسدياً، بل هو مرض روحي، وهو النفاق والحسد الذي اشتعل في قلوب أولئك المشركين، عند انتصار الإسلام، واتساع رقعة المجتمع الإسلامي مما لم يكن في حسابهم!

٢ - ﴿وما أنت بمسمعٍ من في القبور﴾<sup>(١)</sup>.

يتضح من هذه الآية أن المراد من قوله تعالى: «من في القبور» هم الكفار والمنافقون، ولمزيد من الإيضاح نذكر لكم هذه الرواية من «تفسير البرهان»، رويت عن طريق أهل العامة عن ابن عباس أنه قال: قوله عز وجل: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾<sup>(٢)</sup> قال: الأعمى أبو جهل، والبصير أمير المؤمنين عليه السلام. ﴿ولا الظلمات ولا النور﴾<sup>(٣)</sup> فالظلمات أبو جهل، والنور أمير المؤمنين. ﴿ولا الظل ولا الحرور﴾<sup>(٤)</sup> الظل ظل لأمر المؤمنين عليه السلام في الجنة، والحرور يعني جهنم لأبي جهل، ثم جمعهم جميعاً فقال: ﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾<sup>(٥)</sup> فالأحياء علي وحمزة وجعفر والحسن والحسين وفاطمة وخديجة عليهم السلام، والأموات كفار مكة<sup>(٦)</sup>.

إذاً وكما قلنا، إن المراد من الشفاء هو شفاء الأمراض الروحية،

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٩.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٠.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٢١.

(٥) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

(٦) تفسير البرهان: ١٦٣/٢.

وخصوصاً الكفر وما ينتج عنه من العوارض الخطرة مثل الحسد والبخل والوسوسة والخوف واليأس، وسوء الأخلاق، حتى كثرت في الناس الأمراض العصبية والنفسية الغريبة، وخصوصاً في هذا العصر، وأكثر المصابين بها هم من الذين ابتعدوا عن الساحة الإلهية ونسوا الله عزّ وجل، وآتبعوا وساوس الشياطين من الجن والإنس، وخسروا في نهاية المطاف رصيدهم الروحي في الحياة.

إن تلاوة القرآن الكريم والعمل به والاهتمام بالأمر الروحية، تقرب الإنسان إلى الله عزّ وجل، مما يعطي القلب الإطمئنان، ويقطع دابر الأمراض الروحية والعصبية من الأساس، كما يقول نجلّ وعلا: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾<sup>(١)</sup>.

إن الكفر مرض مهلك وخطر لا يعالج إلا بالقرب من الله عزّ وجل وتلاوة الآيات القرآنية والعمل بمضامينها السامية، يقول الله عزّ وجل: ﴿يأتئها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾<sup>(٢)</sup>.

ويقول عزّ وجل: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾<sup>(٣)</sup>.

من الجدير بالذكر أننا نعتقد أن عيسى عليه السلام كان يحيي

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

الموتى الحقيقيين بنص القرآن الكريم، ويخرجهم من قبورهم، ويشفي الأمراض التي لا علاج لها، فبطريقٍ أولى أن القرآن الكريم والأئمة الطاهرين عليهم السلام قادرون على شفاء الأمراض الجسدية والروحية، ويحيون الأموات الظاهريين وغير الظاهريين، بل وحتى معاجز عيسى هي من بركات أنفاسهم القدسية، ولدينا شواهد كثيرة على ذلك يحتاج ذكرها إلى كتب كبيرة.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أعوذ: من «عاذ يعوذ عوذاً» بمعنى «الإلتجاء والإستعصام». ومنها: أعوذ بالله، والعياذ بالله، أي أعتصم بالله عزّ وجل وألتجئ إليه.

بالله: «الله» لفظ الجلالة، من أسماء الله عزّ وجل، بل هو أعظمها وأشهرها، وسنذكر تفصيلاً له في تفسيرنا للبسملة. الشيطان: من «شطن يشطن» أي بُعد يبعد. والشيطان أي الموجود البعيد عن رحمة الله عزّ وجل.

ويعتقد البعض أن الشيطان هو ذلك الموجود الذي وسوس لنبي الله آدم أبي البشر عليه السلام، في حين أن هذه الكلمة هي لفظ عام يطلق على كل موجود مضرّ وشرير، سواء أكان من النوع الإنساني أو من نوع الجن أو من جنس الحيوان، أما الشيطان الذي غوى آدم عليه السلام ووسوس له، فهو من أشرار الجن ويدعى «إبليس».

كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ



فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴿ إلى آخر الآية<sup>(١)</sup> .

إذا كلمة «الشیطان» لا تختص بإبليس، بل تطلق على أشرار الإنس أيضاً، كما في قوله تعالى:

١ - ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدواً شيطيين الإنس والجن ﴾<sup>(٢)</sup> .

٢ - ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشيطيين . . . ﴾ إلى آخر الآية<sup>(٣)</sup> .

٣ - ﴿ وإذا لقوا الذين ءآمنوا قالوا ءآمنّا وإذا خلوا إلى شيطينهم قالوا إنّنا معكم . . . ﴾ إلى آخر الآية<sup>(٤)</sup> .

فلاحظ في هذه الآيات الثلاث التي ذكرتها كنموذج على هذا الموضوع، أن الله عزّ وجلّ سمّى أولئك المنافقين والذين يؤذون الناس، وخصوصاً أعداء الأنبياء عليهم السلام والذين هم في ظاهرهم من النوع الإنساني، سماهم بالشیاطين.

ومن الجدير بالذكر أن كلمة «المَلَك» التي نطلقها في محاوراتنا - غالباً - على هذا المخلوق السماوي بمعنى خاص، كذلك أُطلقت على «إبليس» الذي هو من الجن في الآية (٥٠) من سورة الكهف، أو سائر الآيات الشريفة الأخرى، وهنا نجد من المناسب أن نذكر أن لكلمة «ملك» معنيين: عام وخاص، وقد وردا في القرآن الكريم:

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٠ .

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٢ .

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٧ .

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤ .

١ - المعنى العام: وهو المعنى الذي يطلق على الملائكة والجن، كما ورد في الآية أعلاه، حيث وجّه الخطاب إلى جميع الملائكة، بل يعتقد بعض المفسرين أن استعمال كلمة «الملائكة» في الآية المباركة المذكورة وسائر الآيات المشابهة لها، هو بالمعنى العام. وكلمة «الملائكة» كانت خطاباً لجميع الموجودات والمخلوقات في العالم، فقد أمر الله عزّ وجلّ الجميع بالسجود لآدم أبي البشر عليه السلام الحامل لنور محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله المقدس، لأنهم أشرف المخلوقات على الأرض، فعليهم السجود والإنقياد لهم، ويستثنى من هذا الموضوع، الملائكة العالون، ولهذا الأمر بحث منفصل خارج عما نحن فيه.

٢ - المعنى الخاص: وهو يطلق خاصة على الملائكة، و«الملك» هو موجود روحاني معصوم عن الخطأ، ومنزه في أصل خلقته عن الذنوب والأخطاء، ويحمل صفة العصمة المحضة كجبرائيل أمين الوحي، وعزرائيل ملك الموت، والملائكة الساكنين في الجنة، كما ورد في قوله تعالى: ﴿جنت عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾<sup>(١)</sup>.

ونلاحظ هنا أن كلمة «ملائكة» استعملت لذلك الصنف من الموجودات الذين لهم مقام العصمة الجوهرية لأن الجنة ليست محلاً للمنحرفين والمذنبين.

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٣.

ويمكن أن يلتفت بعض القراء الأعزاء عند قراءتهم لهذه الآية المباركة المذكورة، إلى السؤال التالي: لماذا لم يذكر الله تعالى الأمهات الصالحات ضمن الداخلين إلى الجنة في الآية المذكورة أعلاه، في حين أن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «الجنة تحت أقدام الأمهات»؟

فنقول: إن هناك في علم البلاغة قاعدة التغليب، وهي أن يتبع الضعيف القوي والقليل الكثير في المحاورات والمكالمات الأدبية، وبما أن مقام الرجل في مجتمعاتنا هو مقام الرئاسة في العوائل وله - بحكم الظاهر - القوة والقيومية على المرأة، كما يقول تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾<sup>(١)</sup>. فمتى ما أُريد ذكر الأب والأم في مقام ما يستعمل قانون التغليب، فيكتفى بذكر الأب، والمخاطب يعلم أن ذكر الأم يتبع ذكر الأب هناك. وأحياناً يستعمل لفظ الوالدين للأب والأم، في حين أن «الوالد» هو إسم مختصّ بالأب فقط، كما نقول: اللهم اغفر لي ولوالدي.

الترّجيم: وهو من «رجم يرجم رجماً» ومعناه المطرود والملعون. وقد ورد في آيات القرآن الكريم أن جميع شياطين الإنس والجن قد طردوا من رحمة الله عزّ وجلّ، وأبعدوا عن لطفه. ويلعنهم المؤمنون في الدنيا، وسيرجمون في الآخرة بأحجار جهنم.

وسنذكر حديثاً عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، بهذا الشأن في آخر هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

- ووردت الإستعاذة على لسان قرّاء القرآن الكريم بصور مختلفة:
- ١ - قرأها «عاصم»، و «ابن كثير»، و «أبو عمرو»، بقولهم: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».
  - ٢ - أما «نافع»، و «ابن عامر»، و «الكسائي»، فقرأوها: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم».
  - ٣ - وقرأها «حمزة»: «نسعذ بالله من الشيطان الرجيم».
  - ٤ - وأخيراً قرأها «أبو حاتم»: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم».

وكل هذه الصور المذكورة صحيحة، وأشهرها القراءة الأولى. وقد اتفق الجميع على لزوم التلظظ بالإستعاذة قبل البسملة، كما يستفاد من ظاهر الآية: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾<sup>(١)</sup>.

ويستفاد منها وجوب الإستعاذة قبل تلاوة القرآن الكريم. ولا يخفى القول أنّ المخاطب في ظاهر الآية المباركة أعلاه وآياتٍ أخرى، هو الرسول صلى الله عليه وآله، ولكن الخطاب موجّه إلى جميع المسلمين، فمن البديهي أن الشيطان ليس له تسلّط على النبي وعلى الأئمة الإثني عشر المعصومين عليهم السلام، لأن لهم مقام العصمة الشامخ، وقد صرح الله عزّ وجلّ في قرآنه الكريم، أن ليس للشيطان تسلط على عباده المخلصين والذين هم الأئمة المعصومون عليهم السلام الإثنا عشر، فقال: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان...﴾

(١) سورة النحل، الآية: ٩٨.

إلى آخر الآية<sup>(١)</sup>.

وروي في «روضة الكافي» في تفسير هذه الآية المباركة، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «والله ما أراد بهذا إلا الأئمة وشيعتهم»<sup>(٢)</sup>.

ولا يترك القول، إنَّ مقام التشييع السامي ودرجته العالية، إنما هي تخصّ أمثال «سلمان» و«أبي ذر» و«المقداد» و«حجر بن عدي» و«ميثم» وأنصار الحسين وغيرهم رضوان الله عليهم ممن لم ينسوا الله عزّ وجل لحظة واحدة، ولا أولياءه، ولم يذنبوا أو أنهم خرجوا من الدنيا طيّبين طاهرين.

ذكر صاحب «تفسير البرهان»، فقال: قال رجل للحسن بن علي عليهما السلام: إني من شيعتكم.

فقال الحسن بن علي عليه السلام: يا عبد الله! إن كنت لنا في أوامرنا وزواجرنا مطيعاً فقد صدقت، وإن كنت بخلاف ذلك، فلا تزد في ذنوبك بدعواك مرتبةً شريفةً لست من أهلها، ولا تقل: أنا من شيعتكم، ولكن قل: أنا من مواليكم ومحبيكم ومعادي أعدائكم، وأنت في خير وإلى خير<sup>(٣)</sup>.

وهناك روايات كثيرة في هذا الشأن لا يسغ هذا المختصر ذكرها جميعاً، وقد جاء في بعضها نسبة مقام التشييع إلى سيدنا إبراهيم

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٢) روضة الكافي: ٣٥/٨، ج ٦. وعنه تفسير نور الثقلين: ١٦/٣، ح ٥٥.

(٣) تفسير البرهان: ٢١/٤.

الخليل وسائر الأنبياء على نبينا وعليهم السلام، مما سنوضحه ونفصّله في محله إن شاء الله تعالى، والله المستعان.

ورد في «تفسير الإمام الحسن العسكري» عن أمير المؤمنين علي عليهما السلام في تفسير الإستعاذة أنه قال في قول المصلي: أعوذ بالله: أي أمتنع بالله.

السميع: لمقال الأخيار والأشرار ولكل المسموعات من الإعلان والإسرار.

العليم: بأفعال الأبرار والفجار وبكل شيء مما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون.

من الشيطان: هو البعيد من كل خير.

الرجيم: المرجوم باللّعن، المطرود من بقاع الخير<sup>(١)</sup>.

ويقول المرحوم «الفيض الكاشاني» في «تفسير الصافي» عند ذكره لتفسير الإستعاذة: تطهير اللسان عما جرى عليه من غير ذكر الله ليستعدّ لذكر الله والتلاوة، والتنظيف للقلب من تلوث الوسوسة ليتهيأ للحضور لدى المذكور، ويجد الحلاوة<sup>(٢)</sup>.

ويقول المرحوم الشهيد الثاني في كتابه «أسرار الصلاة»: إنّ الإستعاذة هي في الحقيقة تطهير اللسان، وجلاء القلب من غبار الأغيار، وتهيئته لاستقبال الحبيب<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري: ١٦، ح ٣.

(٢) تفسير الصافي: ٧٩/١.

(٣) أسرار الصلاة: ٨١.

ويقول المرحوم «الكاشفي» في «جواهر التفسير»: إن المستعيز  
إما عامي أو عارف، فاستعازة العوام هي الاستعازة بالله من وسوسة  
الشیطان لارتكاب الذنوب.

أما استعازة العارفين فهي الاستعازة بالله من حال الشيطان أي  
صفة العجب (الغرور والتكبر) التي أدت إلى لعن إبليس وأسقطته من  
مقام القرب والعزة إلى حضيض البعد والذلة والالتجاء إلى ذي الجلال  
من اعتقاد الكمال وقصور حسن الحال وهما من آثار الأنانية والاتصاف  
بصفات الشيطان.

أقول: وما أجمل قول الشاعر العربي:

لقد قلت ما أذنبت قالت مجيبة      وجودك ذنب لا يقاس به ذنب  
أي إنها أجابته بعد سؤاله عن ذنبه معها فقالت: إن وجودك  
وذاك وقولك «أنا» هو ذنب، لأنك أظهرت نفسك أمام المحبوب وفي  
مقابله وهذا ذنب لا يقاس به ذنب آخر.

وهنا تذكرت قولاً لسيد الموحدين أمير المؤمنين علي عليه  
السلام، أجد من المؤسف أن لا أذكر هذا الكلام البليغ والعميق لأزين  
به هذه الصفحة من التفسير.

لقد قال في خطبته المعروفة بـ (الخطبة القاصعة) في تحذيره  
للناس من صفة الكبر وعبادة الذات، إذ قال عن الشيطان: «ألا ترون  
كيف صغره الله بتكبره، ووضعه بترفعه، فجعله في الدنيا مدحوراً،

وأعدّ له في الآخرة سعيراً»<sup>(١)</sup>.

ومما يؤسف له، أن الكثير من مدّعي العلم والعرفان، والإرشاد وقيادة الناس، مصابون بهذا المرض المهلك، ورتاستهم كرئاسة «إبليس» لجمع من صنفه أعاذنا الله من صفة الشياطين.

يقول «الفخر الرازي» في تفسيره الكبير:

«أعوذ بالله» عروج من الخلق إلى الخالق، ومن الممكن إلى الواجب.

وكلمة «أعوذ» إشارة إلى العجز والفقير والحاجة التامة.

وكلمة «بالله» إقرار بأمرين:

أحدهما: بأن الحقّ قادر على تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات.

والثاني: أن غيره غير موصوف بهذه الصفة، فلا دافع للحاجات إلا هو، ولا معطي للخيرات إلا هو.

فعند مشاهدة هذه الحالة يفرّ العبد من نفسه ومن كل شيء سوى الحق، فيشاهد في هذا الفرار سرّ قوله: ﴿ففرّوا إلى الله﴾<sup>(٢)</sup> وهذه الحالة تحصل عند قوله «أعوذ».

ثم إذا وصل إلى غيبة الحقّ، وصار غريقاً في نور جلال الحقّ، شاهد قوله: ﴿قل الله ثم ذرهم﴾<sup>(٣)</sup> فعند ذلك يقول: «أعوذ بالله».

(١) نهج البلاغة: ٤٢٣، الخطبة ١٩٢.

(٢) سورة الذّاريات، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩١.



ويقول أيضاً: إن قوله - أي المصلي - «أعوذ بالله» إقرار بعجز النفس وبقدرة الرب، وهذا يدل على أنه لا وسيلة إلى القرب من حضرة الله إلا بالعجز والإنكسار.  
وكما قالوا: «من يرى نفسه لا يرى الله».

ونكتة أخرى: قال تعالى: ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾<sup>(١)</sup> فالقلب لما تعلق بغير الله، واللسان لما جرى بذكر غير الله، حصل فيه نوع من اللوث، فلا بد من استعمال الطهور، فلما قال: «أعوذ بالله» حصل الطهور، فعند ذلك يستعد للصلاة الحقيقية ﴿ إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾<sup>(٢)</sup> فالصلاة الحقيقية تنهى أهلها عن كل عمل قبيح. وهي ذكر الله تعالى، فيقول: «بسم الله»<sup>(٣)</sup>.

يقول المرحوم «ملاً صدرا»: إن الشيطان مع أنه قد أقسم لآدم أبي البشر عليه السلام أنه ناصح له كما يقول الله عز وجل في القرآن الكريم: ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾<sup>(٤)</sup> فهو مع ذلك بذل كل جهده ليخرجهما من الجنة فكيف سيكون حاله وسعيه مع أولادهما وقد أقسم على أن يضلهم ويغويهم كما قال الله عز وجل عن لسانه: ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين ﴾<sup>(٥)</sup>.

وفي ختام تفسير «الإستعاذة» وافتتاحاً لتفسير «البسمة» في هذا

(١) سورة الواقعة، الآية: ٧٩.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٤.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي: ٩٠/١ - ٩٢.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠.

(٥) سورة ص، الآية: ٨٢.

الكتاب، نذكر حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام تيمناً وتبركاً:  
قال الصادق عليه السلام: أغلقوا أبواب المعصية بالاستعاذة،  
وافتحوا أبواب الطاعة بالتسمية.



# تفسير وفصيلة آيات البقرة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تهذيب الشيخ الطوسي: محمد بن علي بن محبوب، عن  
العباس، عن محمد بن أبي عمير، عن أبي أيوب، عن محمد بن  
مسلم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن السبع المثاني والقرآن  
العظيم، هي الفاتحة؟  
قال: نعم.

قلت: «بسم الله الرحمن الرحيم» من السبع المثاني؟  
قال: نعم، هي أفضلهن<sup>(١)</sup>.

## «باء: بسم الله»

ينابيع المودة: عن ابن طلحة الحلبي صاحب «الدر المنظوم»  
قال: أعلم أن جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن، وجميع ما في  
القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسمة، وجميع ما في

(١) التهذيب، وعنه تفسير نور الثقلين: ٨/١، ح ٢٤. وتفسير البرهان: ٤٠/١،

البسمة في باء البسمة، وجميع ما في باء البسمة في النقطة التي هي تحت الباء. قال الإمام علي كرم الله وجهه: «أنا النقطة التي تحت الباء»<sup>(١)</sup>.

وذكر في كتاب «شرح حياة الأرواح» هذا الحديث الشريف عن طريق أهل البيت عليهم السلام<sup>(٢)</sup>.

لقد أشار أمير المؤمنين علي عليه السلام في هذا التعبير الدقيق إلى موضوع عقائدي مهم، وهو أن لديه جميع أسرار وعلوم القرآن الكريم وسائر الكتب السماوية، وهناك المزيد من الأدلة والشواهد عن طريق الفريقين على ذلك قد ذكرتها مفصلة في الجزء الثاني من كتاب «الولاية: بحث حول الولاية من وحي القرآن».

ينابيع المودة: عن ابن عباس قال: أخذ بيدي الإمام علي عليه السلام في ليلة مقمرة، فخرج بي إلى البقيع بعد العشاء، وقال: اقرأ يا عبد الله.

فقرأت: بسم الله الرحمن الرحيم.

فتكلم لي في أسرار هذه الباء إلى بزوغ الفجر<sup>(٣)</sup>.

يستفاد من هذين الحديثين الشريفين: إن العلوم والأسرار المودعة في الآية المباركة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وحتى في باء «بسم الله» هي علوم غير متناهية، طبقاً لما مرّ في الأحاديث المعتمدة

(١) ينابيع المودة: ٦٨.

(٢) شرح حياة الأرواح: ١٠٤.

(٣) ينابيع المودة: ٦٨.

من أن علوم وأسرار جميع الكتب السماوية، وحتى القرآن الكريم، جمعت في الآية المباركة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ بل في الباء منها، وبما أن أسرار وعلوم جميع الكتب السماوية والقرآن الكريم غير متناهية بالنسبة لظرفيتنا، فكذلك ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وباء «بسم الله» الحاوية على خلاصة وإجمال جميع تلك الكتب وما فيها، فمن أين لنا القدرة على تفسير وتأويل هكذا كلمة عظيمة من كلمات الله التامات!؟

نعم نحن الواقفون على أبواب أهل بيت العصمة عليهم السلام نسأل علومهم، فما حصلنا عليه من باب علم النبي صلى الله عليه وآله، وعترته المعصومين عليهم السلام، نقدّمه على طبقٍ من الإخلاص لمواليهم ومحبيهم.

ونفهم أيضاً من قوله عليه السلام: «أنا النقطة تحت الباء»، ومن قول ابن عباس: «فتكلّم لي (بعد الانتهاء من صلاة العشاء) في أسرار الباء إلى بزوغ الفجر». أنه عليه السلام تحدث لابن عباس هذه المدة عن الفضائل والعلوم والأسرار الموجودة في وجوده المقدّس.

فإن باء «بسم الله» - كما ورد في الحديث السابق - تساوي علي بن أبي طالب عليه السلام، بل هي عينه، لأن الخبر هو دائماً عين المبتدأ، وقوله عليه السلام: «أنا النقطة تحت الباء» جاء بصورة مبتدأ وخبر.

ويقول ابن عباس، إنه عليه السلام تكلم عن أسرار باء «بسم الله» والتي ذكرنا أنها عين وجود علي عليه السلام المبارك، بالإستدلال أعلاه.

نخلص إلى أن معلم عالم الخلق تحدث مع ابن عباس بخصوص أسراره عليه السلام، ولا عجب فإن أهل التحقيق يعلمون جميعاً أن الوجود المقدس لأمر المؤمنين علي عليه السلام، هو «بسم الله الرحمن الرحيم» لكتاب تكوين الخلقة العظيم، كما هو الحال لخاتم الأنبياء محمد المصطفى صلى الله عليه وآله، فهو الكتاب التكويني العظيم لعالم الخلق.

إذا القرآن التدويني بجميع خصائصه هو عين الكتاب التكويني.

فإذا تحدث علي عليه السلام، عن أسرار باء «بسم الله» أو أسرار وجوده المقدس لابن عباس فلا فرق، فكلاهما شيء واحد، إلا أن أحدهما من جهة التدوين والآخر من جهة التكوين، وسيكون لنا بحث مشابه في تفسيرنا لسورة «الإخلاص» إن شاء الله تعالى.

قال «الشعراني» في «لطائف المنن»: وروينا عن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - أنه كان يقول: لو شئت لأوقرت لكم ثمانين بغيراً من معنى الباء<sup>(١)</sup>.

ولهذا الحديث نظائر كثيرة في الكتب المعتمدة للفريقين تدل على المعاني العظيمة وغير المتناهية المودعة في الآية المباركة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباء «بسم الله» مما هو أعلى بكثير من مستوى إدراكنا وفهم عقولنا. كما تدل أيضاً دلالة أوضح وأقوى على العلوم

(١) لطائف المنن: ١٧١/١، ط مصر.

غير المحدودة التي يحويها صدر علي عليه السلام المبارك، فهو مستودع العلوم والأسرار الإلهية.

١ - التهذيب: بإسناده عن عبد الله بن يحيى الكاهلي، عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال في فضيلة «بسم الله الرحمن الرحيم»: أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها<sup>(١)</sup>.

٢ - ابن بابويه: بإسناده عن محمد بن سنان<sup>(٢)</sup>.

٣ - والعياشي: بإسناده عن إسماعيل بن مهران كلاهما عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: إن «بسم الله الرحمن الرحيم» أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها<sup>(٣)</sup>.

أقول: جاء في الأحاديث المروية عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، أن من دعا الله عزّ وجل باسمه الأعظم استجيب دعاؤه وقضيت حاجته<sup>(٤)</sup>. فهذا الإسم المبارك مفتاح كل حاجة ودواء كل علة، والإسم الأعظم من الأسرار التي لا يعلم بها إلا المعصومون عليهم السلام وأصحاب أسرارهم.

---

(١) التهذيب: ٢٨٩/٢، ح ١١٥٩ وعنه تفسير نور الثقلين: ٨/١، ح ٢١. وتفسير البرهان: ٤١/١، ح ٢.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٢٥٥/٢، ح ٥. وعنه تفسير البرهان: ٤١/١، ح ٩.

(٣) تفسير العياشي: ٣٥/١. وعنه تفسير البرهان: ٤٢/١، ح ٢٤.

(٤) كما روي في قصة نبي الله سليمان عليه السلام: ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ وهو آصف بن برخيا، وكان وزير سليمان وابن أخته وكان صديقاً يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب... قال الكلبي: فخر آصف ساجداً ودعا باسم الله الأعظم فغار عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان (راجع عدّة الداعي لابن فهد الحلبي: ٥٧).



لقد ذكرنا هذه الأحاديث الثلاثة كنموذج من بين عشرات الأحاديث التي صرح فيها بأن «بسم الله الرحمن الرحيم» أقرب الأسماء إلى إسم الله الأعظم، أقرب إليه من سواد العين إلى بياضها.

وقد وردت عن الأئمة الأطهار، وخصوصاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله توصية أكيدة بأن نبتدىء أمورنا بذكر «بسم الله الرحمن الرحيم» دائماً ليجعلها الله تعالى ببركة هذا الاسم سهلة ومباركة، وسنذكر بعض الأحاديث في ذلك:

١ - تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: روى بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ولربما ترك في افتتاح أمر بعض شيعتنا «بسم الله الرحمن الرحيم» فيمتحنه الله بمكروه لينبهه على شكر الله تعالى والثناء عليه، ويمحو عنه وصمة تقصيره عند تركه قول: [بسم الله الرحمن الرحيم] <sup>(١)</sup>.

ثم قال بعد ذكره حديثاً مفصلاً عن أمير المؤمنين عليه السلام: أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله، حدّثني عن الله عزّ وجل أنه قال: «كل أمر ذي بالٍ لم يذكر «بسم الله» فيه فهو أبترا!».

قال الراوي: يا أمير المؤمنين! ما تفسير «بسم الله الرحمن الرحيم»؟

قال: إن العبد إذا أراد أن يقرأ أو يعمل عملاً يقول: «بسم الله» أي: بهذا الاسم أعمل هذا العمل، فكلّ أمر يعمله يبدأ فيه بـ «بسم الله

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٢٢، ح ٧.

الرحمن الرحيم» فإنه يبارك له فيه<sup>(١)</sup>.

٢ - العياشي: بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ما أنزل الله من السماء كتاباً إلا وفاتحته «بسم الله الرحمن الرحيم» وإنما كان يعرف انتهاء السورة بنزول «بسم الله الرحمن الرحيم» ابتداءً للآخرى.

٣ - الكافي: روى بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: أول كل كتاب نزل من السماء «بسم الله الرحمن الرحيم» فإذا قرأت «بسم الله الرحمن الرحيم» فلا تبالي أن لا تستعيز، وإذا قرأت «بسم الله الرحمن الرحيم» سترتك فيما بين السماوات والأرض<sup>(٢)</sup>.

٤ - القمي: بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» أحق ما أجهر به<sup>(٣)</sup>، وهي الآية التي قال الله عز وجل: ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً﴾<sup>(٤)</sup>.

٥ - الخصال: عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: والإجهار بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» في الصلاة واجب<sup>(٥)</sup>.

٦ - العياشي: عن الإمام الصادق عليه السلام: مالهم (أي

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٢٥.

(٢) الكافي: ٣/٣١٣، ح ٣. وعنه تفسير نور الثقلين: ٦/١، ح ١٤.

(٣) تفسير القمي: ٢٨/١. وعنه تفسير نور الثقلين: ١٠/١، ح ٣٤.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٤٦.

(٥) الخصال: ٦٠٤. وعنه تفسير نور الثقلين: ١٠/١، ح ٣٨.

العامة) - قاتلهم الله - عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنها بدعة إذا أظهروها<sup>(١)</sup>.

قال الإمام الباقر عليه السلام: سرقوا أكرم آية من كتاب الله: «بسم الله الرحمن الرحيم»<sup>(٢)</sup>.

وينبغي الإتيان بها عند افتتاح كل أمر عظيم أو صغير، ليبارك فيه<sup>(٣)</sup>.

٧ - أصول الكافي: قال الإمام الصادق عليه السلام: لا تدع «بسم الله الرحمن الرحيم» وإن كان بعده شعر<sup>(٤)</sup>.

### الـ «باء»

ذكرنا في الفصل السابق معنى الباء في «بسم الله» من الناحية المعنوية على لسان مولى المتقين، أمير المؤمنين علي عليه السلام، وسنذكر هنا للقراء الأعزاء معنى الباء من الناحية اللغوية والأدبية.

الباء حرف جر جاء بمعانٍ مختلفة منها:

- ١ - الإستعانة: فيكون معنى «بسم الله»: أستعين بالله.
- ٢ - الابتداء: فيكون معنى «بسم الله»: أبتدىء باسم الله.

(١) تفسير العياشي: ٣٦/١، ح ١٥. وعنه تفسير الصافي: ٨٢/١.

(٢) تفسير العياشي: ٣٣/١، ح ٤.

(٣) تفسير الصافي: ٨٢/١.

(٤) الكافي: ٦٧٢/٢، ح ١. وعنه تفسير نور الثقلين: ٦/١. وتفسير الصافي: ٨٣/١.

٣ - الإلصاق: فيكون معنى «بسم الله»: ألتصق باسم الله .

وقد ذكروا للباء معاني أخرى يوجب ذكرها الإطناب، والقول الأصح والأقوى هو أن تكون الباء بمعنى الإستعانة لأن هدف كل عبدٍ من ذكر «بسم الله الرحمن الرحيم» في بداية الأعمال هو في الواقع استمداد العون والمساعدة من الله عزّ وجل، لإتمام العمل بتوفيق ونجاح، ويؤيد ذلك قوله تعالى: «إياك نستعين».

### الـ «إسم»

الـ «إسم» - على المشهور - مشتق من كلمة الـ «سمو» بمعنى «الإعتلاء والرفعة»، وبعد حدوث الإعلال والإبدال أصبح بصورة الـ «إسم» وهو الكلمة التي توضع للأشياء وللأشخاص، وقد أخذت من تلك المادة لأنها أساس لارتفاع شأن صاحبها.

لذا ورد عن المعصومين عليهم السلام انتخاب الإسم الحسن لأولادهم<sup>(١)</sup>.

يقول كاتب هذه السطور: إن أفضل الأسماء لأولاد المسلمين التي تعطيهم الإعتلاء والرفعة، هي أسماء محمد وآل محمد عليهم السلام الجميلة، وأسماء أصحابهم وأنصارهم وتلاميذهم التي زينت صفحات التاريخ البشري.

ففي «الزيارة الجامعة الكبيرة» نخاطب محمداً وآل محمد عليهم

(١) راجع وسائل الشيعة: ١٢٢/١٥، ب ٢٢. ومنه قول أبي الحسن عليه السلام: أول ما يبرّ الرجل ولده أن يسميه باسم حسن فليحسن أحدكم اسم ولده.

السلام، فنقول: فما أحلى أسماؤكم! وأكرم أنفسكم! وأعظم شأنكم!... إلى آخره.

ومما يؤسف له ويتعجب منه وضع بعض المسلمين أسماءً لأبنائهم تعود لأسوأ الناس في التاريخ، فيكون هذا الاسم أول إساءة يوجهونها إلى أولادهم منذ ولادتهم عن علمٍ منهم أو جهل.

## «الله»

يعتقد جمهور علماء التفسير أن لفظ الجلالة «الله» هو اسم مشتق، وهناك أقوال كثيرة في اشتقاقه نذكرها فيما يلي:

١ - إنه مشتق من مادة «أَلَّهَ يَأْلُهُ» من باب «مَنَعَ يَمْنَعُ» بمعنى «العبادة»، فيكون لفظ الجلالة «الله» بمعنى اسم المفعول «المألوه» وأيضاً بمعنى «معبود» لأنه معبود جميع الكائنات، وهو الذي عنت له الوجوه: ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم﴾<sup>(١)</sup>.

٢ - إنه من مادة «أَلَّهَ يَأْلُهُ» من باب «عَلِمَ يَعْلَمُ» بمعنى «التحير»، فيكون لفظ الجلالة «الله» بمعنى الوجود الذي تحيرت جميع العقول والأوهام بمعرفته.

وورد في كتاب «التوحيد» حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الخصوص من المناسب ذكره في هذا المقام:

قال عليه السلام: «الله: معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤله

(١) سورة طه، الآية: ١١١.

إليه. والله: هو المستور عن درك الأبصار المحجوب عن الأوهام والخطرات»<sup>(١)</sup>.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله - مستودع العلوم الإلهية، ومعدن أسرار الحق وينبوع المعرفة - يقول مراراً: «ربّ زدني تحييراً».

ومراده: التحيّر في مقام معرفته جلّ وعلا، لأن الإنسان زادت درجات معرفته، وكلما اقترب من مقام القرب أكثر، كلما زاد تحييره أمام عظمة الحق جلّ وعلا.

٣ - إنه من مادة «ألّهت إلى فلان»، أي: سكنت إليه. وعلى هذا فلفظ الجلالة «الله» يعني المطمئن.

وفي الواقع إن اطمئنان القلوب ورفع قلقها وسكون خاطرها، إنما يكون عندما يذكر الإنسان الوجود الأحدي الكريم الرحيم، ويجعل أمله برّبّه جلّ وعلا: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾<sup>(٢)</sup>.

التوحيد: ورد عن الإمام الباقر عليه السلام، في رواية طويلة في تفسير لفظ الجلالة «الله» عزّ وجل أنه قال: «الله»: معناه المعبود الذي أله الخلق عن درك ماهيته والإحاطة بكيفيته.

ويقول العرب: «ألّه» إذا تحيّر في الشيء ولم يحط به علماً. و«ولّه» إذا فزع الشيء مما يحذره ويخافه. و«الإلّه» هو المستور عن حواس الخلق.

(١) التوحيد: ٨٩، ح ٢.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

إن المعاني اللغوية للفظ الجلالة «الله» والروايات المنقولة عن المعصومين عليهم السلام التي تؤكد جميعاً حيرة عقول وأوهام جميع المخلوقات أمام ذات الله عزّ وجلّ، تثبت أن هذا الاسم المبارك وسائر الأسماء الحسنى لا يمكن أن تكون علماً للذات الإلهية، لأن أيّاً منها لا يكشف عن ذات الحق جلّ وعلا، فهي إذاً أسماء صفات فعلية لذلك الوجود جلّ وعلا، وإن كان المراد حين إطلاق هذه الأسماء المباركة هو الله عزّ وجلّ وليس غيره.

وبعبارة أخرى إن ذكر لفظ الجلالة «الله» لا يكشف لنا شيئاً من أسرار ذات الله، فهذه الكلمة المباركة لا تكشف عن حقيقة الذات الإلهية، كما أننا لا نملك أيضاً القابلية والاستعداد والقدرة على درك ذلك المقام السامي، إلا أننا عندما نريد أن نلتفت إليه ونذكره نقول ومن دون اختيار: «الله».

وقد قال البعض أن لفظ الجلالة «الله» هو اسم علم «بغلبة الاستعمال» لله عزّ وجلّ.

إن الحديث في هذا البحث طويل جداً، وقد كتب علماء التفسير والحكمة مسائل كثيرة في هذا الموضوع لا يسع هذا المختصر درجها، وقد ذكرنا في السطور السابقة مجملًا لكل تلك المواضع وبشكل موجز، ومن الله التوفيق.

روي في «تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام» وفي كتاب «التوحيد» عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أن رجلاً قام إليه فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن «بسم الله» ما معناه؟

فقال: إن قولك «الله» أعظم اسم من أسماء الله عزّ وجل، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمّى به غير الله، ولم يتسمّ به مخلوق<sup>(١)</sup>.

### «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ»

إن كلاً من هاتين الكلمتين مشتق من مادة «رَحِمَ يَرْحَمُ رَحْمَةً» ومن باب «عَلِمَ يَعْلَمُ» وهي بمعنى «الرقة والعفو والعطف»، وهي ضد «الظلم والشدة».

ولهذه الصفات ابتداءً حالة انفعالية، وفي الآخر حالة فعلية، وبشكلٍ عام فإن جميع الأفعال التي تنضوي تحت مفهوم العاطفة كالمحبة والرقة والعفو وحتى الغضب، هي ابتداءً ذات حالة انفعالية وهي أن يتصف الإنسان بهذه الحالات على أثر المشاهدة والرؤية أو بشكل عام يكون الإحساس محركاً خارجياً لها.

فمثلاً لو أن شخصاً رأى مظلوماً يئنّ تحت ضربات ظالم فإن رؤيته لهذا المنظر تثير لديه الانفعال، وتحدث في نفسه حالة من الرقة نحو المظلوم، وحالة من الغضب نحو الظالم، فهنا نجد حالة الانفعال قد طرأت على هذا الإنسان، أي إنه وقع تحت تأثير هذا المنظر. فإذا نهض هذا الإنسان لنصرة المظلوم، وقمع ذلك الظالم فسيكون له حالة فعلية.

وبما أن الله منزّه من حالة الانفعال، فإن المراد من هذه الأسماء

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري: ٢٧. وتوحيد الصدوق: ٢٣١، ح ٥.



أو الأوصاف التي تنسب إلى تلك الذات المقدسة اعتبار الغاية ونتيجة الأمر، وهي الفعل، وليس اعتبار الابتداء والمبدأ، وهو الانفعال.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في كتاب «نهج البلاغة» ضمن خطبة مفصلة في التوحيد: «يحبّ ويرضى من غير رقة»<sup>(١)</sup> أي أن رضاه لا يكون تحت تأثير الانفعال، ولذا، فإن إطلاق هكذا صفات، على الله عزّ وجل هو من باب الإستعارة التمثيلية.

لقد ذكروا لكلمة «الرحمة» في القرآن المجيد، ما يقارب العشرين معنى، وجاء في بحثنا بمعنى «المعطي والمحب» كما هو المشهور.

ورد في «التوحيد» و«تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام» بإسنادهما عن الإمام علي عليه السلام، أنه قال: «الرحمن: الذي يرحم ببسط الرزق علينا».

وجاء في رواية أخرى: «العاطف على خلقه بالرزق، لا يقطع عنهم موادّ رزقه وإن انقطعوا عن طاعته».

ثم قال الإمام عليه السلام: «الرحيم بنا في أدياننا ودنيانا وآخرتنا، خفف علينا الدين، وجعله سهلاً خفيفاً، وهو يرحمنا بتمييزنا من أعدائه»<sup>(٢)</sup>.

(١) نهج البلاغة: ٤٠٩، الخطبة ١٨٦.

(٢) تفسير الصافي: ٨١/١، عن التوحيد: ٢٠٣، ح ٥. وتفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٢٨.

ويقول المرحوم «الفيض الكاشاني»: رزق كل مخلوق ما به قوام وجوده وكماله اللائق به، فالرحمة الرحمانية تعم جميع الموجودات (لأن أحد متعلقاتها رزق العباد) وتشمل كل النعم، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾<sup>(١)</sup>.

أما الرحمة الرحيمية بمعنى التوفيق في الدنيا والدين، فهي مختصة بالمؤمنين، وما ورد من شمولها للكافرين وإنما من قولهم عليهم السلام: «الرحيم» بعبادة المؤمنين في تخفيفه عليهم طاعته، وعبادة الكافرين في الرفق في دعائهم إلى موافقته.

ومن ثمة قال الإمام الصادق عليه السلام: «الرحمن» اسم خاص لصفة عامة، و«الرحيم» اسم عام لصفة خاصة.

وقال عيسى بن مريم عليه السلام: «الرحمن» رحمن الدنيا، و«الرحيم» رحيم الآخرة. رواهما في «المجمع»<sup>(٢)</sup>.

وفي «الكافي» و«المعاني» و«العياشي» عن الصادق عليه السلام أنه قال في حديث: «الرحمن» بجميع خلقه، و«الرحيم» بالمؤمنين خاصة<sup>(٣)</sup>.

يقول المؤلف - لتوضيح كلام الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «الرحمن» اسم خاص ومتعلقه عام... إلى آخر الحديث - للقراء.

(١) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٢) مجمع البيان: ٩٢/١ - ٩٤. وتفسير الصافي: ٨١/١.

(٣) الكافي: ١١٤/١، ح ١. والتوحيد: ٢٣٠، ح ٢ و ٣. ومعاني الأخبار: ٣، ح ١ و ٢. وتفسير العياشي: ٣٦/١، ح ١٩.

الأعزاء، وخصوصاً، المبتدئين منهم: إن مراد الإمام عليه السلام، أن كلمة «الرحمن» هي من الأسماء المختصة بالله عزّ وجل، ولا يجوز تسمية أحد باسم «رحمن» إلا أن تسبقها كلمة «عبد» فتكون «عبد الرحمن».

ولقد رأيت بهذا الخصوص رواية عن المعصومين عليهم السلام مضمونها، إن أحبّ أسماء العباد عند الله عزّ وجل «عبد الله» و «عبد الرحمن».

وقول الإمام عليه السلام أن متعلقه عام، أي أن رحمة رحمانية الله شاملة لجميع عباده، المؤمن منهم والكافر، الأبيض والأسود.

فمثلاً لو زرع شخص أرضاً ووفر لها شروط الزراعة، فإن الله الرحمن سينفعه بزراعته، سواء أكان مؤمناً أم كافراً.

إن الله عزّ وجل عندما ينزل مطر رحمته على منطقة، فإنه لا يفرّق في ذلك بين المؤمن والكافر، فتصيب هذه الأمطار أرض الجميع في تلك المنطقة.

إن الله عزّ وجل، قسم الأرزاق على جميع عباده، المسلم منهم والكافر، القرشي والحبشي، العدو والصديق، بصفة رحمانيته. نعم كلّ من كان له سعي أكثر في هذا المجال حصل على رزق من الله أوفر: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾<sup>(١)</sup>. وكذلك الحيوانات والنباتات، بل وحتى (الجمادات) وهذا هو معنى رحمانية الله عزّ وجل.

(١) سورة النجم، الآية: ٣٩.

فإذا ابتلي بعض المؤمنين بالفقر أو قلة الرزق أو ضيق ذات اليد، فعليه أن يأخذ امتحان الله واختباره بنظر الاعتبار (وهو مما يخصّ عباد الله الممتازين، فإن الله عزّ وجل، يعامل عباده أحياناً هكذا معاملة من حكمته البالغة) وإلا فعليه أن يبحث في علة ذلك في نفسه أو في آبائه لأنها ليست من الله عزّ وجل، أبداً.

وسنذكر بعضاً من آيات القرآن الكريم فيما يخص الموضوع الذي حصرناه بين هلالين، ليتضح بشكلٍ كامل. فقد قال الله عزّ وجل، في الآيات (١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨) من سورة البقرة: ﴿ ولنبلوكنم بشيءٍ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين \* الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون \* أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ .

وهذا المقام هو لخواص الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام، أولئك العشاق الذين يتعرضون بأنفسهم إلى هذه التجارة المربحة ويعطيهم الله مقابل صبرهم على البلايا والمصائب صلواتاً ورحمةً وهدايةً منه جلّ وعلا.

نعود إلى أصل الموضوع، فقد كانت هذه خلاصة من تفسير اسم «الرحمن» .

وأما «الرحيم» فهو اسم عام، وهو يطلق على غير الله عزّ وجل أيضاً، فيستطيع العباد انتخاب هذا الاسم أو الصفة «الرحيم» لأنفسهم لأنه لا يختصّ بالله عزّ وجل كاسم «الرحمن» .

ولكن رحمة رحيمية الله خاصة لعباده المؤمنين فقط، وليس لغير المؤمنين منها نصيب: ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾<sup>(١)</sup> أي إن رحمة رحيمة مختصة بعباده المؤمنين بالتفصيل الذي ذكرناه في الصفحات السابقة.

وقد جاء في «لطائف الإمام القشيري»: إن «الرحمن» الذي أعطى النعم، و«الرحيم» الذي غفر<sup>(٢)</sup>.

وقال محمد بن علي الترمذي: إن «الرحمن» بإنجائه العباد من نار جهنم، و«الرحيم» بإدخالهم الجنة<sup>(٣)</sup>.

ويقول مجاهد: إن «الرحمن» لأهل الدنيا، و«الرحيم» لأهل الآخرة<sup>(٤)</sup>.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: إن «الرحمن» بمصالح العباد ومعاشهم، و«الرحيم» بمصالح معادهم<sup>(٥)</sup>.

وقال بعض العرفاء: إن «الرحمن» هو الرازق لعباده من حيث لا يحتسبون، ودافع الآفات عنهم والبليات من حيث لا يعلمون، و«الرحيم» بالمؤمنين الذين يغفر لهم.

يقول الشيخ «النجفي الأصفهاني» - رحمه الله -: إن الرحمة على قسمين:

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣.

(٢) منهاج النجاة: ٢٥٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

القسم الأول: يتعلق بالقوس النزولي والنشأة الدنيوية، ومسيره من الحق إلى الخلق، حيث يعطي الله تبارك وتعالى كل مخلوق ما يحتاجه، كالرزق ودفء المكاره، وإعطاء المنافع وإصلاح الشأن وتحسين الصورة، وإعطائه كل ما يرتبط بقوامه ودوامه.

والقسم الثاني: هو بالنسبة إلى القوس الصعودي والنشأة الأخرى، وسيره من الخلق إلى الحق لطي درجات القرب نحو الله عز وجل.

الأول: هو تلك الرحمة الأولية الإبتدائية التي لا ترتبط بعمل العبد، وتشمل جميع الأشياء وكل الموجودات، من مؤمن وكافر وحيوان ونبات وجماد وغير ذلك، كما قال الله عز وجل: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾<sup>(١)</sup>.

والثاني: هو الرحمة الجزائية ﴿وأن ليس للإنسن إلا ما سعى﴾ \* وأن سعيه سوف يرى \* ثم يجزئه الجزاء الأوفى<sup>(٢)</sup>.

وكما قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذه الرحمة تختص بالسعداء بتفاوت درجاتهم، أما الأشقياء فهم محرومون من هذه الرحمة بما يتناسب مع درجة شقائهم.

فإذاً القسم الأول: هو «الرحمة الرحمانية» كما يقول الله تعالى:

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣٩، ٤٠، ٤١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

﴿ ما ترى في خلق الرحمن من تفوت ﴾<sup>(١)</sup> والله مستولٍ على عرشه  
بهذه الصفة: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾<sup>(٢)</sup> فقد أعطى كل  
موجود حقه .

والقسم الثاني: هو «الرحمة الرحيمية» المختصة بأهلها بتفاوت  
درجاتهم، وأما العاصون والكفار والأشقياء فهم محرومون منها،  
وسيكون نصيبهم النعمة وهذه الصفة مقرونة بالغفور وما في رتبها:  
﴿ إن ربي غفور رحيم ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿ واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾<sup>(٤)</sup> .  
فإذا الصفة الأولى عامة يستفيد منها كل موجود، والصفة الثانية  
خاصة بالمؤمنين والصالحين .

ف «الرحمن» اسم خاص لصفة عامة، و «الرحيم» اسم عام لصفة  
خاصة، وفي هذا الأمر تفاصيل كثيرة وأحاديث متشعبة يؤيد بعضها  
البعض الآخر، وسأكتفي بما ذكرته أعلاه رعاية للاختصار واحترازاً من  
الإطناب، والله المستعان .

---

(١) سورة الملك، الآية: ٣ .

(٢) سورة طه، الآية: ٥ .

(٣) سورة يوسف، الآية: ٥٣ .

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٢ .

# تَهْنِئَاتٌ لِلْبَيْتِ الْكِبَرِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

كلمة «الحمد» من مادة «حَمِدَ يَحْمَدُ حَمْدًا» ومن باب «عَلِمَ يَعْلَمُ» وهي مصدر بمعنى «الشكر والمدح»، وضد «الذم واللوم».

كما أن «الشكر» هو أيضاً عرفان الجميل وضده «الكفران» و«المدح» بمعنى الإطراء وهو ضد «الهجو» وهذه الكلمات الثلاث (الحمد، والشكر، والمدح) لها معانٍ متقاربة وأحياناً يستعمل بعضها محل البعض الآخر.

وقالوا في تعريف «الحمد»: الحمد: هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري، أي الأعمال الصالحة التي تصدر من الإنسان باختياره، سواء انتفع المُثني من هذا العمل الصالح أم لا.

كما يمدح الناس في هذه العصور مثلاً، الملك «أنوشيروان» لعدالته، و«حاتم الطائي» لكرمه، في حين لم يصل إليهم من عدالة «أنوشيروان» أو كرم «حاتم الطائي» شيءٌ.

إن الألف واللام في كلمة «الحمد» هي ألف لام الجنس، فتشمل



الكلمة جميع أنواع الحمد، وبهذا يكون معنى «الحمد لله» أن جميع أنواع الحمد والشكر تختصّ بالله عزّ وجلّ، وبما أن مصدر وخالق جميع النعم هو الله عزّ وجلّ: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾<sup>(١)</sup> فيعود الحمد كله المباشر منه وغير المباشر إليه جلّ وعلا.

أما عكس ذلك وهو السوء فليس منه عزّ وجلّ، فكما يقول القرآن الكريم: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك...﴾<sup>(٢)</sup>.

وهنا تتفرّع أبحاث كثيرة وعميقة أوجبت الكثير من القيل والقال بين الفلاسفة مما لسا بصدده كي لا نبتعد عن التفسير المبسط لهذه السورة المباركة.

ورد في «عيون أخبار الرضا عليه السلام» و«تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام»، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه سُئِلَ عن تفسير «الحمد لله» فقال: «هو أن الله عرّف عباده بعض نعمه عليهم جملاً، إذ لا يقدرّون على معرفة جميعها بالتفصيل لأنها أكثر من أن تحصى أو تعرف، فقال: قولوا الحمد لله على ما أنعم به علينا<sup>(٣)</sup>».

أصول الكافي: قال الإمام الصادق عليه السلام: ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت فقال: «الحمد لله» إلا أدى شكرها<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٣) عيون أخبار الرضا: ٢٨٨/١، ح ٣٠. وتفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٣٠، ح ١١. وعنهما تفسير الصافي: ٨٣/١.

(٤) الكافي: ٩٦/٢، ح ١٤. وعنه تفسير الصافي: ٨٣/١.

أصول الكافي: قال الإمام الصادق عليه السلام: من قال أربع مرّات إذا أصبح: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ فقد أدى شكر يومه، ومن قالها إذا أمسى فقد أدى شكر ليلته<sup>(١)</sup>.

أصول الكافي: عن المفضل (أحد تلامذة الإمام الصادق عليه السلام) قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك علّمني دعاءً جامعاً. فقال لي: أحمد الله فإنه لا يبقى أحد يصليّ إلا دعا لك يقول: سمع الله لمن حمده<sup>(٢)</sup>.

وجاء في الحديث أن أول كلمة جرت على لسان آدم أبي البشر عليه السلام هي «الحمد لله» وآخر كلمة ستجري على لسان بني آدم هي: ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العلمين﴾<sup>(٣)</sup>.

فيا أيها العزيز تذكر دائماً أن تقول: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ على المبدأ والمعاد، لتأتي بشرط الشكر والحمد بحكم قوله تعالى: ﴿له الحمد في الأولى والآخرة﴾<sup>(٤)</sup>.

سئل الجنيد: ما النهاية؟

قال: الرجوع إلى البداية<sup>(٥)</sup>.

كأن الحب دائرة بقلبي فأولّه وآخره سواءً

(١) الكافي: ٥٠٣/٢، ح ٥٠. وعنه تفسير نور الثقلين: ١٥/١، ح ٦٣.

(٢) الكافي: ٥٠٣/٢، ح ١.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٠.

(٤) سورة القصص، الآية: ٧٠.

(٥) منهاج النجاة: ٢٦٩.

وهنا يجب القول: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

إن حمد الله الذي ﴿هو الأول والآخِر﴾<sup>(١)</sup> يكون لإطلاعك على المبدأ والمعاد، والثناء المنقطع النظير ظاهره وباطنه سواء: ﴿الظاهر والباطن﴾<sup>(٢)</sup> بشكل لعله يجعل ظاهرك وباطنك تحت تأثيره.

ولا يترك القول إن صفات (الأول والآخِر، والظاهر والباطن) وأمثالها هي من صفات الله الفعلية، وليست من صفاته الذاتية.

### كلمة حول علم الأعداد والحروف

إن علم الأعداد والحروف، وأيضاً علم الجفر هي من أهم علوم أرباب الأسرار، وكان لها رواج أكثر لدى العلماء السابقين ولا يزال هناك إلى الآن من يأنس بهذه العلوم من المهتمين بالأمور الغيبية، وقد ورد تأييد لهذه العلوم في أحاديث أهل البيت عليهم السلام، وخصوصاً علم الجفر، فقد علّموه بعض تلاميذهم الخاصين.

لقد وفق بعض الأساتذة الأجلاء ممن لهم المعرفة بهذه العلوم إلى كشف مخازن من العلوم والأسرار، مما لا يفهمه أهل الظاهر، ولذا طعن بعض الجهال بهؤلاء الأساتذة من باب «المرء عدوٌ لما جهل».

إن أحد أقسام علم الأعداد والحروف هو حساب الكلمات

(١) سورة الحديد، الآية: ٣.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٣.

بحساب الأبجد، وأيسرها حساب مادة التاريخ مما هو معمول به الآن عند أهله.

فعلى سبيل المثال: مادة تاريخ وفاة المرحوم العلامة «الحلي» بقاعدة الأعداد والحروف هي كلمة (رحمة = ٦٤٨) وهو تاريخ وفاته. وكذلك تاريخ وفاة المرحوم «المجلسي» بتلك القاعدة هو (خازن الجنة = ١١١١) وهذا الرقم هو سنة وفاته في التاريخ الهجري القمري.

إني لا أريد الدخول في هذا البحث الغريب بل أردت ذكر موضوع يتطرق إليه أساتذة هذا العلم بشأن كلمة الحمد تبرّكاً، وكنموذج يحسن بالقراء الأعزاء الاطلاع عليه ليكون ضمن هذا التفسير ذكر لهذا العلم الغريب والذي نسي تقريباً مع ما فيه من عجب وحيرة.

### مثلث الكيان ومربع الكيفية

يقولون إن كلمة «الحمد» بحسب الظاهر هي مثلث الكيان ومربع الكيفية (في اصطلاح هذا العلم «الكيان» بمعنى المادة و«الكيفية» بمعنى الصورة).

أي إن مادة كلمة (ح - م - د) هي ثلاثة حروف، وصورتها عدد كل حرف منها بحساب الأبجد مضروب في أربعة على هذا النحو: (د = ٤) و (م = ٤ × ١٠) و (ح = ٤ × ٢).

إذاً ثبت لنا أن الكيان (المادة) لكلمة «الحمد» هو عدد (٣) والكيفية (صورة كلمة الحمد) هو العدد (٤) فكلمة «الحمد» مثلث

الكيان ومربع الكيفية. أما النتائج التي نحصل عليها من هذا الحساب فهي كما يلي:

لو ضربنا كيان كلمة «الحمد» مع كيفيتها ينتج لدينا رقم (١٢)  
(٣ × ٤ = ١٢).

وهذا سرّ كون الأئمة الأطهار عليهم السلام عددهم إثنا عشر.  
ولو جمعنا كيان كلمة «الحمد» مع كيفيتها لكان المجموع (٧)  
(٣ + ٤ = ٧).

ولو ضاعفنا هذا العدد بملاحظة وجود عالم الغيب وعالم الشهادة لكان لدينا الرقم (١٤) وهو يكشف لنا سرّ كون عدد المعصومين عليهم السلام (١٤).

وكلمة «الحمد» هي شرح للأحوال الخاصة للأئمة الإثني عشر وللمعصومين الأربعة عشر، فأفهم.

يقول المرحوم العلامة «دهخدا» في «لغت نامه» تحت عنوان «الجفر»:

الجفر: علم يبحث فيه عن الحروف من حيث كونها بناءً مستقلاً في الدلالة، ويسمى أيضاً علم الحروف وعلم التفسير، وفائدته تكمن في فهم الرسالة المحمدية، فكما أنه لا يمكن معرفتها إلا بمعرفة اللغة العربية كذلك الشأن في بعض الرسائل التي أشير إليها، وبهذا العلم يتعرف على حوادث العالم حتى نهايته.

وقد قال السيد السّند في «شرح المواقف» في المقصد الثاني: إن من أقسام العلوم: علم الجفر، والجامعة، وهما عبارة عن كتابين سطر

فيهما إمام المتقين أمير المؤمنين علي عليه الصلاة والسلام الحوادث التي ستشهدها البشرية إلى نهاية العالم على طريقة علم الحروف، وكان الأئمة بالحق أبناء أمير المؤمنين علي عليه السلام عارفين بهذا العلم، وكانوا يستخرجون أحداث المستقبل من هذين الكتابين، حتى ورد في الصحيفة التي قدمها الإمام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى المأمون يعلن فيها قبول ولاية العهد بعد أن جعله المأمون ولي عهده، ما مضمونه: يا مأمون! لقد ظهر لك من حق الخلافة ما لم يظهر لآبائك، وإني أقبل ولاية عهدك إلا أن هذا الأمر لا يتم<sup>(١)</sup>.

ولشيوخ المغاربة نصيب من علم الحروف، وقد أخذوا معلوماتهم في هذا العلم من أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين، وقد رأيت بنفسني في الشام منظومة رمزية تشير إلى أحوال ملوك مصر، وسمعت أن ما فيها من إشارات لما حصل قد أخذ من كتاب «الجفر» و«الجامعة» (إنتهى كلام السيد).

### «رب العالمين»

جاءت كلمة «رب» المباركة في القرآن الكريم بمعنى «السيد والمالك والمربي والمصلح والمدبر والجامع والصاحب».

والآية المباركة ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ لو أخذنا كلمة «الرب» فيها بأي من هذه المعاني السبعة فهو صحيح.

(١) شرح المواقف.

وإذا أطلقت كلمة «الرّب» من دون إضافة إلى شيء آخر في المحاورات إنما يراد بها هو الله عزّ وجل فقط، كما نقول: يا ربّ! ولكن إذا أضيفت إلى شيء آخر فيمكن إطلاقها على غير الله عزّ وجل أيضاً كما نقول: ربّ الدار أي مالكها، وربّ السفينة أي صاحبها، وربّ البيت أي صاحبه ورئيس العائلة.

وجاء في «عيون الأخبار» و«تفسير الإمام العسكري عليه السلام» عن أمير المؤمنين علي سلام الله عليه في تفسير «رب العالمين» أنه قال: يعني مالك الجماعات من كل مخلوق، وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون، يقلّب الحيوانات في قدرته، ويغذوها من رزقه، ويحوطها بكنفه، ويدبّر كلّاً منها بمصلحته، ويمسك الجمادات بقدرته، ويمسك ما أتصل منها عن التهافت، والمتهافت عن التلاصق، والسماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، والأرض أن تنخسف إلا بأمره<sup>(١)</sup>.

وورد في «تفسير الكاشفي» بعض الإشارات في تفسير كلمة «الرّب» نذكر إحداها للقراء الأعزاء:

إن أسماء الله عزّ وجل لدى أهل البصيرة والتحقيق ثلاثة أقسام:

الأول: ما لا يعلمه إلا الله عزّ وجل وتدعى «الأسماء المكنونة»

كما ورد في الدعاء: اللهمّ إني أسألك باسمك المكنون المخزون.

الثاني: ما يعلمه البعض ولا يعلمه الآخرون، كالاسم الأعظم

---

(١) عيون أخبار الرضا، وتفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٣٠، ح ١١. وعنهما تفسير الصافي: ٨٣/١.

الذي اختلف فيه بين العلماء فقال بعضهم: إنه لفظ الجلالة «الله»، وقال آخرون: إنه «الحي القيوم»، وبعض قال: إنه «الرّب» وبعض آخر قال: إنه «ذو الجلال والإكرام».

والحقيقة، إن الاسم الأعظم مخفيّ بين أسماء الله سبحانه وتعالى، لا يعلم به إلا خواص أولياء الله، المقرّبون في حرم الوحدانية والساحة الصمدانية.

الثالث: ما يعلمه الناس ويطلقونه على البارّي عزّ وجلّ، وهو على ستة أنحاء:

١ - ما يختص بالله جلّ وعلا ولا ينبغي إطلاقه على غيره، كلفظ الجلالة «الله» و«الرحمن».

٢ - ما يمكن أن يسمّى به غير الله عزّ وجلّ مثل: «العزیز» و«الرحيم».

٣ - ما يطلق على الله عزّ وجلّ ولا يصح إطلاق ضده عليه مثل: «العالم» و«القادر».

٤ - ما يطلق على الله عزّ وجلّ ويصح إطلاق ضده عليه مثل: «المحيي» «المميت» «المعز» «المذل».

٥ - ما ينبغي لله عزّ وجلّ ولا ينبغي لغيره مثل: «المتكبر» كما جاء في الحديث القدسي: «والكبرياء ردائي».

٦ - ما يطلق على غير الله مع التقييد، ويطلق على الله عزّ وجلّ على الإطلاق والتقييد أيضاً مثل: «الرّب» حيث يطلق على الآخرين بالإضافة مثل: «رّب الدار» أما هو عزّ اسمه فيقال له: «الرّب» المطلق، و«رّب العالمين» أيضاً.



كلمة «العالمين» جمع محلى بالألف واللام من مادة «العالم» وقد جاءت في هذه الآية المباركة بمعنى «الاستغراق»، فجميع عوالم الإمكان، وكل أقسام العالم مشمولة بها، وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم بمعانٍ عديدة، أهمها:

الأول: الكائنات جميعاً والموجودات كافة، كما في قوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العلمين﴾ وقوله: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعلمين نذيراً﴾<sup>(١)</sup>.

فعلى هذا يكون لله عزّ وجل ربوبيةً على جميع العوالم، ولرسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله مرتبة الرسالة والنبوة على العوالم كافة، وكذلك خليفته بالحق مولى العالمين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء وأحد عشر من أبنائهما الأجلاء عليهم السلام فلهم مقام الولاية أيضاً.

الثاني: العالمين هم فقط أبناء آدم عليه السلام، كقوله تعالى: ﴿بركنا فيها للعلمين﴾<sup>(٢)</sup>.

الثالث: الناس الذين هم من غير بني إسرائيل في زمانهم، كما جاء في قوله تعالى خطاباً لبني إسرائيل: ﴿وأنى فضلتم على العلمين﴾<sup>(٣)</sup>.

الرابع: النساء اللّاتي كنّ في زمان مريم عليها السلام، كما في

(١) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٧.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لِيُطَهِّرَكَ وَاصْطَفَىٰكَ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

الخامس: القوم الذين كانوا في زمان لوط عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

السادس والسابع والثامن: الجماعة التي كانت في زمان سيدنا آدم ونوح وإبراهيم على نبينا وعليهم السلام، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

التاسع: المؤمنون، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

العاشر: المنافقون، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٦٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ١٠.



# تفسير الآيات المباركات الرحمن الرحيم

إن إحدى قواعد علم البلاغة مسألة تكرار الكلمات أو العبارات ضمن الكلام، وهذا التكرار ليس فقط لا يعتبر من عيوب الكلام، بل في بعض الموارد يكون من محاسنه أيضاً.

ولقد أجمع من لهم الحسّ البلاغي على مرّ التاريخ على أن «القرآن الكريم» هو أبلغ وأفصح كلام على الأرض، وقد تجاوزت بلاغته وفصاحته حدّ الإعجاز، ووصلت إلى حد الملكوت الأعلى، ولذا فتكرار «الرحمن الرحيم» في سورة الفاتحة المباركة هو من محاسن القرآن الكريم الأدبية، ويمكن أن يكون لأمرٍ أو لعدة أمور مما سيأتي:

- ١ - التأكيد: فإذا أراد العرب أن يؤكدوا أمراً في كلامهم فإنهم يكرّرون ذكره، ونظائر ذلك في القرآن الكريم كثيرة منها:
- أ - الآية المباركة: ﴿فالحقّ والحقّ أقول﴾<sup>(١)</sup> فإن كلمة «الحق»

(١) سورة ص، الآية: ٨٤.

كرّرت في هذه الآية للتأكيد.

ب - الآية المباركة: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup> فإن قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ كرّر للتأكيد.

ج - وهناك شواهد من فصحاء شعراء العرب، كما في قول أحدهم:

نعت الغراب بيت ليلى غدوةً كم كم وكم بفراق ليلى ينعتُ

فكل المكررات في الأمثلة أعلاه إنما جاءت للتأكيد على أمر معين، وكذلك تكرر ﴿الرحمن الرحيم﴾ في سورة الفاتحة المباركة التي هي أول سورة في القرآن الكريم جاء للتأكيد على رحمة الله عزّ وجلّ، ولتكون بشارةً وداعيةً اطمئناناً لقلوب المؤمنين وأملاً للعاصين، وهذا التكرار المحتوي على البشارة والأمل هو رحمة أيضاً وفوق الرحمة.

٢ - إن صفة الرحمة الإلهية هي أوسع من جميع أوصاف وأسماء الله عزّ وجلّ، يقول الله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كلّ شيء﴾<sup>(٢)</sup>.

ولذا بعد أن ذكرت جميع أوصاف الله عزّ وجلّ بشكل مجمل في هذه السورة المباركة كررت صفة الرحمة الإلهية لشمولها جميع المخلوقات.

وقد ورد في بعض الأدعية على لسان العرب قولهم: (يا رزاق النعاب في عشه).

(١) سورة التكاثر، الآية: ٣، ٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

والنعاب هو فرخ الغراب، وفرخ الغراب عندما يخرج من البيضة يكون كقطعة لحم حمراء، فلا تعرفه أمه لاختلافه باللون عنها، فتبتعد عنه وتتركه، إلا أن الله الرحمن جلّ وعلا يهييء له بكمال رحمته حشرات صغيرة تقترب منه وتجتمع حوله فيتغذى عليها وينمو، وبعد أن ينبت ريشه ويصبح لونه بلون أمه تتفرق عنه هذه الحشرات الصغيرة فتعود أمه للإهتمام به وتشمله برعايتها.

وهناك مثل آخر لدى بعض المسلمين يقول ما معناه: إن الله عزّ وجل يرزق الطائر الأعمى وهو في عشه.

٣ - قال جمع من العرفاء: إن كلمة «ملك أو مالك» المذكورة في قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ هي من صفات الجلال، أما «الرحمن والرحيم» فهما من صفات الجمال، ولذا كان من المناسب أن تذكر صفة الرحمة قبل المالكية ليتحقق مفهوم الحديث القدسي «سبقت رحمتي غضبي» فيغرق قرآء القرآن الكريم في بحر رحمته، وتحسّ قلوبهم برحمة الله جلّ شأنه، ويدركون أنها قد سبقت وغلبت غضبه.

٤ - جاء في «تفسير المناوي» أن المراد من الرحمتين المذكورتين في سورة الفاتحة:

الرحمة الأولى: هي الرحمة الذاتية الإمتنانية، كقوله تعالى: ﴿وسعت كلّ شيء﴾. وهذه الرحمة لا تكون مقابل عمل أو استحقاقاً، كما قيل: «قبل ما قبل لا لعة، وردّ ما ردّ لا لعة» وإنما طمع الشيطان سيكون في هذه الرحمة.

والرحمة الأخرى: هي الرحمة المشروطة والمقيّدة، وتعتمد على  
التقابلية والاستعداد، وقد جاءت الإشارة إلى هذه الرحمة في قوله  
تعالى: ﴿ كتب على نفسه الرحمة ﴾<sup>(١)</sup>.

وباعتبار هذه الرحمة كانت المحبة الذاتية سابقة والمحبة  
الصفاتية لاحقة، وقد أشار إليهما بقوله تعالى: ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾<sup>(٢)</sup>  
وقوله تعالى: ﴿ يحييكم الله ﴾<sup>(٣)</sup>.

أحبك حين حبّ الهوى      وحبّ لأنك أهل لذاكا  
فأما الذي هو حبّ الهوى      فذكرك إياي حتى أراكا  
وأما الذي أنت أهل له      فشغل بذكرك عمّن سواكا  
فلا الحمد في ذا ولا ذاك، لي      ولكن، لك الحمد في ذا وذاكا

٥ - لعل تكرار ﴿الرحمن الرحيم﴾ بعد قوله تعالى: ﴿الحمد لله  
رب العالمين﴾ هو إشارة إلى أن تربية الله عزّ وجلّ الاستفادة من كلمة  
«رب العالمين» ليست هي لأجل حاجة أو نفع ذاتي (كما هو الحال في  
أصحاب التربية الأخرى الذين لهم هدف نفعي، إما مادي أو معنوي)  
بل هي تربية من الكريم جلّ وعلا لمخلوقاته من باب الرحمة  
والإحسان.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢.  
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.  
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

# تفسير الآيات في المباحث

## مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

كلمة «مالك» من مادة «ملك، يملك، ملكاً» من باب «ضرب يضرب» بمعنى السلطنة والقدرة على التصرف في الشيء المملوك.

وجاء في «تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام» في قوله تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: قادر على إقامة يوم الدين، وهو يوم الحساب، قادر على تقديمه على وقته وتأخيره بعد وقته، وهو المالك أيضاً في يوم الدين، فهو يقضي بالحق<sup>(١)</sup>.

وقرأ كل من «عاصم» و«الكسائي» و«يعقوب» و«خلف» وهم من القراء كلمة «مَالِكِ» بهذه الصورة على وزن «فاعل» وقرأها الآخرون على صورة «مَلِكِ» بدون ألف<sup>(٢)</sup>، ولكلّ منهما أدلة يثبت بها ادّعاءه لا يهمننا نقلها، ولكن المسلّم أن علماء الشيعة - أعلى الله كلمتهم - يرجحون القراءة الأولى.

وذكرنا سابقاً أن الله عزّ وجل قد ذكر صفة الرحمة التي هي من الأسماء الجمالية قبل ذكره لقوله تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وهو من

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٣٨، ح ١٤.

(٢) مجمع البيان: ٩٧/١.



الأسماء الجلالية التي توجد الوحشة والاضطراب في قلوب المستمعين، ليكون عباده آملين وطامعين برحمته جلّ وعلا، فلا يخافون عقبات يوم المحشر المشار إليها في قوله: «يوم الدين».

ولما كان من الممكن أن يتجرأ بعض العباد من ناكري الجميل على المعاصي لمعرفتهم بصفة الرحمة في الله عزّ وجلّ فينحرفون عن الصراط المستقيم، ويلوثون أنفسهم بالآثام، فقد ذكر جلّ وعلا يوم الجزاء بعد ذكره لرحمته ليعلم العبد أن رحمة الله عزّ وجلّ في مكانها، إلا أن الأمر لا يدعو للغرور ولا يشجع على الذنوب، بل إن مملكة الله عزّ وجلّ الواسعة تسير بنظام كامل، متناسق ومتوازن ومحير للعقول، من بداية صبح الأزل حتى نهاية ليل الأبد فهذه السعة لرحمة الله عزّ وجلّ - بما يناسب فهمنا وإدراكنا - فيها حساب وكتاب، فلا ينبغي الانحراف عن جادة الشرع القويمة.

وهذا أيضاً منتهى درجات الرحمة والكرامة لله عزّ وجلّ، فبعد أن ذكر لنا صفة الرحمة، وزرع في نفوسنا الأمل بها، ذكرنا بيوم الجزاء ليحذرنا من ارتكاب الذنوب، وليثبت مقام الربانية المطلقة لله عزّ وجلّ، والتي هي الرعاية الكاملة المعتدلة في تربية الكائنات «وبالعدل قامت السماوات والأرض».

وكل ما قالوا وقلنا في هذا الباب قد ذكر في قوله تعالى، وبأعلى درجات تصوّره: ﴿نبيّ عبادي أني أنا الغفور الرحيم \* وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٩، ٥٠.

نعوذ بالله من غضب الحليم:

يوم: تستعمل هذه الكلمة في حديثنا المتعارف إشارة إلى الساعات الأربع والعشرين، فإذا قيل لأحدٍ مثلاً: سنلتقي بك بعد خمسة أيام، أي بعد انقضاء خمسة (أربع وعشرين) ساعة.

أما في اصطلاح أهل النجوم فـ «اليوم» هو الفاصلة الزمنية بين طلوع الشمس وغروبها.

وعلماء الفقه يعتبرون اليوم من طلوع الفجر الصادق وحتى زوال الحمرة المغربية.

أما في اصطلاح علم القرآن والتفسير فقد جاء بمعانٍ مختلفة، منها:

١ - بمعنى «الوقت والزمان»، كما في الآية المباركة: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

٢ - بمعنى «الحد»، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾<sup>(٢)</sup> إلى آخر الآية.

وقد ذكر بعض مترجمي الآيات القرآنية إلى اللغة الفارسية، أن الله عزّ وجل خلق السماوات والأرض في فاصلة زمنية هي ستة أيام، وهذه الترجمة لا تبدو صحيحة لأن الجميع يعلم أن حكمة الله البالغة قد جعلت اليوم واللييلة حالة ناتجة من حركة الأرض حول نفسها، وحين خلق السماوات والأرض لم تكن هناك أرض ليكون بدورانها

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.

(٢) سورة هود، الآية: ٧.

حول نفسها ليل ونهار أو مقدار منهما. وثانياً: نتساءل هل إن اليوم الذي ذكرته الآية هو اليوم المتكون من اثنتي عشرة ساعة أو من اليوم البالغ ألف سنة<sup>(١)</sup>، أو اليوم البالغ خمسين ألف سنة<sup>(٢)</sup>.

ولهذا ليس أمامنا إلا أن نعتبر أن اليوم المذكور في الآية هو بمعنى «الحدّ»، وفي الحقيقة أن بكلمة «اليوم» الزمنية في معناها، هي نوع من الحدود بين الشروق والغروب.

ولدينا من حكمة آل محمد عليهم السلام بحوث قيّمة فيما يتعلق بالآية السابعة من سورة هود<sup>(٣)</sup>، إلا أن ذكرها هنا يبعدنا عن هدفنا، فمن الأفضل أن نبحث ذلك في محله - إن شاء الله تعالى وأعطانا العمر المديد - وكذلك المعاني التفسيرية الأخرى لكلمة اليوم.

الدين: جاءت كلمة الدين في القرآن الكريم بمعانٍ كثيرة هي: الحساب، الحكم، الأمة، الطاعة، الجزاء، والتوحيد، وكلها مناسبة لقوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ ولكن الأنسب منها جميعاً هو «الجزاء» وهو إشارة مباشرة إلى يوم القيامة، لأن القيامة يوم يصل فيه

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدّون﴾ سورة الحج، الآية: ٤٧.

وقوله تعالى: ﴿في يومٍ كان مقداره ألف سنةٍ مما تعدّون﴾ سورة السجدة، الآية: ٥.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ سورة المعارج، الآية: ٤.

(٣) أي قوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ سورة هود، الآية: ٧.

كل إنسان إلى جزاء عمله، كما يقول الله تعالى: ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾<sup>(١)</sup>.

وقد يرد في أذهان بعض قرّاء القرآن الكريم عند مرورهم بهذه الآية المباركة سؤال وهو: إن الله عزّ وجل في الواقع وحقيقة الأمر هو مانك لجميع عوالم الإمكان، ومنها يوم المحشر، فلماذا خصّ الله تعالى في هذه الآية المباركة مالكيته ليوم الدين؟

ويجاب على ذلك:

أولاً: لعل ذلك للتعظيم والتفخيم لهذا اليوم العظيم الذي سيكون القاضي فيه هو الله عزّ وجل، والجالس على منبر القضاء في ذلك اليوم هو رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيكون ميزان العدل بيد أمير المؤمنين علي عليه السلام، والشفاعة بإذن الله تعالى للسيدة الزهراء المرضية وأولادها الأئمة المعصومين عليهم السلام.

ثانياً: يمكن أن يكون ذلك لتفرد الله عزّ وجل في الملكية في ذلك اليوم، كما جاء في قوله تعالى ﴿لمن الملك اليوم﴾ قل ﴿الله الواحد القهار﴾<sup>(٢)</sup>.

على خلاف هذه الدنيا الدنيئة حيث يدّعي الملكية فيها الكثير مجازاً ومن باب الجهل والغفلة.

لقد وردت في القرآن الكريم أسماء كثيرة ليوم القيامة بشكلٍ

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٨.

(٢) سورة غافر (المؤمن)، الآية: ١٦.

صريح وغير صريح ولكلّ منها مناسبة ومعنى خاص، ومع أن ذكرها جميعاً يوجب الإطناب في هذا المختصر إلا أنني أحببت إيراد بعضها للذكرى، وعلاجاً لأمرٍ خطير سيقع وللتيقظ من نوم الغفلة واستدبار الدنيا الدنيئة الزائلة، والاستعداد للمنزل الدائم والخالد، وما أردنا ذكره هنا ما يلي:

١ - يوم القيامة: كما في قوله تعالى: ﴿إنما توفون أجوركم يوم القيمة﴾<sup>(١)</sup>.

حيث سيقوم الجميع في ذلك اليوم ويخرجون من قبورهم بعد سنين متمادية وقرون طويلة ليقفوا أمام الحساب.

٢ - يوم الفصل: قوله تعالى: ﴿هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون﴾<sup>(٢)</sup>.

لأن الله عزّ وجل سيقضي في ذلك اليوم بين عباده بالحق وهو أحكم الحاكمين.

٣ - يوم الآزفة: كما في قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾<sup>(٣)</sup>.

والآزفة: «المقتربة»، ويوم القيامة يقترب منا يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٢١.

(٣) سورة غافر (المؤمن)، الآية: ١٨.

٤ - يوم الحسرة: كما في قوله تعالى: ﴿ وَأُنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾<sup>(١)</sup>.

وذلك لأن يوم القيامة هو اليوم الذي سيتحسّر فيه الجميع من مؤمن وغير مؤمن، فالمؤمنون يتحسّرون أنه لماذا لم يعبدوا الله عزّ وجلّ ويطيعوه أكثر، لتكون لهم درجات أفضل في الجنة؟ والمذنبون يتحسّرون على ما ارتكبوه من ذنوب، فلولاها لما أصيبوا بعذاب الله عزّ وجلّ.

٥ - ٦ - الخافضة والرافعة: كما في قوله تعالى: ﴿ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فإن المذنبين سيكونون أذلاء خافضين رؤوسهم، والمؤمنين سيكونون أعزّاء مرفوعي الرؤوس.

٧ - الواقعة: كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وذلك لأن في يوم القيامة ستكون الواقعة العظيمة وهي حضور جميع العباد للحساب في عرصات المحشر.

٨ - الرّاجفة: كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجَفُ الرَّجْفَةُ ﴾<sup>(٤)</sup>.

حيث أن الأبدان والأرواح سترتجف وتضطرب من هيبة يوم القيامة.

وكما ذكرنا: إن ليوم القيامة في القرآن الكريم أسماء كثيرة اكتفينا بذكر بعض منها في هذا المختصر.

(١) سورة مريم، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٣.

(٣) سورة الواقعة، الآية: ١.

(٤) سورة النازعات، الآية: ٦.



# تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

١ - تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: جاء في تفسير هذه الآية الكريمة أنّ الله عزّ وجلّ خاطب عباده وقال: قولوا يا أيّها الخلق المنعم عليهم: «إياك نعبد» أيها المنعم علينا. ونطيعك مخلصين مع التذلل والخضوع، بلا رياء ولا سمعة<sup>(١)</sup>.

٢ - وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في قوله تعالى: «إياك نعبد»: لا نعبدك بالعوض والبدل كما يعبدك الجاهلون بك المغيّبون عنك<sup>(٢)</sup>.

وكما هو قول أمير المؤمنين علي عليه السلام المشهور: «إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»<sup>(٣)</sup>.

طبعاً لا يفهم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام أن نار الله عزّ وجلّ لا تسبب الخوف، أو أن جنته لا توجد الرغبة والطمع في

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٣٩، ح ١٥. وعنه تفسير الصافي: ٨٤/١.

(٢) تفسير الصافي: ٨٤/١.

(٣) بحار الأنوار: ١٤/٤١.



الإنسان، بل كليهما صحيح وموجود، ولكن العبادة لا تكون لأجلهما، بل هي لله عزّ وجلّ فقط. «إياك نعبد» أي نعبدك أنت فقط فقط.

٣ - إن تالي هذه السورة المباركة قد ذُكر بصفات الكمال والجمال والجلال لله عزّ وجلّ قبل هذه الآية: «إياك نعبد». فهو أمام كل ما قرأ من كبرياء الله وجلاله وصفاته المختصة به يجد في نفسه إحساساً بالذلة والخضوع، فيقرّ من دون اختيار بعبوديته وتذلّه ويقول: «إياك نعبد» أي: يا رب العالمين! أنت جامع لكل صفات الكمال، وأهلّ لكل حمد وشكر، ورحمن رحيم، ومالك ليوم الجزاء، لك أطاطىء رأسي عبودية، وأضع جبیني على الأرض تذلاً وانقياداً لك. أنت فقط الذي أعبده دون غيرك، ولا أجعل في عبادتي لك أي شريك أو بديل.

٤ - إن الإنسان في بداية تلاوته لهذه السورة المباركة يذكر كبرياء الله وعظمته وجلاله بصيغة الغائب، وكأنه لا يزال واقفاً أمام باب الساحة الإلهية المقدّسة ولما يحصل بعد على إذن الدخول والحضور بين يدي الله عزّ وجلّ، ولكن بعد أن يثني على الله ويقرّ ويعترف باللسان بصفات الجلال والجمال لله عزّ وجلّ وتنطبع معاني تلك الصفات على صفحة جنانه تحصل عنده تدريجياً حالة من المكاشفة والتجلّي، وتفتح أمامه أبواب الساحة الإلهية وترتفع عنه حجب الأسرار بشكل يجد به في نفسه اللياقة لدخول تلك الساحة الإلهية، وأهلية الحضور والخطاب، فينتقل من دون اختيار من حال المخاطب الغائب إلى حال المخاطب الحاضر، فيقول: «إياك نعبد» ويصل إلى درجة يتبدّل له العلم فيها عياناً، والخبر شهوداً، والغيبة

حضوراً، وهنا يتبدّل ضمير «هو» إلى «إياك».

٥ - وبما أنه لا يمكن للعبد الذليل الوصول إلى المقام الشامخ للعبودية (العبودية جوهرية كنهها الربوبية) إلا بمساعدة ربّ الأرباب والذات الغنية والجامعة للكمالات كافة، لذا بعد أن قال: «إياك نعبد» يقول مباشرة: «وإياك نستعين». يعني: أيها الرب الرحيم! إنني أستعين بك فقط في عبادتي وفي شؤوني كافة لأن رب العالمين ومالك يوم الدين هو أنت فقط، فاستعانة العباد في الدنيا والآخرة بك لا بغيرك، ويد العون والحاجة يجب أن لا تمتد إلا إليك.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمعاذ، وهو أحد الأصحاب:

اللَّهُمَّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

وجاء في «تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام» في ذيل الخبر المتقدم: «إياك نستعين» على طاعتك وعبادتك وعلى دفع شرور أعدائك وردّ مكائدهم والمقام على ما أمرت<sup>(١)</sup>.

٦ - في الآية المباركة: «إياك نعبد»، كلمة «إياك»: ضمير منفصل على صيغة المفعول. وكلمة «نعبد»: فعلٌ وفاعله ضمير مستتر تقديره «نحن». وفي قواعد اللغة العربية نجد أن الأنسب أن يكون التسلسل في الكلام بذكر الفعل ثم الفاعل ثم المفعول به، وعلى هذا فمن المفترض أن تكون الآية المباركة على صيغة «نعبدك» بينما نجد أن القرآن الكريم قد ترك هذه القاعدة فأتى بالضمير «إياك» المفعول به

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٤١، ح ١٨.

قبل الفعل والفاعل وهو «نعبد»، فقال: «إياك نعبد» وفي ذلك إشارة إلى أمرٍ مهم ولطيفة أدبية، وهي اختصاص العبادة بالله عزّ وجل فقط. ففي علم البلاغة هناك قاعدة تقول: إن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر.

٧ - وكذلك في قوله تعالى: «إياك نستعين» حصر للإستعانة بالله عزّ وجل - كما ذكرنا أعلاه - أي إننا نستعين بالله عزّ وجل فقط دون غيره.

٨ - نلاحظ في الآية المباركة مورد البحث ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ أن القارئ لها هو شخص مفرد، بينما الأفعال والضمائر المستعملة فيها هي بصيغة الجمع «نعبد» و«نستعين» فكان ينبغي أن يقال: «أعبد وأستعين» وقد ذكر في سر هذه المسألة عدة احتمالات منها:

إنّ لسان حال العبد في عبادته أنه يقول لله عزّ وجل: يا إلهي! إن عبادتي لا تستحقّ أن تُقدّم إليك من حيث الظاهر والباطن؛ فمن حيث الظاهر هي قليلة جداً وحقيرة لا تستحق الذكر، ومن حيث الباطن فهي مصحوبة بالقصور والتقصير، فلذا أقدم لك هذه البضاعة المزجاة مضافة إلى عبادة جميع العباد، وأذكرها لك بصيغة الجمع لعلها تحظى بأهلية التقديم لعظمتك وجلالك.

ولعل سر ذلك أيضاً - على الاحتمال - هو الاحتراز من الوقوع في الكذب لأننا عباد غير معصومين وتصدر عنا السيئات، فلا نُؤمّن من الضعف أحياناً أمام أهل الدنيا والخضوع لهم بحال من الأحوال.

فنطلب منهم قضاء الحاجات ونستعين بمن هم مثلنا في الفقر والعجز عن كل شيء، من نفع أو ضرر، أو حياة أو موت أو حشر، فأية جراءة نتجرؤها عندما نفرد بهذا الادعاء الكبير ونقول لله عز وجل: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ لذا فنحن نقدّم عبادتنا السقيمة في طبق عبادات أولياء الله الخَلَص، نقدّمها لمالك الدنيا والآخرة، فنقول ونحن بمأمنٍ من احتمال الوقوع في الكذب: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

ويقول «الغزالي» في سر استعمال ضمير الجمع في أفعال الآية المذكورة: إن هذه السورة (أي سورة الحمد) تقرأ عادةً في صلاة الجماعة، وصلاة الجماعة أفضل من الصلاة فرادى، ولذا كانت الأفعال فيها بصيغة الجمع والمراد جماعة المصلين.

٩ - وذكروا أيضاً في تعليل تقديم ذكر فعل العبادة «نعبد» على فعل الاستعانة «نستعين» وجوهاً منها:

إن العبادة، وخصوصاً الصلاة، هي أمانة الله عز وجل لدى عباده، كما ورد في الآية المباركة: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان...﴾ إلى آخر الآية<sup>(١)</sup>.

والمراد من الأمانة في هذه الآية - كما ورد عن أهل البيت عليهم السلام - أن ظاهر الأمانة الفرائض، وخصوصاً الصلاة، وباطنها الولاية، ولاية أهل بيت النبوة عليهم السلام، وإني سأشرح ذلك في

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٣.

محله إن شاء الله، وبما أن أداء الأمانة واجب، وخصوصاً أمانة الله ذي الجلال والإكرام، فيجب تقديمها بأي حال كان.

والعبادة أيضاً من الأمور التي توجب تقرب العبد من الله عزّ وجلّ، أما الاستعانة فليست كذلك، وعلى هذا فهناك أولوية في تقديم فعل العبادة على فعل الاستعانة.

كما أن العبادة أيضاً هي طلب من الله عزّ وجلّ إلى عباده، أما الاستعانة فهي طلب العباد من الله عزّ وجلّ، وتقديم طلب الله على طلب العباد له الأفضلية، إلى غير ذلك من الاحتمالات المذكورة في هذا الموضوع، وقد أعرضنا عن ذكر أغلبها رعاية للاختصار.

١٠ - ذكرت وجوه كثيرة في سر تكرار ضمير «إياك» في هذه الآية مورد البحث، وأعتقد أن نظرية «شهاب الدين الألوسي» في هذا المجال أقوى من جميع النظريات حيث يقول: إن التكرار للإشعار أن حيثية تعلق العبادة به تعالى غير حيثية تعلق طلب الاستعانة منه سبحانه، ولو قال: «إياك نعبد ونستعين» لتوهم أن الحيثية واحدة، والشأن ليس كذلك، إذ لا بدّ في طلب الإعانة من توسط صفة وليس كذلك في العبادة، فلاختلاف التعلق أعاد المفعول ليشير بها إليه<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير روح المعاني للألوسي: ٩٠/١.

## تَحْتَوِي عَلَى مَعْنَى الْعِبَادَةِ

«عَبَدَ يَعْبُدُ» من باب «نَصَرَ يَنْصُرُ» وقد جاء مصدرها غالباً في صورة «عبادة» و «عبودية» وجاء في القرآن الكريم بعدة معانٍ أهمها ما يلي:

أ - بمعنى العبادة والتوحيد، كما في قوله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾<sup>(١)</sup>.

ب - بمعنى الطاعة، كما في قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾<sup>(٢)</sup> أي: لا تطيعوا الشيطان.

ج - بمعنى الذلّة والحقارة، كما في قوله تعالى: ﴿أَنْ عَبَدْتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾<sup>(٣)</sup> وهو خطاب على لسان موسى عليه السلام لفرعون أن قال له: إنك قد أذلت وحقّرت بني إسرائيل.

د - بمعنى الدّعاء، كما يقول الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام في دعاء وداع شهر رمضان المبارك: وقلت أدعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين، وسمّيت

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٢) سورة يّس، الآية: ٦٠.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢٢.

دعاءك عبادة وتركه استكباراً<sup>(١)</sup>.

ومع أن جميع المعاني المذكورة أعلاه تصدق على الآية المباركة: «إياك نعبد» إلا أن المعنى الأول، والذي هو عبادة الله الواحد الأحد هو المراد، وخصوصاً في الاصطلاحات الفقهية وفي مسألة قصد القربة.

إن أهم وأعلى وأسمى مقام ودرجة لأولياء الله عزّ وجلّ أمام عظمة وكبرياء الله جلّ وعلا هو مقام العبودية، أي إظهار غاية الخضوع والخشوع لله عزّ وجلّ، والإحساس بمنتهى درجات الخضوع والذل أمامه جلّ وعلا، وكلما كان هذا الإحساس في العبد أعمق وأقوى كان ترقّيه في مقامات القرب الإلهي أكبر وأسرع، حتى يصل إلى مقام لا يرى فيه إلا الله عزّ وجلّ.

وإننا لو دققنا في حياة أولياء الله، وخصوصاً محمد وآل محمد عليهم السلام، لرأينا أنهم قضوا عمرهم الشريف من أوله إلى آخره في عبادة الله عزّ وجلّ، وهم على الدوام منقادون ومطيعون للإرادة الإلهية، وما نقل لنا من أوصاف لعبادتهم هي أوصاف ظاهرية تتسم بالطابع الإرشادي والتعليمي، أما حقيقة عبادتهم ومقامهم عند الله عزّ وجلّ فهو مما لا تدركه عقولنا، لأن مقامهم أسمى من مقامنا بما لا يعدّ من المراتب، ولا يمكن للداني أن يدرك مقام العالني أبداً.

أمّا ما يستفاد من آيات القرآن الكريم وأخبار أهل البيت عليهم السلام فهو أن مقام عبوديتهم الحقيقي هو مقام الولاية الإلهية الكلية،

(١) الصحيفة السجادية: ٢٩٤ دعاء رقم ١٤٢.

والذي منشأه ومركزه خاتم الأنبياء محمد المصطفى صلى الله عليه وآله، ومظهره مولى المتقين أمير المؤمنين والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء والأئمة المعصومين عليهم السلام. (العبودية جوهرية كنهها الربوبية).

إن مقام العبودية والربوبية والولاية هو مقام التربية الظاهرية والباطنية لعوالم الإمكان بواسطة أولئك الأجلاء سلام الله عليهم، وبتعيين من الله عزّ وجلّ، ومع ذلك لم يستغن ولم يغفل المعصومون عليهم السلام لحظة واحدة عن عبادة الله عزّ وجلّ، ولهذا فإن ذكر مقام العبودية الشامخ للنبي صلى الله عليه وآله في تشهد الصلاة كان قبل ذكر مقام الرسالة: «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» ودرجة العبودية الحقيقية هي عبارة عن عروج من عرصة الناسوت إلى ذروة اللاهوت ومقام أو «أدنى» الذي أشار إليه في قوله تعالى: ﴿قَاب قَوْسِينَ أَوْ أَدْنَى﴾<sup>(١)</sup>، وعبارة عن السير من الخلق إلى الحق، ولهذا قال الله عزّ وجلّ في آية المعراج المباركة: ﴿سَبَّحُنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ...﴾<sup>(٢)</sup> فذكر رسوله الأكرم بصفة العبودية وليس بصفة الرسالة.

أما مقام الرسالة فهو مرحلة النزول والسير من الحق إلى الخلق، وفي هذا المورد يقول الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾<sup>(٣)</sup> وهذا الإرسال الذي هو توأم مع إرسال القرآن هو سير

(١) سورة النجم، الآية: ٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٨.



نزولي، وقد ذكر الله عزّ وجل في جميع الآيات المتعلقة بإرسال القرآن كلمات «أنزلنا» و «نزلنا» وأمثالهما.

ومن هنا جاء عن المعصومين عليهم السلام قولهم عن الصلاة، والتي هي أبرز صورة للعبادة: الصلاة معراج المؤمن. لأن الصلاة تشتمل على العبودية، والعبودية تشتمل على الصعود والعروج نحو الله عزّ وجل، غير أن معراج كل شخص هو بنسبة أو درجة عبوديته وأهليته لذلك.

فمن الطبيعي أن معراج المؤمن - في حال الصلاة - يختلف عن معراج رسول الله صلى الله عليه وآله، لأن معراج المؤمن في الصلاة يختص بحالة صلاته وعبادته من دون أن يتحرك من مكانه ويطوي بجسمه وبدنه مسافات العالم، وربما كان لروحه حركات صعودية نحو الله.

ونحن نعتقد بأن معراج رسول الله صلى الله عليه وآله كان بجسمه وروحه الشريفين توأمًا، فقد طوى عوالم الإمكان بجسمه المقدّس من دون أية زيادة أو نقصان، فوطأ بأقدامه المباركة هذه العوالم حتى وصل إلى المقام الشامخ أو (أدنى)، وفي عقيدتنا أن من يقول بالمعراج الروحي، أو المعراج حال النوم، أو سائر الأباطيل التي قيلت حول معراج رسول الله صلى الله عليه وآله كل ذلك كفر محض وإنكار لصريح القرآن الكريم.

ولأمير المؤمنين عليه السلام كلام بليغ ودقيق جداً حول العبودية الحقيقية، نورده في كتابنا هذا تيمناً وتبركاً:

يقول عليه السلام مخاطباً الله ذي الجلال والإكرام: كفى بي  
فخراً أن أكون لك عبداً، وكفى بي شرفاً أن تكون لي رباً، اللهم إني  
وجدتك إلهاً كما أردت فاجعلني عبداً كما أردت.

جاء في «تفسير أبي حامد الجرجاني» ما مضمونه: إن أحد  
الصادقين ذهب إلى السوق ليشتري غلاماً، فلما عرض عليه أحدهم  
قال له: ما اسمك؟

قال: فلان.

قال: ما عملك؟

قال: العمل الفلاني.

قال: لا أريده.

فجاء له بآخر فسأله: ما اسمك؟

قال: ما تدعوني به.

قال: ماذا تأكل؟

قال: ما تعطيني.

قال: ماذا تلبس؟

قال: ما تلبسني.

قال: ماذا تعمل؟

قال: ما تأمرني به.

قال: ما تختار؟

قال: ما للعبد والاختيار.

يا بن آدم! كن منصفاً، هل لديك تسليماً ورضى بقضاء الله  
وقدره وأنت الذي تدعي العبودية له وتعتقد به رباً ومنعماً وتدعن أن

كل فعّال هـى من باب الحكمة؟!  
ألا تعترض فى كل يوم وفى كل ساعة على قضائه مئات وآلاف  
الاعتراضات؟! ومع هذا تسمى نفسك عبداً؟! وهل هذا هو معنى  
العبودية؟!

## بِحُجُوبِ الْجَبْرِ وَالْإِخْتِيَارِ

هناك قليل من التشابه بين كلام «أبي حامد الجرجاني» وهذا البحث، فالبعض يعتقد أن المراد من الكلام أعلاه هو نفي الاختيار عن المخلوقات - والعياذ بالله - وإثبات الجبر فالأمر ليس كذلك، بل إن المراد هو إثبات منتهى درجات العبودية وهي الرضا بالقضاء، وإلا فإن كل إنسان ذي شعور إذا دقق قليلاً في حركاته وسكناته وأحواله وفيما يقول ويسمع وفي سائر أعماله فسيعترف بأن جميع أعماله تصدر منه على سبيل الاختيار.

وهذا الاختيار ليس بمعنى التفويض، وهو أن نعتقد أن الله عزّ وجل قد ترك ملكه وجميع الاختيارات إلى مخلوقاته، بل إن الله عزّ وجل أعطانا الاختيار وفي نفس الوقت بقي في مقام سلطنته وألوهيته، له الإشراف الكامل على العالم والكائنات، يوفّق المطيعين ولا يوفّق العاصين، والعدل المطلق في هذا، وهو أن يُعطي كل إنسان ما يستحق.

قال الصادق عليه السلام: لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين<sup>(١)</sup> أي ليس هناك بين الخالق والمخلوق جبر ولا تفويض بل هو

(١) الكافي: ١/١٦٠.

أمر بين هذين الأمرين، وهو ما أوضحناه إجمالاً في السطور السابقة.

ولا يخفى أن هناك أحاديثاً كثيرة في مسألة الجبر والاختيار، وقد سطرت بحوث عديدة في كتب كبيرة ومفصلة ألّفت في ذلك لا يسع هذا المختصر نقلها جميعاً، وقد ورد مجملها في كلام الإمام الصادق عليه السلام بشكل قاطع وسليم والعامل تكفيه الإشارة.

وحسن الختام أن نذكر كلاماً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورد في «الكافي» و«نهج البلاغة» لإزالة أي شك أو إبهام في هذا المقام:

كان أمير المؤمنين جالساً بالكوفة بعد منصرفه من صفين إذ أقبل شيخ فجثا بين يديه ثم قال له: يا أمير المؤمنين! أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشام أبقضاء من الله وقدرٍ؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أجل يا شيخ، فوالله ما علوتم تلة ولا هبطتم بطن وادٍ إلا بقاء من الله وقدرٍ.  
فقال له الشيخ: عند الله أحاسب عنائي يا أمير المؤمنين! (لأنه لم يكن باختيارنا).

فقال له: مَهْ يا شيخ! فوالله لقد عظم الله الأجر في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم مقيمون، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين، ولا إليه مضطرين، وكان بالبقاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا<sup>(١)</sup>!

(١) الكافي: ١/١٥٥، ح ١. ومثله في البحار: ١٢/٥، ح ١٩.

وقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويحك! لعلك ظننت قضاءً لازماً وقدرًا محتماً، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يُعصَ مغلوباً، ولم يُطع مكرهاً، ولم يرسل الأنبياء لعباً، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً<sup>(١)</sup>: ﴿ ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴾<sup>(٢)</sup>.

إن أي بصير لو دقق في أقوال أمير المؤمنين عليه السلام المذكورة لوجد مسألة الأمر بين الأمرين واضحة - من دون حاجة لأي دليل وبرهان - في كل جملة من جمل كلامه عليه السلام.

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم رقم ٧٨.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٧.



# تفسير آية المباركة إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

١ - جاء في كتاب «معاني الأخبار» و«تفسير الإمام العسكري عليه السلام» في تفسير هذه الآية المباركة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: أي أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك، والمبلغ إلى جنتك، والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب، أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك<sup>(١)</sup>.

٢ - معاني الأخبار: بإسناده عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: أَدِمْنَا لَنَا تَوْفِيقَكَ الَّذِي بِهِ أَطْعَمْنَاكَ فِيمَا مَضَى مِنْ أَيَّامِنَا حَتَّى نَطِيعَكَ كَذَلِكَ فِي مُسْتَقْبَلِ أَعْمَارِنَا<sup>(٢)</sup>.

لعل هناك سؤالاً يرد في بعض الأذهان فيما يتعلق بالآية المباركة ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ حينما يقرأها المصلي ضمن سورة الحمد

(١) معاني الأخبار: ٣٣، ح ٤. وتفسير العسكري: ٤٤، ح ٢٠. وعنهما تفسير الصافي: ٨٤/١. وتفسير البرهان: ٥١/١، ح ٢٤.

(٢) معاني الأخبار: ٣٣، ح ٤. وعنه تفسير البرهان: ٥٠/١، ح ٢٣.



في صلّاته، والسؤال هو: عندما يكون الإنسان مصلياً ويقراً هذه السورة في صلّاته فهو حتماً على سبيل الهداية، وسائر على الصراط المستقيم حتى ناله هكذا توفيق عظيم، فما الحاجة بعد ذلك أن يطلب الهداية من الله عزّ وجل للصراط المستقيم، فهو تحصيل للحاصل!!؟

أقول: إن جواب ذلك موجود في الرواية التي ذكرناها عن أمير المؤمنين عليه السلام أعلاه وتفصيله ما يلي:

إن العبد في جميع أموره وفي كل حالاته يحتاج إلى الإمدادات الغيبية والهداية الربانية لحظةً بلحظة، أي أنه يحتاج في كل لحظات حياته إلى الرعاية الإلهية وبشكل متجدّد ودائم. كي لا يتخلف عن السير على الصراط المستقيم، بل يؤخذ بيده باستمرار.

فعلى سبيل المثال، لا يكفي للإنسان سلامة جسمه فقط، بل المهم إدامة السلامة، وذلك يستلزم توفير الرعاية الدائمة والمستمرة للشخص السليم كسلامة البيئة، والتنفس والتغذية الصحيحين، وحفظ النظافة، والابتعاد عن (الميكروبات)، ومئات بل آلاف الأسباب الأخرى التي يحتاجها الإنسان السليم في كل لحظة وساعة ويوم وشهر وسنة من مدة حياته، فلو فقد أو ضعف أحد هذه العوامل أو أكثرها فستهجم الأمراض الخطرة بل الموت على ذلك الإنسان السليم.

وعلى هذا نقيس سلامة الدين والإيمان، حيث أن المهم فيهما إدامتهما، فإذا قطع التوفيق لحظة واحدة عن الإنسان فإنه سيقع في وادٍ خالٍ من الإيمان وهو وادي الهلاك والموت الحقيقي وذلك لوجود العوامل الكثيرة جداً والخطرة في محاربة الدين على أيدي أبالسة الناس

وشياطين الإنس والجن، والتي هي أخطر من (الميكروبات) المسببة للأمراض الظاهرية بمراتب كثيرة، والتي تعترض المؤمن والسالك في الصراط المستقيم، لتزلّ قدمه، نعوذ بالله من سوء العاقبة!.

إن عوامل وأسباب الأمراض الروحية هي أكثر بكثير من عوامل الأمراض الجسدية، وغالباً ما تجد هذه الأمراض في داخل الإنسان نفسه مأوى لها مغتمة الفرص لتتهدم وتدمر دينه وإيمانه، كحب الذات والشهوة والشهرة، فكلها ومئات العوامل الأخرى من نظائرها هي ضد عبادة الله وتوحيده، والإنسان - كما ذكرنا - معرض في كل لحظة للهجوم من أحد أو جميع هذه العوامل، ولو لم يكن هناك عدو لإيماننا غير «النفس الأمارة بالسوء» لكان هذا العدو كافياً لإبادته.

إذا فاهم وأثمن نعمة علينا أن نطلبها من الله عزّ وجل مع كل نفس نتنفسه هي إدامة الهداية والإستقامة في السير على الصراط المستقيم، ولذا يقول سيّد الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام - الطيب الواقعي لقلوبنا ونفوسنا وإيماننا وإيمان جميع الناس - في الحديث: أدم لنا توفيقك الذي به أطعناك... إلى آخر الحديث.

يعني: اللهم أدم لنا توفيقك في الطاعة ونحن عبادك الضعفاء كي نبقى في الطريق إلى آخر عمرنا بسلامة ظاهرية وباطنية، وجسمية وروحية، ولا نكون كالذين يسلب منهم التوفيق فجأة بعد سنين عديدة من العبادة والطاعة والهداية، وذلك على أثر الغرور أو العصبية، أو اللامبالاة أو الغفلة، أو الرغبة بالشهوة والشهرة، فينحرفون عن الصراط المستقيم، ويتيهون في وادي الظلام، ويسقطون في وادي الضلال.

نقل «جلال الدين السيوطي» أحد أعظم علماء العامة ومؤلف تفسير «الدر المنثور» في كتاب «الاتقان»:

إن قيصر الروم بعث سفيراً إلى المدينة في خلافة عمر فقال:  
إنكم تدعوننا إلى الإسلام وانتم في شكٍ منه؟!!

فسألوه عن علة قوله، فقال: أستم تقولون في كل صلاة:  
﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ فلو كنتم على سبيل الهداية والصراط  
المستقيم فلم تطلبون الهداية من الله؟!!

فتحير الخليفة وجميع الحضار وشاروا جواباً! فعرضوا المسألة  
على باب علم النبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال  
ما مضمونه: «إهدنا» اللهم كما هديتنا في الماضي والحاضر لعبادتك،  
ووقفنا إلى ذلك في بقية عمرنا أيضاً لنعبدك ونكون على الصراط  
المستقيم.

٣ - معاني الأخبار: روى بإسناده عن الحسن العسكري عليه  
السلام في تفسير الآية: ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ أنه قال: الصراط  
المستقيم هو صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأما  
الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير  
فاستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل، وأما الطريق الآخر فطريق  
المؤمن إلى الجنة<sup>(١)</sup>.

(١) معاني الأخبار: ٣٣. وعنه تفسير البرهان: ٥٠/١، ح ٢٣.

إن معنى كلام الإمام الحسن العسكري عليه السلام في الحديث أعلاه عندما يقول: «أما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير» وهذا هو الحدّ الوسط والاستقامة والثبات ما بين هذين الحدين .

إن المؤمن يجب أن لا يغالي في مقامات أهل بيت النبوة عليهم السلام، والغلو هو أن ينسب إلى أحدهم أو إليهم - والعياذ بالله - الألوهية، ويعبدهم كآلهة، فمن الطبيعي أن هذه العقيدة هي شرك، والمعتقد بها كافر ومن أهل جهنم، وقد لعن أمير المؤمنين عليه السلام وسائر الأئمة المعصومين عليهم السلام هكذا أناس لعنهم الله .

وكذلك أن لا يكون من المقصرين - خذلهم الله - فينكر الدرجات العالية والمقامات الرفيعة التي أعطاها الله عزّ وجل لهؤلاء المعصومين الأربعة عشر الذين هم الوسطة العظمى بين الحق والخلق، وقطب دائرة الإمكان، والمقصود الواقعي من خلق العالم وأهل العالم .

وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: إن الإنكار معادل للشرك، ومنكري مقامات أهل بيت العصمة عليهم السلام العالية هم حتماً من أهل جهنم ويستحقّون اللّعن .

٤ - علي بن إبراهيم القمي في تفسيره بإسناده عن حماد، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في تفسير الآية المباركة مورد البحث: [الصراط المستقيم] هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفة<sup>(١)</sup> .

(١) تفسير القمي: ٢٨/١ .

٥ - معاني الأخبار: ذكر بإسناده عن عبيد الله الحلبي، عن الإمام الصادق عليه السلام حديثاً بهذا المضمون<sup>(١)</sup>.

٦ - معاني الأخبار: بإسناده عن ثابت الشمالي<sup>(٢)</sup>، عن سيد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال: نحن أبواب الله، ونحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، ونحن أركان توحيده، ونحن موضع سرّه<sup>(٣)</sup>.

٧ - تفسير الثعلبي: بإسناده عن مسلم بن حيّان، عن أبي بريدة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله في تفسير الآية المباركة: ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ أنه قال: صراط محمد وأهل بيته<sup>(٤)</sup>.

٨ - المناقب: روى بإسناده عن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمُ عَنْ سَبِيلِهِ﴾<sup>(٥)</sup> أنهما قالوا: «الصراط المستقيم» الإمام، «ولا تتبعوا السبل» يعني غير الإمام، «فتفرق بكم عن سبيله» ونحن سبيله<sup>(٦)</sup>.

٩ - مناقب ابن شهر آشوب: روي عن ابن عباس في تفسير قوله

(١) معاني الأخبار: ٣٢، ح ٢. وعنه تفسير البرهان: ٥٠/١، ح ٢٢.

(٢) هو أبو حمزة الشمالي الصحابي المعروف.

(٣) معاني الأخبار: ٣٥، ح ٥. وعنه تفسير البرهان: ٥١/١، ح ٢٥.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب: ٨٩/٣، عن تفسير الثعلبي. وعنه في تفسير البرهان: ٥٢/١، ح ٣٩.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٦) ينابيع المودة: ١١٠/١، عن المناقب.

تعالى: ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ أنه قال: قولوا معاشر العباد: أرشدنا إلى حبّ النبي وأهل بيته<sup>(١)</sup>.

يقول المؤلف: يستفاد من مضمون جميع الروايات التي ذكرناها أعلاه كنموذج أوردته أساتذة تفسير القرآن الكريم ومن طرق الفريقين في تفسير الآية المباركة: ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ أن الصراط المستقيم عبارة عن معرفة محمد وآل محمد عليهم السلام بأنوارهم، والإلتزام بالولاية المطلقة لهم، والإقرار بفضائلهم ومقاماتهم العالية، وهذه الدرجات السامية قد أعطاهم الله عزّ وجلّ إياها، ولا يشاركهم فيها أي موجود من الأولين والآخرين، وجميع الموجودات هي تحت لواء ولايتهم سلام الله عليهم.

والصراط المستقيم هو أيضاً عبارة عن اتباع دين ومعالم وإرشادات أولئك الربّانيين في الأمور العقائدية، وفي الأحكام الشرعية، فيتبع المسلم مذهبهم، والذي هو مذهب الإمامية الإثني عشرية الحق، لساناً وقلباً وعملاً، فهو الصراط المستقيم وطريق الجنة فقط لا غير، وليس هناك طريق للنجاة في الدنيا والآخرة والنجاة من الإنزلاق والانحراف غير طريق أهل البيت عليهم السلام.

١٠ - ابن بابويه: روى بإسناده عن حذيفة بن أسيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: يا حذيفة! إن حجة الله عليكم بعدي علي بن أبي طالب عليه السلام، الكفر به كفر بالله، والشرك به شرك بالله، والشك فيه (أي في درجاته العالية) شك في قدرة الله، والإلحاد

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ٨٩/٣. وعنه تفسير البرهان: ٥٢/١، ح ٣٨.

فيه (أي في ولايته) إلحاد في الله، والإنكار له (أي إنكار درجاته العالية) إنكار لله، والإيمان به إيمان بالله، لأنه أخو رسول الله ووصيه وإمام أمته، وهو جبل الله المتين وعروته الوثقى التي لا انفصام لها، وسيهلك فيه اثنان ولا ذنب له: غالٍ ومقصر. (كما مرّ شرح ذلك).

يا حذيفة! لا تفارقنَّ علياً فتفارقني، ولا تخالفنَّ علياً فتخالفني، إن علياً مني وأنا منه، (أي خلقنا من نورٍ واحد) من أسخطه فقد أسخطني، ومن أرضاه فقد أرضاني<sup>(١)</sup>.

ولعلّ البعض يعترض على قوله: «الشرك به شرك بالله» فيقول: إن معنى ذلك أن مشاركة الأئمة الطاهرين عليهم السلام (الأئمة الأحد عشر من ولده عليهم السلام) مشاركتهم له في مقام الولاية والإمامة وسائر الخصائص هو - والعياذ بالله - شرك بالله عزّ وجل، في حين أن هذه العقيدة هي عقيدة جميع الشيعة.

نقول في جوابه: إن هذا التصور باطل، وهو إشكال غير وارد، وهو ناتج عن قصر الفكر وعدم المعرفة بخصائصهم عليهم السلام إذ أن الأئمة المعصومين من أولاد أمير المؤمنين علي وفاطمة الزهراء عليهم السلام ليسوا فقط يشاركون علياً عليه السلام في مقام الولاية وفي خصائص الإمامة والعصمة، بل هم أيضاً بمنزلة نفسه المقدسة ونفس النبي صلى الله عليه وآله، وهذا المقام هو مقام الوحدة وليس المشاركة، كما ورد عنهم عليهم السلام قولهم المشهور: أولنا محمد،

(١) أمالي الصدوق: ١٦٥، ح ٢. وعنه تفسير البرهان: ٢٤٣/١، ح ٥.

آخرنا محمد، أوسطنا محمد، وكلنا محمد صلى الله عليه وآله .

وذلك لأنهم جميعاً مخلوقون من نور واحد، ولدينا من الأدلة والشواهد من القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت عليهم السلام ما يحتاج إلى كتاب مستقلّ وضخم لتسطيره، وسنكتفي بالإشارة إلى حديث واحد من طريق الخاصة وحديث من طريق العامة بقصد التبرّك:

١١ - أمالي الشيخ الطوسي: بإسناده عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: حدّثنا الحسن بن علي صلوات الله عليهما قال: سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «خلقت من نور الله عزّ وجل، وخلق أهل بيتي من نوري، وخلق محبّوهم من نورهم وسائر الخلق في النار»<sup>(١)</sup>.

لقد ذكرت هذه الرواية بعينها بدون أي تفاوت في كتب أهل السنّة، ومنها «المناقب»<sup>(٢)</sup>.

١٢ - روى «الجويني» (من أعظم علماء العامة) بإسناده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي صلوات الله عليه: «خلقت أنا وأنت من نور الله تعالى»<sup>(٣)</sup>.

إن الحديث المذكور والذي يتبدىء بقوله: «أولنا محمد صلى

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ٦٦٧/٢.

(٢) ينابيع المودة: ١٠/١، عن المناقب.

(٣) فرائد السمطين: ٤٠/١.



الله عليه وآله.. « إلى آخره، ينطبق أيضاً على ترتيب أسمائهم عليهم السلام، فإن أولهم هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وآخرهم هو الحجة بن الحسن العسكري (م - ح - م - د) عليه السلام، وأوسطهم باقر العلوم محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام، وفي الواقع وحقيقة الأمر إن اسمهم جميعاً هو محمد.

١٣ - روى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره، بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال عن الصراط: هو أدق من الشعر، وأحد من السيف، فمنهم من يمر عليه مثل البرق، ومنهم من يمر عليه مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر عليه ماشياً، ومنهم من يمر عليه حبواً، ومنهم من يمر عليه متعلقاً فتأخذ النار منه شيئاً وتترك منه شيئاً<sup>(١)</sup>.

١٤ - وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: إنه مظلم يسعى الناس عليه على قدر أنوارهم<sup>(٢)</sup>.

وروي عن الصادق عليه السلام أن الصورة الإنسانية هي الطريق المستقيم إلى كل خير والجسر الممدود بين الجنة والنار<sup>(٣)</sup>.

يقول المؤلف: لا يصعب على البصير التوفيق بين الروايتين الأخيرتين والروايات السابقة. وتوضيح ذلك: إن كيفية عبور الإنسان على الصراط في الآخرة ترتبط بشكل مباشر بوضعه في الدنيا. فالمؤمن في الدنيا بمعرفته بالمعصومين عليهم السلام، وخصوصاً المقام الشامخ

(١) تفسير القمي: ٢٩/١. وعنه تفسير الصافي: ٨٥/١.

(٢) تفسير الصافي: ٨٥/١.

(٣) تفسير الصافي: ٨٦/١.

للولاية والإمامة، فإنه كلما كسب من فيضهم ونورهم أكثر كلما اتضح له الطريق (الصراط) في الآخرة لأنهم عليهم السلام هم منبع النور في الدنيا والآخرة دون غيرهم.

فمن أراد في الآخرة نوراً أثناء عبوره على الصراط أخذ من ذلك النور الذي حصل عليه في الدنيا من أنوارهم عليهم السلام، وأما الذي لا يعرفهم في هذه الدنيا أو كانت معرفته لهم على نحو التقصير أو الإنكار فإنه في الصراط الأخروي سيكون محروماً من النور، وسيتعثر بظلمات وعقبات الصراط، وستكون عاقبة أمره السقوط في درك جهنم.

يقول الله تبارك وتعالى في قرآنه المجيد: ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾<sup>(١)</sup> أي من لم يجعل الله له نوراً في الدنيا فسوف لا يكون له نور في الآخرة.

١٥ - محمد بن يعقوب، روى عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية المباركة أنه قال: ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً﴾ [أي] إماماً من ولد فاطمة عليها السلام ﴿فما له من نور﴾ [أي] إمام يوم القيامة يسعى بين يديه<sup>(٢)</sup>.

وأما سرعة وبطء عبور الإنسان على الصراط في الآخرة، فكما ورد في الرواية الثالثة عشرة، أي أنه يرتبط بمقدار اتباع الإنسان لتعاليم وتوجيهات المعصومين عليهم السلام في هذه الدنيا، فكل من كان

(١) سورة النور، الآية: ٤٠.

(٢) الكافي: ١/١٩٥، ح ٥. وعنه تفسير البرهان: ٣/١٤٠، ح ١.

اتباعه لمذهب أهل البيت في هذه الدنيا أكثر. كان عبوره على الصراط يوم القيامة أسرع، بل سيكون عبوره عليه مثل البرق، وكل من كان اتباعه لهم أقل كان عبوره على الصراط أبطأ، ومن لم يكن له أي اتباع لهم فسيقع في نار جهنم.

أما من بلغت معرفته واتباعه لأمر المؤمنين علي عليه السلام درجة الكمال فستكتمل فيه صورة الإنسانية وسيكون أهلاً لأن يوصف بأنه إنسان كامل، وسينسب إليه الكمال الإنساني كما قال الإمام الصادق عليه السلام (في ذيل الرواية الرابعة عشرة): «إن الصورة الإنسانية هي الطريق المستقيم إلى كل خير» وسيهدي في النهاية إلى طريق الجنة.

١٦ - بصائر الدرجات: روى بإسناده عن أبي حمزة الثمالي، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾<sup>(١)</sup> بعد أن سأله عنها قال: «هو والله علي عليه السلام، هو والله الصراط والميزان»<sup>(٢)</sup> أي في يوم القيامة.

١٧ - روى المحدث الحنبلي، عن أبي بريدة الأسلمي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: الصراط المستقيم هو صراط محمد وآل محمد عليهم السلام.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٢) بصائر الدرجات: ٩٩ - ح ٩ - وعنه تفسير البرهان: ٥٦٣/١، ح ٢.

## بِحَسْبِ عِرْفَانِي عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ

قال علي بن الحسن الزواري: السالكون طريق الحقيقة يصلون إلى الهدف بعد أن يخطوا خمس خطوات:

١ - الخطوة الأولى: أن ينتصروا على أنفسهم ليتساوى عندهم المطلوب وغير المطلوب.

٢ - الخطوة الثانية: الانتصار على الدنيا ليكون الوجود والعدم في نظرهم متساويين.

٣ - الخطوة الثالثة: الانتصار على الخلق ليكون ردهم وقبولهم في نظرهم متساويين.

٤ - الخطوة الرابعة: الانتصار على الروح لتكون الحياة والممات في نظرهم سواء.

٥ - الخطوة الخامسة: الدخول في حرم القدس الإلهي فلا يشاهد غير أنوار تجلي جمال وجلال الله ويتنور قلبه بحقائق الإيمان.

سئل عارف: ما هو الطريق إلى الله؟ فأجاب: خطوتان وقد وصلت.

يريد بالخطوة الأولى: ترك كل ما سوى الله، وبالخطوة الثانية:  
الاختلاء به جلّ وعلا.

يقول الشاعر:

بينني وبينك «إنسي» يزاحمني | فارفع بفضلك «إنسي» من بين  
لقد أوضح أحد الأساتذة الأجلاء هذا المعنى بأسلوب بسيط،  
فقال: «تضع قدماً على نفسك والأخرى في ساحة الحبيب».  
إن أتباع الأئمة المعصومين عليهم السلام الكامل هو الشرط  
الأول والآخر في جميع المراتب. (بكم فتح الله وبكم يختم).

# تفسير آية البشارة صراط الذين أنعمت عليهم

هذه الآية المباركة هي بدل كلي للآية: ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ وتفيد التفصيل أو التفسير أو التأكيد والتشخيص، وفي الواقع إن إيرادها بعد الصراط المستقيم كان لتوضيح هذا المعنى، وهو أن المراد من الصراط المستقيم هو طريق الذين أنعم الله عليهم بذلك.

ومع أن جميع النعم الإلهية دنيوية كانت أم أخروية، مادية أم معنوية، ظاهرية أم باطنية، هي خير للإنسان ويُسْتَحَقُّ تقديم الشكر والحمد عليها لله عزّ وجل، وطلبها منه، إلا أن سياق سورة الحمد المباركة والآيات قبل وبعد هذه الآية الشريفة، وكذلك مضامين سائر الآيات الكريمة في القرآن وروايات أهل بيت النبوة عليهم السلام تفيدنا أن المراد من (النعمة) في هذه الآية هي النعم المعنوية والباطنية، والذين أنعم الله عليهم هم:

أولاً وبالذات، محمد وآل محمد عليهم السلام، فقد أعطى الله عزّ وجل للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته مقام الرسالة والخلافة والإمامة والعصمة والطهارة والأمانة والغيب والشهادة والجود والسخاء والعزة والشرف والإعجاز والكرامة والتوحيد والعبادة والصبر

والاستقامة والهيمنة والإمارة والشفاعة والهداية والدلالة والجمال والحلاوة والنور والولاية لهم جميعاً سلام الله عليهم وبأعلى درجة ممكنة، وجعلهم مستغرقين بجميع نعمه.

ثانياً وبالعرض، شيعة ومحبي أهل البيت عليهم السلام أولئك المحبوبين حقاً عند الله عزّ وجل، فقد جعلهم يتنعمون ببركاتهم وفيض وجودهم الشريف، ولدينا في ذلك شواهد وروايات كثيرة منها:

١ - معاني الأخبار: فقد روى بإسناده عن حنّان بن سدير، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: قول الله عزّ وجل في سورة الحمد: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ يعني محمداً وذريته صلوات الله عليهم<sup>(١)</sup>.

٢ - «معاني الأخبار» و«تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام»: روى عن أمير المؤمنين سلام الله عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ أنه قال: «أي قولوا: إهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك لا بالمال والصّحة فإنهم قد يكونون كفاراً وفسّاقاً» فلا يحق لكم أن تطلبوا طريقهم طريق الكفر والفسق، بل النعمة الحقيقية في اتباع أهل بيت النبوة عليهم السلام وهي النعمة التي ينبغي أن تطلب من الله عزّ وجل.

وقال عليه السلام: هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين

(١) معاني الأخبار: ٣٦، ح ٧. وعنه تفسير البرهان: ٥١/١، ح ٢٦.

والشهداء والصلحيين وحسن أولئك رفيقاً ﴿١﴾ (٢).

٣ - غاية المرام: الشيخ «الطوسي» في «مصابيح الأنوار» عن أنس بن مالك أنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض الأيام صلاة الفجر ثم أقبل علينا بوجهه الكريم فقلت: يا رسول الله! إن رأيت أن تفسر لنا قول الله عز وجل: ﴿ أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصلحيين وحسن أولئك رفيقاً ﴾.

فقال صلى الله عليه وآله: أما النبيون فأنا، وأما الصدّيقون فأخي علي بن أبي طالب عليه السلام، وأما الشهداء فعمي حمزة، وأما الصالحون فابنتي فاطمة وأولادها الحسن والحسين... إلى آخر الحديث (٣).

توضيحات:

١ - من الملاحظ في الرواية أعلاه أن الرسول صلى الله عليه وآله استخدم صيغة الجمع مثل: النبيين، والصدّيقين، والشهداء، والصلحيين، وأطلقها على أشخاص مفردين فقال أن تفسرها: (أنا... أخي علي بن أبي طالب... عمي حمزة... ابنتي فاطمة... الحسن والحسين...).

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) معاني الأخبار: ٣٦، ح ٩. وتفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٤٨. وعنهما تفسير الصافي: ٨٧/١.

(٣) تفسير البرهان، ٣٩٢/١، ح ٥. عن الشيخ الطوسي في مصابيح الأنوار.



وسبب ذلك أن الآية الكريمة ذكرت الحرف «مِنْ» قبل صيغ الجمع، وهذا الحرف يسمى بـ «مِنْ» التبعيضية، وفي قواعد اللغة العربية أن «مِنْ» التبعيضية إذا دخلت على صيغ الجمع فستبدلها إلى المفرد.

٢ - كان يطلق لقب «سيد الشهداء» قبل استشهاد الإمام الحسين عليه السلام - خامس آل العبا سلام الله عليهم - على حمزة بن عبد المطلب عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله الذي استشهد في غزوة أحد، ولكن بعد حصول واقعة كربلاء الأليمة وشهادة ابن الزهراء الحسين بن علي عليه السلام بتلك الطريقة المأساوية والظالمة خصّ بلقب «سيد الشهداء» وقيل: لا يجوز إطلاق هذا اللقب على غيره سلام الله عليه.

٣ - روى العياشي بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام: إن أبا حنيفة سأله يوماً عن قوله تعالى: ﴿ثم لتسئلنّ يومئذٍ عن النعيم﴾<sup>(١)</sup>. فقال عليه السلام: ما النعيم عندك يا نعمان؟ قال: القوت من الطعام والماء البارد. فقال: لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كلّ أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطولنّ وقوفك بين يديه! فقال: فما النعيم جعلت فداك؟

قال: نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا اتتلّفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألّف الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً

(١) سورة التكاثر، الآية: ٨.

بعد أن كانوا أعداء، وبنا هداهم الله الإسلام وهو النعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حقّ النعيم الذي أنعم به عليهم وهو النبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام<sup>(١)</sup>.

٤ - وجاء في رواية أخرى أن الإمام الصادق قال لأبي حنيفة: بلغني أنك تفسّر «النعيم» في هذه الآية بالطعام الطيب والماء البارد في اليوم الصائف؟! قال: نعم.

قال: لو دعاك رجل وأطعمك طعاماً طيباً وسقاك ماءً بارداً، ثم امتنّ عليك به إلام كنت تنسبه؟ قال: إلى البخل. قال: أفيبخل الله تعالى؟! قال: فما هو؟ قال: حبنا أهل البيت<sup>(٢)</sup>.

٥ - ذكر الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي (من أعظم علماء العامة) في رواية طويلة بعد ذكره الإسناد عن إبراهيم بن العباس الصولي الكاتب بـ «الأهواز» أنه قال في سنة مائة وسبع وعشرين هجرية: كنا يوماً بين يدي علي بن موسى الرضا عليه السلام وقال: ليس في الدنيا نعيم حقيقي.

فقال بعض الفقهاء ممن بحضرته قول الله عزّ وجل: ﴿ لتسئلن

(١) تفسير الصافي: ٣٧٠/٥. وتفسير البرهان: ٥٠٣/٤، ح ١٣، عن العياشي.

(٢) تفسير الصافي: ٣٧٠/٥.

يومئذٍ عن النعيم ﴿ أما هذا النعيم في الدنيا وهو الماء البارد؟!

فقال له الرضا عليه السلام وعلا صوته: كذا فسرتموه أنتم وجعلتموه على ضروب! فقالت طائفة: هو البارد من الماء، وقال غيرهم: هو الطعام الطيب، وقال آخرون: هو النوم الطيب، ولقد حدثني أبي عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام أن أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله تعالى: ﴿ ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم ﴾ فغضب فقال: إن الله تعالى لا يسأل عباده عما تفضل عليهم به، ولا يمتن عليهم، والإمتنان مستقبح من المخلوقين، فكيف يضاف إلى الخالق عز وجل ما لا يُرضى به للمخلوقين! ولكن النعيم حبنا أهل البيت وموالاتنا، يسأل الله عنه بعد التوحيد والنبوة، لأن العبد إذا وافى بذلك آذاه إلى نعيم الجنة الذي لا يزول.

ثم قال عليه السلام: ولقد حدثني أبي عن أبيه عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: يا علي! إن أول ما يُسأل عنه العبد بعد موته لشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنتك ولي المؤمنين<sup>(١)</sup>.

أقول: إذاً من أقرّ بهذه الشهادات الثلاث فسيذهب به إلى الجنة الخالدة.

وفي رواية أخرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله جاءت في ذيل هذه الرواية أيضاً أنه قال: أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة:

(١) رواه ابن بابويه عن البيهقي في عيون أخبار الرضا: ١٣٦/٢، ح ٨. وعنه تفسير البرهان: ٥٠٢/٤، ح ٥.

الشهادة والنبوة وموالاته علي بن أبي طالب عليه السلام<sup>(١)</sup>.  
أقول: الويل إذاً للمنكرين الذين تركوا الشهادة على الولاية بعد  
الشهادتين، وقسماً بالله سوف لا تقبل عباداتهم وطاعاتهم عند الله عزّ  
وجل.

---

(١) المصدر نفسه.



# تفسير آية البائرين غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

«غير المغضوب عليهم» بدل كلّي لكلمة «الذين» في الآية السابقة. إلا أن «سيبويه» اعتبر «غير المغضوب عليهم» صفة لـ «الذين» ومع أن كلمة «غير» هي من الكلمات المتوغّلة في التنكير، وإذا استعملت من دون إضافة تكون من المبهمات إلا أنها متى ما كانت بين ضدين فسيخف إبهامها وتنكيرها لتتخذ حالة من التعريف، وفي هذه الحالة من المناسب أن تكون صفة «الذين» موصولة ومن المعارف، وعندها يكون معنى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ بعد ذكر «الذين أنعمت عليهم» أن الذين أنعمت عليهم صفتهم أنهم من غير المغضوب عليهم ولا الضالّين.

١ - تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: أمر الله عزّ وجلّ عباده أن يسألوه طريق المنعم عليهم، وهم: النبيّون والصدّيقون والشهداء والصالحون، وأن يستعيذوا به من طريق المغضوب عليهم وهم: اليهود الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذُكِرَ اسْمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ

وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير... ﴿١﴾ وأن يستعيذوا به من طريق الضالين وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿قل يأهل الكتب لا تغلو في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل﴾ ﴿٢﴾ وهم النصارى، ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: كل من كفر بالله فهو مغضوب عليه وضالّ عن سبيل الله عزّ وجلّ ﴿٣﴾.

٢ - العياشي: قال معاوية بن وهب: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾؟

قال: هم اليهود والنصارى ﴿٤﴾.

يقول المؤلف: إن لدينا قاعدة مشهورة جداً وهي: إن إثبات الشيء لا ينفي ما عداه، فمثلاً إذا أثبتنا صفة لشخص لا يلزم ذلك عدم وجود صفات أخرى فيه فلو قلنا مثلاً: إن فلاناً سارق، هذا لا يعني أنه لا يكون شارباً للخمر، لأنه من الممكن أن يجمع بين الصفتين بل بين أوصاف أخرى.

أما ما نحن فيه فهو كذلك، أي إن ثبوت كون «المغضوب عليهم» هم قوم من اليهود لا يعني ألا يكونوا من «الضالين» أيضاً، بل

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

(٣) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٥٠، ح ٢٣. وعنه تفسير البرهان: ٥٢/١، ح ٤٠.

(٤) تفسير العياشي: ٣٨/١، ح ٢٧.

هم يتصفون بالصفتين معاً، وكذلك الحديث في النصارى فكلا الفريقين هم مغضوب عليهم ومن الضالين إلا أن انطباق صفة «المغضوب عليهم» على اليهود و«الضلالة» على النصارى بحكم هاتين الآيتين فهو ظاهر أكثر، ولهذا عمم أمير المؤمنين عليه السلام في آخر الحديث المسألة وقال: كل من كفر بالله فهو مغضوب عليه وضالّ عن سبيل الله عزّ وجلّ.

٣ - علي بن إبراهيم القمي في تفسيره: روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «المغضوب عليهم» النصاب، و«الضالين» الشكاك والذين لا يعرفون الإمام<sup>(١)</sup>.

٤ - معاني الأخبار: روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: شيعة علي عليه السلام «الذين أنعمت عليهم» بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام لم يغضب عليهم ولم يضلّوا<sup>(٢)</sup>.

يقول المؤلف: نخلص من الروايات أعلاه إلى أن طريق «الذين أنعمت عليهم» هو الجادة الوسطى والطريق المعتدل، والذي هو أقلّ من الغلو وأعلى من التقصير، وأن المؤمنين الذين هداهم الله إلى هذا الطريق وثبتوا عليه هم من الذين أنعم الله عليهم بنعمة الإيمان والاستقامة وقال بشأنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾<sup>(٣)</sup> أي ثبتوا على عقيدتهم، وفي الواقع كل من آمن بالله ورسوله صلى الله

(١) تفسير القمي: ٢٩/١. وعنه تفسير نور الثقلين: ٢٤/١، ح ١٠٦.

(٢) معاني الأخبار: ٣٦، ح ٨. وعنه تفسير نور الثقلين: ٢٤/١، ح ١٠٣.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٠.



عليه وآله واتبع أهل بيته الطاهرين عليهم السلام قولاً وقلباً وعملاً  
وثبت على هذا الطريق فهو من «الذين أنعم الله عليهم».

وأما «المغضوب عليهم» فهم الذين تعرضوا لغضب الله عزّ وجل  
بتفريطهم وتقصيرهم كاليهود الذي فرطوا مع موسى وعيسى ورسول الله  
صلى الله عليه وآله، وكذلك النواصب الذين قصّروا في حق أهل بيت  
النبوّة عليهم السلام وأنكروا مقاماتهم العالية وفضائلهم الشريفة. وكل  
أولئك سواء أكانوا من اليهود أم من النواصب فهم من «المغضوب  
عليهم» وقد ورد عن المعصومين عليهم السلام أن المقصّرين والناصبين  
هم يهود هذه الأمة<sup>(١)</sup>.

وبشكل عام كل من قصّر في عقائده وأعماله وتكاليفه الشرعية  
وفرط من آية أمة كان وأية جماعة، فسيكون من «المغضوب عليهم»  
ونعوذ بالله من ذلك.

وأما «الضالين» فهم الذين انحرفوا عن طريق الاعتدال وساروا  
في طريق الإفراط والغلو، وهم عبارة عن النصارى، أولئك الذين  
أفرطوا بشأن عيسى وأمه مريم عليهما السلام، ونسبوا إليهما الألوهية.  
وكذلك الغلاة من المسلمين الذين نسبوا الألوهية لأمير المؤمنين  
علي عليه السلام أو أحد الأئمة الطاهرين فكلهم (النصارى والغلاة) من  
الضالين والتائهين نعوذ بالله من السير في طريقهم.

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يهودياً.  
المحاسن: ١٧٣/١. ومنه في ثواب الأعمال: ١٨٤. وعن المحاسن في البحار:  
١٣٤/٧٢، ح ١٣.

والحمد لله الذي جعلنا أمة وسطاً وأنعم علينا بنعمة الإسلام  
وولاية محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام ولم يجعلنا من  
المغضوب عليهم ولا الضالين والسلام عليكم وعلينا وعلى عباد الله  
الصالحين.

تم تفسير سورة «الفاتحة» والحمد لله على إتمامه.

خادمُ الشريعة الفراء  
ميرزا عبد الرسول الحائري إلهقائي

ميرزا عبد الرسول إلهقائي



تَضَيَّرُ الْقُلُوبُ

بِأَخْلَافِ الْمَبْرُكَةِ



فَاللَّهُ زَوْجٌ فِي مَدِينِ قُرَيْبٍ

اِقْتَرًا «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»

كَمَا أَنْزَلَتْ فَإِنَّهَا نَسَبِيٌّ وَنَعِيٌّ

تَفْسِيرُ نُورِ الثَّقَلَيْنِ

٥١ ح ٧٠٧/٥



قال رسول الله ﷺ والله أعلم ولا أدري

أُنسِتِ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعَ عَلَيَّ

« قَتَلَهُمُ اللَّهُ بِرُحْمَتِي »

تفسير الفخر الرازي

١٧٦/٩





قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

يا علي ما مثلك في الناس الا مثل

« قاتل هو والله حذك »

يتابع المودة

١٥٠١



قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

مَنْ قَرَأَ

« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ »

حِينَ يَأْخُذُ مَضْجَعَهُ وَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ خَمْسِينَ

أَلْفَ مَلَكٍ يَحْرُسُونَهُ لَيْلَتَهُ

بِحَقِّ الْأَنْوَارِ

٣٥١ / ١٩





نفسير

سورة الاحقاف المكية



سُبْحَانَكَ يَا رَبُّ الْعَالَمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْءٌ ②

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَأَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ④

وَهُوَ كَيْتَمٌ وَأَنَا تَتَمُّ الْرُشْدِ





## رِسْمَاءُ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ الْمُبَارَكَةِ

ذكر علماء التفسير الكبار ومنهم «الفخر الرازي» في تفسيره الكبير و«الالوسي» في «تفسير روح المعاني» لهذه السورة في حدود العشرين اسماً لمناسبات متعدّدة أهمها وأشهرها ما يلي:

١ - سورة الإخلاص: يعتقد أكثر علماء التفسير أن اسم «الإخلاص» هو أشهر أسماء هذه السورة المباركة، لأنها لا تحوي إلا اسم الله وتوحيده وأوصافه، فهي خالصة وصافية ومهذبة من كل شيء إلا من الله وصفاته وصفات جماله وجلاله جلّ وعلا.

وليس في هذه السورة ذكرٌ للجنة ولا للنار، وليس فيها إشارة للمؤمنين، ولا كناية عن الكفار، ولا شرح للأقوام السابقين، ولا إشارة للأجيال القادمة، ليس فيها إلا اسم الله عزّ وجلّ.

وهذه السورة المباركة جامعة - بصورة مجملّة - لجميع صفات الجمال والجلال الإلهي، وقد جمعت أيضاً بين توحيد الذات وتوحيد الصفات بوجه أكمل وأتم، وصرّحت بأن الله عزّ وجلّ ليس له شريك ولا شبيه، وهو لا يحتاج إلى أيّ من مخلوقاته، والكل يحتاج إليه، وهو فوق أوهام وعقول جميع المخلوقات، ولذا سميت بسورة «الإخلاص».

٢ - سورة التوحيد: ويعتقد بعض المفسرين أيضاً أن اسم

«التوحيد» لهذه السورة هو أشهر أسمائها، ولا يخفى وجه تسميتها بذلك إذ أنها تحوي على المفهوم الواقعي للتوحيد بشكل جامع وقاطع. وليس هناك أية سورة أو آية تجسّم معنى التوحيد بهذه الدرجة كهذه السورة.

وكما أشرنا يمكن القول إن هذه السورة المباركة تنفرد في إعطاء معنى التوحيد ووصفه الكامل من بين جميع الأقوال والأحاديث التي قيلت وسمعت في التوحيد إلى يومنا هذا، بل حتى في الآيات القرآنية والكتب السماوية.

٣ - سورة الولاية: من الأسماء الأخرى لهذه السورة المباركة «الولاية» لأن التوحيد يرتبط بالولاية ارتباطاً أصيلاً وخالداً، ويمكن القول بأن ارتباط التوحيد بالولاية هو ارتباط اللازم بالملزوم، كارتباط الشمس بالنهار، فكلما أشرقت الشمس سيكون هناك نهار قطعاً، والعكس صحيح أيضاً أي إن لم يكن النهار موجوداً فمن الطبيعي أن لا تكون الشمس موجودة.

وكذلك الحال في مسألة التوحيد والولاية فكل قلب يكون التوحيد فيه كاملاً، فلا بد من وجود الولاية فيه، وكل قلب خلا من الولاية كان ذلك دليلاً على أن صاحب هذا القلب ليس من الموحدين والعارفين بالله عزّ وجل وإن تظاهر بهما. وبما أن هذه السورة المباركة مختصةٌ بالتوحيد فهي حتماً مرتبطة بالولاية أيضاً، وكل قلب يكون بيتاً للتوحيد فهو محلٌّ للولاية أيضاً.

إن تحديد التوحيد الصحيح المقبول عند الله عزّ وجل أمر صعب

جداً، فمن الممكن أن يكون هناك عمل ظاهره التوحيد إلا أن فيه المئات من شوائب الشرك والنفاق كما هو الحال في أغلب تلاوات القرآن، أو في الصلاة، أو سائر العبادات التي يؤتى بها لأهداف أخرى اقتصادية أو سياسية أو غيرها من قبل أناس غير صالحين، فهي وإن كان ظاهرها بصورة العبادة وأُديت بعنوان التوحيد والقربة إلى الله عز وجل، إلا أنها في الواقع فاقدة لقيمة العبادة وللتوحيد، وهي في الحقيقة كفرٌ مطلق وشركٌ واقعي وتسمى بلغة الشرع «الشرك الخفي».

إن هذه الأعمال التي أُديت على شكل عبادة ليست فقط غير مقبولة عند الله عز وجل بل إنها توجب أيضاً الخذلان والعذاب في الآخرة، لأنها تتضمن خداعاً ورياءً، والرياء من الذنوب الكبيرة والمساوية للشرك، بل هو عين الشرك.

فمع هذه العبادات الريائية على مسار التاريخ كم من بيت خُرب!  
وكم من حق ضيِّع! وكم من نار أُشعلت! وكم من دماء بريئة سُفكت  
في الأرض!

فقراءة القرآن والصلوات والعبادات التي أُديت على طول الزمان، من حين غضب الخلافة من مولى الموالي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وحتى زماننا الحاضر ومن هذا التاريخ وحتى ظهور صاحب الولاية الكلية الإلهية والوارث لمقام الولاية بالحق الحجة ابن الحسن العسكري - أرواحنا فداه - بواسطة أئمة الجور وخلفاء الباطل كبني أمية، وبني العباس، والساترين على خطهم حتى ظهور المنتقم الحقيقي، قائم آل محمد عليه وعلى آبائه المعصومين الصلاة والسلام، فكل هذه العبادات والطاعات وقراءات القرآن عارية عن حقيقة التوحيد

وملوثة بالأغراض الشيطانية والطاغوتية، وموجبة للفتن العظيمة، والإضطرابات الخطيرة، والمظالم التي تدمر البيوت وتحطم حياة العالم البشري، وكما روي: «رب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه»<sup>(١)</sup>.

وهذا القرآن هو ذلك القرآن الذي رفعوه على الرماح في صفين فأحنوا به ظهر شريك القرآن، والقرآن الناطق مولى الموحدين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وزلزلوا راية رسول الله صلى الله عليه وآله، ورفعوا راية ابن أبي سفيان العدو الأول للإسلام والقرآن في حين أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال مراراً: «عليّ مع القرآن والقرآن معه»<sup>(٢)</sup>.

وروي هذا الحديث «الحمويني» و«موفق ابن أحمد»، وأيضاً «الزمخشري» في كتاب «ربيع الأنوار» بإسناده عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله<sup>(٣)</sup>.

ومع أن هذه الجناية العظيمة قد هزت التاريخ الإنساني إلا أن استشهاد سيد الشهداء الحسين بن علي سلام الله عليه وأولاده وأصحابه الأوفياء الذين جاهدوا حتى الشهادة وبذلوا آخر قطرة من دماهم في سبيل إنقاذ الإسلام والقرآن والولاية التي دفنها الظالمون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله مع جسده الطاهر، وأيضاً نشر التعاليم

(١) جامع الأخبار: ١٣٠، ٢٥٥.

(٢) أمالي الشيخ: ٤٧٤/٢، ح ٣٤.

(٣) ينابيع المودة: ٨٨/١. ومناقب الخوارزمي: ١٠٤، ح ١٠٧ و ١٠٩.

وروي هذا الحديث أيضاً الحاكم في المستدرک: ١٢٤/٣. وابن حجر في صواعقه: ١٢٤. والترمذي في سننه: ٢٩٧/٥.

العالية لسائر الأئمة الطاهرين عليهم السلام قد سدا الثغرة إلى حدّ ما، وكشفا وجه الحقيقة الناصع بمقدار ما، من بين غيوم رياء وخذعة أئمة الباطل وقرآء القرآن والعباد المزيفين.

فيا أيها المسلمون! ويا شيعة آل محمد ومحبي آل بيت النبوة! تيقظوا، فما زال القرآن مرفوعاً - بأساليب شيطانية - على رماح من الرّياء والتزوير، وما زال الحق المغصوب لصاحب الولاية لم يسترد، وما زال دم مظلوم كربلاء وجميع شهداء الإسلام في غليان، وما زال علي جليس الدار، وما زالت بضعة رسول الله فاطمة الزهراء تنن في بيت الأحزان، وفي مقابل هذا ما زال أمثال معاوية على منابر الكفر.

اللهمّ إنّنا نعوذ بك من هذه المصيبة العظمى التي سوّدت وجه الأرض وملأت أركان العالم بالظلم، وولجأ إلى ولي أمرك بالحق المهدي المنتظر - أرواحنا فداه - فأقرّ عيوننا في هذه الأيام المظلمة برؤية الوكلاء الحقيقيين لذلك الولي السالك طريق آبائه الكرام، والناشر لأحكامهم وآثارهم عليهم السلام ونحن دائماً بانتظار الفرج.

وخلاصة القول: إن آية تلاوة أو عبادة أو طاعة لا تكون توأماً مع ولاية المعصومين عليهم السلام والسير على طريقهم فهي ليست تقرباً إلى الله عزّ وجل، بل ستكون سبباً للعنة والعذاب، ولذا فإن الله عزّ وجل قد قرن بين توحيدهِ والولاية في كل مكان وفي العوالم كافة، فقطبه ومركزه هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومظهره وتجليه وحامله هم أهل بيت النبوة عليهم السلام.

إن قليلاً من التدقيق وإمعان النظر في آيات القرآن الكريم يوضح

لنا أن الله عزّ وجلّ قرن في آياتٍ كثيرة من القرآن - ومنها الآية المباركة الآتية - بين ولايته من جهة وولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من جهة أخرى، واعتبر كلاً منهما شرطاً في قبول الآخر، يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (١).

وقد أجمع جمهور علماء الخاصة وأغلب علماء العامة ومنهم «الثعلبي» و«أبو بكر الرازي» و«الطبري» وغيرهم (٢) أن المراد بالذين آمنوا في هذه الآية الكريمة هو صاحب الولاية الكلية الإلهية مولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام، ومن بعده ينتقل هذا المقام الإلهي المنيع إلى أولاده الأحد عشر عليهم السلام، وهو اليوم يختصّ بولي العصر وإمام الزمان الحجة ابن الحسن العسكري عليه السلام.

إن الإنسان الذي ليس لديه ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٢) الدر المنثور: ١٠٤/٣، وفيه: أخرج الخطيب في «المتفق» عن ابن عباس قال: تصدّق عليّ بخاتمه وهو راعع، فقال النبي صلى الله عليه وآله للسائل: من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذاك الرّاعع، فأنزل الله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾. وأخرج عبد الرزّاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس... قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب. وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن عمار بن ياسر... كذلك وأخرج بن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن عساكر، عن سلمة بن كهيل قال: تصدّق عليّ بخاتمه وهو راعع فنزلت ﴿ إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ ﴾... وأخرج ابن جرير عن مجاهد، وعن السدي وعتبة بن حكيم مثله. إلى غير ذلك من الأسانيد.

وولاية علي وآل علي عليهم السلام هو في الواقع فاقداً للتوحيد أيضاً، أو أن توحيده ناقص - لا محالة - ومن دون قيمة، فإذا قرأ سورة «التوحيد» آلاف المرات أو حفظ القرآن وداوم على تلاوته فهو صفر اليدين أيضاً وليس له من ذلك إلا التعب.

إن مثل هذا الشخص مثل الشيطان الرجيم الذي عبد الله عز وجل وسجد له وسبح وهلل مدة سبعين ألف عام - كما قيل - إلا أن اتعابه وعباداته كلها ذهبت هدراً لأن باطنه وعباداته كانت فاقدة لنور الولاية المتجلي حينها في آدم أبي البشر، حيث كان حاملاً ومظهراً لشعاع من أنوار ولاية محمد وآل محمد عليهم السلام، فلم يسجد ولم ينقاد له، لذا فقد أبعد من رحمة الله عز وجل إلى يوم القيامة ملعوناً حتى يدخل نار جهنم داخراً: ﴿فَأَخْرَجَ مِنْهَا فِرْعَانَ رَجِيمًا \* وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>(١)</sup>.

لقد قرن الله عز وجل في الآية المباركة مورد البحث بين ولايته - وهي الولاية الكلية المطلقة والشاملة لجميع الجوانب التكوينية والتشريعية - وولاية رسوله الأكرم وخليفته بالحق أمير المؤمنين علي عليه السلام، ولكن لا يترك القول إن ولاية الله عز وجل ليس لها اتحاد وعينية ذاتية مع ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار، وإذا قلنا ذلك - والعياذ بالله - فإنه موجب للشرك والكفر، كالقائلين بعقيدة «وحدة الوجود» أو «وحدة الموجود» فقد تورط هؤلاء بعقيدة الشرك هذه عن جهل أو عمد. بل إن هذا الاتحاد له حالة الأثر

(١) سورة ص، الآية: ٧٧ و ٧٨.



والمؤثر كالمئير والنور، والفاعل والفعل، وأوضح مثال على ذلك مسألة النار والحديد المحمى، ففي الظاهر كلاهما حارقان، وكلاهما له نور وحرارة ولكن في الواقع النار هي المؤثر والحديد المحمى أثر لها، إذ أنه لا يملك في ذاته شيئاً مستقلاً، بل هو فقط حامل فعلٍ ومظهر للنار، وكل ما فيه من نور وحرارة وإحراق فهو من آثار النار، فلو انقطعت عنه النار لحظة واحدةً فسيفقد كل ميزاته تلك.

وهناك في هذا الموضوع مباحث توحيدية شيقة جداً وطويلة، وقد ألفت فيها كتبٌ كبيرة، ونظمت فيها أشعارٌ كثيرة لا يسع هذا المختصر ذكرها.

إن كاتب هذه السطور قد كتب - وبالتفصيل - في العلاقة المباشرة بين هذه الآية المباركة وبين المعصومين عليهم السلام في الجزء الأول من كتابه «الولاية: بحث حول الولاية من وحي القرآن» والذي طبع مراتٍ عديدة باللغات الفارسية والأوردية والعربية، وانتشر في المجتمعات الشيعية والإسلامية - في الصفحات (٧٧ - ١٨٩) - مع إيراد الدلائل والشواهد الأخرى من القرآن الكريم ومن كلمات وأحاديث المعصومين عليهم السلام ذكراً إتفاق الفريقين (الشيعية والسنة) في هذا الموضوع، فإن شاء القارئ الكريم الاطلاع على تفصيلاته بإمكانه مراجعة ذلك الكتاب أو الكتب الأخرى التي ألفتها الأساتذة الأجلاء في هذا الموضوع.

إن شرط صحة التوحيد الكامل هو الإلتزام الواضح ووضوح الشمس في رابعة النهار بولاية المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، وسنذكر في ختام هذا البحث آيةً من القرآن الكريم وعدة أحاديث

محكمة عن أهل بيت النبوة سلام الله عليهم - تيمناً وتبركاً وتأيداً لما ذكرناه أعلاه - لتقرّ عيون المحييين، وتُزال الشبهات عن قلوب المشككين وتكون ردّاً قاطعاً على المنكرين والمعاندين. يقول الله تعالى: ﴿فأمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير﴾<sup>(١)</sup>.

نلاحظ في هذه الآية المباركة أن الله عزّ وجل ذكر الإيمان به ورسوله وبالنور الذي أنزله في محلّ واحد، وهناك أحاديث كثيرة في تفسير كلمة النور في هذه الآية المباركة تقول: إن مراد الله عزّ وجل من (النور) في هذه الآية وسائر الآيات المشابهة لها هو الوجود المقدّس لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبشكل عام الأئمة الطاهرون صلوات الله عليهم أجمعين، وسنكتفي في هذا المجال بذكر عدة روايات من طرق الخاصة والعامة:

- أصول الكافي: روى بإسناده عن أبي خالد الكابلي أنه قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجل: ﴿فأمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ فقال: يا أبا خالد! النور والله نور الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة، وهم والله نور الله الذي أنزل، وهم والله نور الله في السماوات وفي الأرض.

والله يا أبا خالد! لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب الله عزّ وجل نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم.

(١) سورة التغابن، الآية: ٨.

والله يا أبا خالد! لا يحبنا عبد ويتولانا حتى يطهر الله قلبه، ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا ويكون مسلماً لنا، فإذا كان مسلماً لنا سلمه الله من شديد الحساب وأمنه من فزع يوم القيامة الأكبر<sup>(١)</sup>.

يحتاج هذا الحديث الشريف إلى عدة توضيحات:

أ - إننا لو رجعنا إلى القرآن الكريم ودققنا في الآيات المباركة لوجدنا أن الله عز وجل يُقسم في هذه الآيات في الموارد التي تحوي على مسائل مهمة جداً كما في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

إن الله عز وجل قد أقسم هنا بحياة أحب موجود لديه في عالم الإمكان - وهو رسول الله صلى الله عليه وآله - لأن الموضوع مهم جداً، فالله يرى عباده يتعرضون لخطر الانزلاق في وادي الشهوات النفسانية التي هي من أكبر عوامل الشقاء للإنسان، لذلك فهو ينتبههم ويحذّرهم من هذا الإنزلاق الخطر.

وكذلك نرى أن الحديث أعلاه يتناول مسألة الولاية - وهي الركن الأساس في الإيمان والتوحيد لأهميتها - لذا نجد أن الإمام الباقر عليه السلام قد ذكر ما ذكر مبتدئاً بالقسم، وهذا يكشف بطبيعته عن أهمية الموضوع.

ب - إن المعنى الظاهري لقوله عليه السلام: «ويحجب الله عز وجل نورهم عمّن يشاء» هو أن هناك - والعياذ بالله - جبر ومخالفة

(١) الكافي: ١/١٩٤، ح ١.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٧٢.

للعادلة من الله عزّ وجلّ والله العادل منزّه ومبرّاً عن هذه الصفات، ولذا فالمعنى الواقعي هو أن الله عزّ وجلّ يحجب النور عن الأشخاص غير اللائقين به وغير المؤهلين لحمله.

- المناقب: ذكر رواية عن علي بن الحسين عليهما السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿فأمنوا بالله والرسول الذي أنزلنا﴾ أنه قال: النور هو الإمام<sup>(١)</sup>.

- بصائر الدرجات: بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبي بصير، وأبي حمزة الثمالي، عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، وكذلك في الكتاب نفسه بإسناده عن محمد بن عبد الرحمن عن الإمام الصادق سلام الله عليه أنهما قالوا: ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبياً قطّ إلا بها<sup>(٢)</sup>.

- بصائر الدرجات: روى بإسناده عن أبي سعيد الخدري أنه قال: رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعتَه يقول: «يا علي! ما بعث الله نبياً إلا وقد دعاه إلى ولايتك طائعاً أو كارهاً»<sup>(٣)</sup>.

- بصائر الدرجات: روى عن ابن أبي عمير، عن جميل وحسن بن راشد، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾<sup>(٤)</sup> قال: فقال: بولاية أمير

(١) ينابيع المودة: ١١٧/١.

(٢) بصائر الدرجات: ٩٥، ح ٦ و ٩.

(٣) بصائر الدرجات: ٩٢، ح ٢.

(٤) سورة الإنشراح، الآية: ١.

المؤمنين علي عليه السلام<sup>(١)</sup>.

٤ - سورة الأساس: روى الزمخشري عن أبي وأنس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: أسست السماوات السبع والأرضون السبع على: ﴿قل هو الله أحد﴾<sup>(٢)</sup>.

إن سرّ الخلق واستحكام الخليقة وانتظام جميع الكائنات كل ذلك يدل على التوحيد، وهذا العالم الواسع بكل ما فيه من الموجودات كافة إن من حيث المجموع أو من حيث الأفراد تبين أن صانع وخالق هذا العالم بما فيه من عجائب هو الله القادر الحكيم والغني بالذات، الواحد الأحد، ولا يعقل أن يكون هناك صانع غيره.

فلو أذعنّا واعترفنا بأن الهدف النهائي من بعثة الأنبياء وإرسال الرسل عليهم السلام هو توحيد الله عزّ وجلّ - وهذا موضوع مجمع عليه - واستناداً إلى الأحاديث المذكورة أعلاه والآيات والروايات الأخرى المتوافرة والتي ملأت كتب الفريقين المعتبرة، نصل إلى هذه النتيجة وهي: إن التوحيد لا ينفصل عن الولاية، وفي الواقع الولاية مكتملة للتوحيد وهي أصل للإيمان والدين.

إن الآية الكريمة: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾<sup>(٣)</sup> تثبت وبوضوح أن إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب جلّ وعلا كل ذلك يرتبط مباشرة بولاية

(١) بصائر الدرجات: ٩٢، ح ٣.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ١٧٦/٣٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

المعصومين عليهم السلام.

والعاقل تكفيه الإشارة وإلا فليس بعاقل.

٥ - سورة المعوذة: أخرج النسائي والبخاري وابن مردويه بسند

صحيح عن عبد الله بن أنيس الأسلمي أنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وضع يده على صدره ثم قال له: قل.

قال: فلم أدر ما أقول.

ثم قال: ﴿ قل هو الله أحد ﴾.

ثم قال لي: ﴿ قل أعوذ برب الفلق من شرّ ما خلق ﴾.

حتى فرغت منها، ثم قال لي: ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾.

حتى فرغت منها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هكذا

فتعوذ فما تعوذ المتعوذون بمثلهنّ قط<sup>(١)</sup>.

٦ - سورة المحضر: حيث ذكر أن الملائكة تحضر وتستمع لهذه

السورة حين تلاوتها<sup>(٢)</sup>.

٧ - سورة المنفرة: وذلك أن الشيطان ينفر عند قراءة هذه السورة

الشريفة<sup>(٣)</sup>.

ومن أسماء هذه السورة المباركة أيضاً ما يلي:

٨ - سورة النور.

٩ - سورة المعرفة.

(١) تفسير الدر المنثور: ٦٨٢/٨.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ١٧٦/٣٢.

(٣) المصدر نفسه.

- ١٠ - سورة نسبة الله .
- ١١ - سورة البراءة .
- ١٢ - سورة الجمال .
- ١٣ - سورة المانعة .
- ١٤ - سورة المقشقة .
- ١٥ - سورة الصّمد .
- ١٦ - سورة التفريد .
- ١٧ - سورة التجريد .
- ١٨ - سورة النجاة<sup>(١)</sup> .

إن جميع هذه الأسماء المباركة ترجع إلى أمر واحد، وتفسيرها جميعاً هو إثبات معنى التوحيد والولاية، وقد تركنا شرح وتفسير كلاً منها في هذا البحث رعاية للاختصار .

---

(١) المصدر نفسه .

# مَجْلَدُ نَزُولِ عِلْمِ الْإِبْرَاهِيمِ عَلَيْهِ سُورَةُ الْإِخْلَاصِ الْمُبَارَكَةِ

اختلف علماء التفسير في مكان نزول هذه السورة، هل هو في «مكة المكرمة» أم في «المدينة المنورة»، فقال عبد الله وحسن وعكرمة وعطاء ومجاهد وقتادة أنها نزلت في «مكة» فيما قال ابن عباس ومحمد بن كعب وأبو العالية والضحاك أنها مدنية، وهناك بعض من يعتقد أن هذه السورة كسورة «الفاتحة» نزلت مرتين: مرة في «مكة المكرمة»، ومرة في «المدينة المنورة»<sup>(١)</sup>.

وتحتوي هذه السورة على أربع آيات وخمس عشرة كلمة (إن لم نحسب الواو كلمة، وإن حسبناها كانت سبعة عشرة كلمة) وتحتوي على سبعة وأربعين حرفاً.

## شأن نزول سورة الإخلاص المباركة

١ - احتجاج الطبرسي: روى عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: إن اليهود أعداء الله، لما قدم النبي صلى الله عليه وآله «المدينة» أتوه بعبد الله بن سوريا (أحد علماء اليهود الكبار) وذكر

(١) تفسير المارودي: ٣٦٨/٦.



حديثاً طويلاً يسأل فيه رسول الله إلى أن قال له: أخبرني عن ربك ما هو؟

فنزلت «قل هو الله أحد» إلى آخرها، وقال ابن صوريا: صدقت ثم آمن وأخفى إيمانه<sup>(١)</sup>.

٢ - أصول الكافي: روى بإسناده عن محمد بن مسلم عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: إن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إنسب لنا ربك.

فلبث ثلاثاً لا يجيبهم ثم نزلت «قل هو الله أحد» إلى آخرها<sup>(٢)</sup>.

٣ - الدر المنثور: ذكر رواية بإسناده عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وآله: يا محمد! إنسب لنا ربك. فأنزل الله «قل هو الله أحد»<sup>(٣)</sup>.

٤ - الدر المنثور: وذكر رواية بإسناده عن ابن مسعود أنه قال: قالت قريش: يا رسول الله! إنسب لنا ربك. فأنزل الله «قل هو الله أحد»<sup>(٤)</sup>.

لقد وردت في شأن نزولها روايات كثيرة من طرق الفريقين، وكما مرّ فإن أصحاب السؤال هم أحياناً قوم من اليهود، وأحياناً من المشركين، وأحياناً من قريش أو بعض الأشخاص والمجاميع المختلفة

(١) الإحتجاج: ٤٣. وعنه البرهان: ٥٢٣/٤، ح ١.

(٢) أصول الكافي: ٩١/١، ح ١. وعنه تفسير البرهان: ٣٩٠/٥.

(٣) تفسير الدر المنثور: ٦٦٩/٨.

(٤) تفسير الدر المنثور: ٦٧٠/٨.

الأخرى، فيسألون رسول الله صلى الله عليه وآله ويطلبون منه أن يصف لهم ربه فيجيبهم صلى الله عليه وآله بقراءة سورة «قل هو الله أحد».

وفي نظري أن جميع هذه الروايات صحيحة ويؤيد بعضها البعض الآخر، ولا يبعد أن يكون السؤال قد تكرر من عدة أشخاص وعدة جماعات، ونحن نشاهد في عصرنا الحاضر أيضاً أن من يسأل ذلك كثيرون حيث يريدون معرفة صفة الله عزّ وجل في نظر الإسلام وخصوصاً المبتدئين من الشباب وأتباع سائر الأديان، فهم دائماً يسألون هذا السؤال، وقد أجابهم الله عزّ وجل جواباً محكماً وقاطعاً وخالداً عن طريق نبيه المحبوب، وسبقي هذا الجواب رداً كافياً لكل من يسأل من آية طبقة كان إلى يوم المحشر: ﴿قل هو الله أحد (١) الله الصّمد (٢) لم يلد ولم يولد (٣) ولم يكن له كفواً أحد (٤)﴾.

وفي الحقيقة؛ إن هذه السورة المباركة هي بمنزلة شعار خالد للإسلام والمسلمين في مسألة التوحيد، ولذا فإن كلمة «قل» في أول هذه السورة بقيت بقوتها وستبقى إلى الأبد وكذلك كل كلمات القرآن الكريم باقية بقوتها إلى الأبد، حيث أمر الله عزّ وجل نبيه صلى الله عليه وآله أن يجيب السائلين في كل الأعصار بذلك فقال له: «قل...» إلى آخر السورة.

وسيرى إن شاء الله القراء الأعزاء، وخصوصاً المبتدئون منهم، بعد إتمامنا لتفسير هذه السورة المباركة أن ما ورد فيها من وصف لا يمكن لأي كلام آخر وأي حديث بل وحتى سائر الآيات والسور القرآنية الكريمة أو الكتب السماوية أو كلمات الآخرين، لا يمكن لها

أن تحلّ محلّ هذه السورة المباركة، فهي تبين التوحيد الصحيح بهذه القاطعية والانسجام لجميع الناس، ولهذا سمّيت هذه السورة المباركة من بين جميع السور القرآنية باسم سورة «التوحيد».

## فَضِيلَةُ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ الْمُبَارَكَةِ

إن هذه السورة هي من أشرف سور القرآن الكريم، ومع أن جميع السور القرآنية هي كلام الله وهي الوحي الإلهي ولها الشرف والجلال الذاتي إلا أن هذه السورة - لاحتوائها على التوحيد الكامل والخالص لله عزّ وجلّ - ولأن الغرض الأصلي والهدف النهائي من إرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية هو التوحيد الواقعي، يمكن القول إن هذه السورة كسورة «الفتاحة» المباركة لها شأن ومنزلة خاصتان، وسنذكر هنا قسماً من خصائصها وامتیازاتها المذكورة على لسان المعصومين عليهم السلام.

### ١ - غفران الذنوب عند الموت:

ذكر المرحوم «الشيخ البهائي» في كتاب «الجامع العباسي» والمرحوم «السيد كاظم اليزدي» في كتاب «العروة الوثقى» والمرحوم «الشيخ جعفر كاشف الغطاء» في كتابه «كشف الغطاء» وذكروا جميعاً عن مولى المتقين أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال (ما مضمونه): من أراد أن يخلص من ذنوبه عند الموت ويكون كالذهب المصفى ولم يكن للناس عليه حق، يقرأ بعد كل صلاة «قل هو الله أحد» اثنتي عشرة مرة، ثم يبسط يديه ويرفعهما إلى السماء، ويقول:

«اللهمّ إني أسألك باسمك المكنون المخزون الطهر الطاهر المبارك،  
وأسألك باسمك العظيم، وسلطانك القديم أن تصلي على محمدٍ وآل  
محمدٍ، يا واهب العطايا! يا مطلق الأسارى! يا فكّك الرقاب من النار!  
أسألك أن تصلي على محمدٍ وآل محمد، وأن تعتق رقبتي من النار  
وتخرجني من الدنيا آمناً، وتدخلي الجنة سالماً، وأن تجعل دعائي  
أوله فلاحاً وأوسطه نجاحاً وآخره صلاحاً، إنك أنت علام الغيوب»<sup>(١)</sup>.

ولا يترك القول إنّ مضمون هذا الحديث الشريف ليس المراد منه  
هو أنّ كل من قرأ هذه السورة المباركة وهذا الدعاء بالطريقة المذكورة  
وكان في رقبته مظلمة (حق الناس) يعفى عنه يوم القيامة، فمن الطبيعي  
أنّ الأمر ليس كذلك لأن صريح الآيات القرآنية المباركة وأخبار  
وأحاديث المعصومين عليهم السلام المتواترة والمذكورة في محلها،  
والتي ليس هناك أي شك في صحتها، وكذلك العقل السليم، تحكم  
كلها - واستناداً إلى العدل الإلهي - أنه سينال جزاءه بشكل كامل يوم  
القيامة.

وحق الناس يشمل الاعتداء على أرواح وأموال وكرامة وناموس  
وراحة وشخصية وجميع متعلقات ومختصات الآخرين، وبأيّ عنوان  
كان، إلا أن يحصل الإنسان على رضا أصحابها قبل الموت.

وعلى هذا يكون مفهوم هذا الحديث الشريف، أن من قرأ هذه  
السورة المباركة وهذا الدعاء - بالترتيب المذكور - مع كمال الإخلاص  
والمداومة على ذلك فإنه سيوفّق حتماً قبل الموت لأداء حق الناس

(١) مستمسك العروة الوثقى: ٥١٨/٦.

والتوبة من الذنوب التي في رقبته ببركة هذا العمل، فيغادر هذه الدنيا الفانية طاهراً ومهذباً ونقياً من الذنوب بوجودان مطمئن وروح مطمئنة إلى العالم الباقي.

اللَّهُم اجعل عواقب أمورنا خيراً بحق محمدٍ وأهل بيته الطيبين الطاهرين صلواتك عليهم أجمعين.

## ٢ - حضور الملائكة عند التشييع والدفن:

أصول الكافي: كتاب «فضل القرآن»، فقد روى «السكوني» عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إن النبي صلى الله عليه وآله صلى على سعد بن معاذ فقال: «لقد وافى من الملائكة سبعون ألفاً وفيهم جبرائيل عليه السلام يصلون عليه فقلت له: يا جبرائيل! بَمَ يستحقّ صلاتكم عليه؟»

فقال: بقراءته «قل هو الله أحد» قائماً وقاعداً وراكباً وماشياً وذاهباً وجائياً»<sup>(١)</sup>.

أقول: لا شك أن قراءة سورة الإخلاص «التوحيد» المباركة والمداومة على ذلك له ثواب عظيم وأجر كبير، ولكن يستفاد من الرواية أعلاه أن سعد بن معاذ رضوان الله عليه كان وفي جميع الأحوال ذاكراً لله عزّ وجلّ بقراءته لسورة «التوحيد» المباركة ومداومته عليها، وكان مضمون هذه السورة المباركة والذي هو التوحيد والإخلاص الكامل يتجسّم دائماً أمام عينيه ويستقرّ في أعماق قلبه، ولذا كان دائماً

(١) الكافي: ٦٢٢/٢، ح ١٣.

متحرّزاً من الرّياء والسمعة والشبهة، وطلب الجاه، وعبادة الذات، واتباع الشهوات النفسانية والتي كلها ضد التوحيد، وهذا هو التكليف الذي يريده الله عزّ وجلّ من عباده، وأفضل الأعمال وأكمل القربات، ويلزم العبد في نفس الوقت الذي يؤدي فيه تكاليفه الشرعية أن يضع هذه الأمور المذكورة أمام عينيه دائماً لئلا يتعد عنها فيكون لائقاً بعناية الله عزّ وجلّ الخاصة، ولهذا استوجب سعد بن معاذ كل هذه الفضيلة وإلا فإن تلاوة هذه السورة المباركة بل وجميع القرآن الكريم من دون تدبّر بمعانيه والعمل بمضامينه وإن لم يكن خالياً من الفضل، إلا أنه سيكون كقشرٍ خالٍ من اللّب.

### ٣ - الأمان من عذاب القبر:

الدر المنثور: روى الطبراني وأبو نعيم، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من قرأ «قل هو الله أحد» في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره، وأمن من فتنة القبر، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفّها حتى تجيزه الصراط إلى الجنة»<sup>(١)</sup>.

### ٤ - النجاة من الفقر:

مجمع البيان: روى عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فشكا إليه الفقر وضيق المعاش، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا دخلت بيتك فسلم إن كان

(١) تفسير الدر المنثور: ٦٧٤ / ٨.

فيه أحد، وإن لم يكن فيه أحد فسلم وأقرأ «قل هو الله أحد» مرة واحدة.

ف فعل الرجل فأفاض الله عليه رزقاً حتى أفاض على جيرانه<sup>(١)</sup>.

وروى «الشيخ الصدوق» رضوان الله عليه بإسناده عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «إذا دخل احدكم منزله فليسلم على أهله يقول: «السلام عليكم»، فإن لم يكن له أهل فليقل: «السلام علينا من ربنا» وليقرأ: «قل هو الله أحد» حين يدخل منزله فإنه ينفي الفقر<sup>(٢)</sup>.

الدر المنثور: أخرج الطبراني عن جرير البجلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قرأ «قل هو الله أحد» حين يدخل منزله نفت الفقر من أهل ذلك المنزل والجيران»<sup>(٣)</sup>.

وأشارت بعض الروايات الواردة عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام أن من دخل بيتاً أو محلاً ليس فيه أحد يستحب له أن يقرأ السلام، فيقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين<sup>(٤)</sup>.

## ٥ - الأمن من الحاكم الجبار:

مجمع البيان: ذكر إبراهيم بن مهزم أن موسى بن جعفر عليه

(١) مجمع البيان: ٨٥٤/١٠.

(٢) الخصال: ١٦٤/٢، وعنه بحار الأنوار: ١٧٠/٧٣ ح ١٥.

(٣) الدر المنثور: ٦٧٣/٨.

(٤) بحار الأنوار: ١٦٧/٧٣ ح ٦.



السلام قال: من قدّم «قل هو الله أحد» بينه وبين كلِّ جبار منعه الله منه، يقرؤها بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فإذا فعل ذلك رزقه الله خيره ومنعه شره<sup>(١)</sup>.

## ٦ - المساواة مع ختم القرآن:

إكمال الدين وبحار الأنوار: روى بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: من قرأ «قل هو الله أحد» مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن كله<sup>(٢)</sup>.

ورد في «خلاصة الأذكار» للمرحوم «الفيض الكاشاني» و«تحفة الخواص» للحاج «الشيخ الشيرازي» في تفسيرهم لسورة «التوحيد» المباركة عن الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليها أن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل عليها وهي مستلقية على الفراش تريد النوم فقال لها أن لا تنام قبل أن تأتي بأربعة أعمال: ختم القرآن، وأن تجعل الأنبياء شفعاءها، وترضي عنها المؤمنين، وتحج وتعتمر.

ثم دخل في صلاته فصبرت حتى أتمَّ صلاته، فسألته عن الأعمال الأربعة التي ذكرها مما لا يمكنها القيام به في هذا الوقت الضيق، فتبسّم وقال لها: إن قراءتها لسورة «قل هو الله أحد» ثلاث مرات يعدل

(١) مجمع البيان: ١٠/٨٥٥. وبحار الأنوار: ٨٩/٣٤٩، ح ١٦.

(٢) كمال الدين: ٢/٥٤٢، ح ٦. وبحار الأنوار: ٨٩/٣٥٠، ح ١٨.

ختم القرآن . . . إلى آخر الخبر .

أقول: إن هذه الروايات في الحقيقة لها طابع إرشادي فهي في الظاهر خطاب للزهراء سلام الله عليها، ولكن المخاطب الحقيقي هم جميع المسلمين وإلا فكأننا يعلم أن فاطمة الزهراء عليها السلام ولية الله ولديها علم لدنيّ وأزليّ عن الله عزّ وجلّ .

أمالي الصدوق: روى بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليهم أجمعين أنه قال يوماً لأصحابه: «أيكم يصوم الدهر؟

فقال سلمان رحمه الله: أنا يا رسول الله .

فقال رسول الله: فأيكم يحيي الليل؟

فقال سلمان: أنا يا رسول الله .

قال: فأيكم يختم القرآن في كل يوم؟

فقال سلمان: أنا يا رسول الله .

فغضب بعض أصحابه فقال: يا رسول الله! إن سلمان رجل من الفرس يريد أن يفتخر علينا معاشر قريش . قلت: «أيكم يصوم الدهر»؟، فقال: «أنا» وهو أكثر أيامه يأكل . وقلت: «أيكم يحيي الليل»؟ فقال: «أنا» وهو أكثر ليلته نائم، وقلت: «أيكم يختم القرآن في كل يوم»؟ فقال: «أنا» وهو أكثر نهاره صامت!!

فقال النبي صلى الله عليه وآله: مَهْ يا فلان، أني لك بمثل لقمان الحكيم سلّه فإنه ينبئك .

فقال الرجل لسلمان: يا أبا عبد الله! أليس زعمت أنك تصوم الدهر؟!

فقال: نعم.

فقال: رأيتك في أكثر نهارك تأكل!

فقال: ليس حيث تذهب، إنّي أصوم الثلاثة في الشهر، وقال الله عزّ وجل: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ وأصل شعبان بشهر رمضان فذلك صوم الدهر.

فقال: أليس زعمت أنك تحيي الليل؟!

فقال: نعم.

فقال: أنت أكثر ليلتك نائم!

فقال: ليس حيث تذهب، ولكني سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من بات على طهرٍ فكأنما أحيا الليل كله، فأنا أبيت على طهر.

فقال: أليس زعمت أنك تختتم القرآن في كل يوم؟!

قال: نعم.

فقال: فأنت أكثر أيامك صامت!

فقال: ليس حيث تذهب، ولكني سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام: «يا أبا الحسن! مثلك في أمّتي مثل «قل هو الله أحد» فمن قرأها مرة قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فقد قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاثاً فقد ختم القرآن، فمن أحبك بلسانه فقد كمل له ثلث الإيمان، ومن أحبك بلسانه وقلبه، ونصرك بيده فقد استكمل الإيمان، والذي بعثني بالحق يا علي، لو

أحبك أهل الأرض كمحبة أهل السماء لك لما عذب أحدٌ بالنار»، وأنا أقرأ «قل هو الله أحد» في كل يوم ثلاث مرات.

فقام وكأنه قد ألقم حجراً<sup>(١)</sup>.

وروى «موفق الدين الخوارزمي» (وهو من مشاهير علماء أهل السنة) في مناقبه، عن طاووس، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «يا علي ما مثلك في الناس إلا كمثل «قل هو الله أحد»<sup>(٢)</sup>.

وفي الواقع كما أن سورة «قل هو الله أحد» المباركة هي بيان للتوحيد الحقيقي، فكذلك وجود سيّد الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ذي المعاجز هو تجلُّ للتوحيد الواقعي.

الدر المنثور: روى عن ابن زريس وأبي يعلى وابن الأنباري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: أما يستطيع أحدكم أن يقرأ «قل هو الله أحد» ثلاث مرات في ليلةٍ (لعل مراده أثناء النوم) فإنها تعدل ثلث القرآن<sup>(٣)</sup>.

قال بعض علماء التفسير في تعليل مساواة قراءة سورة «التوحيد» المباركة لقراءة ثلث القرآن أن جميع المعارف القرآنية تعود إلى أصول ثلاثة: التوحيد والنبوة والمعاد. وسورة «التوحيد» المباركة تحتوي على أصل من هذه الأصول الثلاثة وهو التوحيد. ولذا فإنها تعادل ثلث

(١) أمالي الصدوق: ٣٧، ح ٥.

(٢) ينابيع المودة: ١/١٢٥.

(٣) الدر المنثور: ٦٧٢/٨.

القرآن. ذكر ذلك مؤلف «تفسير الميزان» - أعلى الله درجته - في تفسيره<sup>(١)</sup>.

وقال «الفخر الرازي» في تفسيره الكبير في توجيه هذا الحديث: اشتهر في الأحاديث أن قراءة هذه السورة تعدل قراءة ثلث القرآن، ولعل الغرض منه أن المقصود الأشرف من جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله ومعرفة صفاته ومعرفة أفعاله، وهذه السورة مشتملة على معرفة الذات فكانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن<sup>(٢)</sup>.

إلا أن الرازي قد أخطأ في قوله من ناحيتين:

الأولى: إن معرفة ذات الله من المحال، وقد قال الله عز وجل في قرآنه الكريم: ﴿ لا تدركه الأبصر وهو يدرك الأبصر ﴾<sup>(٣)</sup>. فالوجود الذي لا تدركه الأبصار ولا يصل إليه الإدراك والفهم الذي هو فرع للحواس الظاهرية ومنها البصر، كيف يمكن إدراكه ومعرفة ذاته؟!

وليس فقط لا يمكن لأي أحد في عالم الإمكان درك ذاته الأحدية، بل الجميع عاجزون عن وصفها. يقول مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام في «نهج البلاغة» حول هذا الموضوع: «من وصفه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزله»<sup>(٤)</sup> . . . الخ.

(١) تفسير الميزان: ٤٥٢/٢٠.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ١٧٦/٣٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٤) نهج البلاغة: ٧٠، الخطبة الأولى.

ويقول الله تعالى في قرآنه الكريم في عدم إمكانية الإحاطة بذاته المقدسة: ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ وعنّ الوجوه للحيّ القيوم ﴿<sup>(١)</sup>﴾. فإذا كان ينبغي للفخر الرازي أن يذكر توحيد الذات محل معرفة الذات.

وأما الاشتباه الثاني: إنه جعل سورة «التوحيد» مختصة بالذات وأهمل الصفات، في حين أجمع جمهور علماء التفسير على أن سورة «الإخلاص» المباركة تبين توحيد الذات مع توحيد الصفات.

يقول «أبو السعود» في تعليقه لمساواة سورة «التوحيد» بثلاث القرآن أن مقاصد القرآن تنحصر في بيان العقائد والأحكام والقصص، وسورة «التوحيد» تبين العقائد (توحيد الذات والصفات)<sup>(٢)</sup>.

وقد اشتبه «أبو السعود» أيضاً عندما حصر مواضيع القرآن الكريم في العقائد والأحكام والقصص، فمن مواضيعه أيضاً - بالإضافة إلى ما ذكره أبو السعود - الأمثال والحكم والمواعظ... وغيرها.

أما تعليل ما نحن بصدده فهو من وجهين وهما:

١ - الوجه التشريعي: وتوضيح ذلك أن أساس الإسلام مبني على القرآن الكريم، وأصول الإسلام ثلاثة: التوحيد والنبوة والمعاد. وأما مسألة الولاية - فكما أوضحنا في موضعها - هي شرط أساسي وواقعي لصحة الجميع، وبما أن هذه السورة تشمل على أصل التوحيد فهي بمنزلة ثلث القرآن.

(١) سورة طه، الآية: ١١٠ - ١١١.

(٢) تفسير أبي السعود: ٢١٣/٩.

٢ - الوجه التكويني: وتوضيح ذلك أن مراتب عالم الكون والمسماة بالكتاب التكويني تنحصر في ست مراتب، هي كما يلي:

أ - عالم «الهاهوت»، وهو عبارة عن مرتبة الذات.

ب - عالم «اللاهوت»، وهو مرتبة الأسماء والصفات.

ج - عالم «الجبروت»، وهو عالم ومرتبة العقول.

د - عالم «الملكوت الأعلى»، وهو عبارة عن مرتبة النفوس.

هـ - عالم «الملكوت الأسفل»، وهو مرتبة المثل (البرزخ =

هورقلياً).

و - عالم «الناسوت»، وهو مرتبة الأجسام.

والقرآن الكريم هو عبارة عن الكتاب التدويني الذي يطابق الكتاب التكويني في المراتب المذكورة أعلاه عيناً، كمطابقة الوجود الكتابي أو الوجود اللفظي للوجود الذهني أو الوجود العيني.

وبما أن سورة «الإخلاص» المباركة تشتمل على المرتبتين (ألف وباء) المذكورتين أعلاه - أي مرتبة «الهاهوت» التي عبّر عنها القرآن الكريم بالآية المباركة: ﴿ليس كمثله شيء﴾<sup>(١)</sup>، ومرتبة «اللاهوت» والتي عبّر عنها القرآن الكريم في آيته المباركة: ﴿قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنی﴾<sup>(٢)</sup> لأن أسماء وصفات الجلال والجمال لله عزّ وجل لا متناهية.

وبما انها (اي سورة «التوحيد» المباركة) مشتملة على مرتبتين من

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

المراتب الست في الكتاب التكويني فهي تعادل ثلث الكتاب التدويني وهو القرآن الكريم.

## ٧ - الإنتساب الى الربّ جلّ وعلا:

ورد في التفاسير أن جبرائيل نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: العليّ الأعلى يقرؤك السلام ويقول: «لكل شيءٍ نسباً ونسبتي «قل هو الله أحد»<sup>(١)</sup>.

وعلة ذلك أن هذه السورة الشريفة لم يرد فيها ذكر للجنة والنار والدنيا والآخرة والمآكل والمشارب، ولا حتى للحلال والحرام وغير ذلك، بل كانت تتحدث عن التوحيد الخالص ووصف الله عزّ وجل فقط، عاريةً عن جميع العوارض والخصائص ومتعلقات الدنيا والآخرة ولهذا وُسمت بأنها نسبة الرب، وكل إنسان قرأ هذه السورة المباركة بإيمانٍ وإخلاصٍ واقعيين ليس له هدف إلا مضمون هذه السورة المباركة فقد انتسب إلى الله ذي الجلال، ونسي كل ما دونه، وهذا طبعاً من خصائص أولياء الله، ولا يمكن للناس العاديين وحتى أكثر من العاديين الوصول إلى هذا المقام المنيع.

ومن هنا يظهر كلام رسول الله صلى الله عليه وآله لأمر المؤمنين عليه السلام حينما قال له: «يا علي ما مثلك في الناس إلا كمثل «قل هو الله أحد» في القرآن...»<sup>(٢)</sup> أي كما أن سورة «قل هو الله أحد» مبيّنة لتوحيد الله من أولها إلى آخرها، فكذلك وجودك يا علي من أول

(١) الدر المنثور: ٦٧٥/٨.

(٢) تفسير البرهان: ٥٢٢/٤، ح ٢٤.



حياتك إلى آخرها هو تجلُّ للتوحيد وبقاء له، ولم يكن في حياته سلام  
الله عليه آية شائبة في الدنيا والآخرة أو الجنة والنار أو غيرها.

وحقاً من يمكنه أن يضاهي رجلاً وُلِدَ لِدِينِ اللهِ و«لِلَّهِ» حتى  
استشهد في سبيل الله و«لِلَّهِ» عزّ وجلّ؟! .

إن عبادة علي عليه السلام كانت كلها لله عزّ وجلّ، كما يقول:  
إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك بل وجدتك أهلاً  
للعبادة فعبدتك<sup>(١)</sup>.

وعندما بات علي عليه السلام في فراش رسول الله صلى الله عليه  
وآله لينقذ حياته من خطر الموت الحتمي والشهادة على أيدي جهال  
قريش - وكما يقال إنه كان فدائي النبي صلى الله عليه وآله - كان ذلك  
أيضاً لله عزّ وجلّ، وقد نزلت فيه آية قرآنية وهي قوله تعالى: ﴿ومن  
الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله...﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد أجمع جمهور المفسرين من أهل الخاصة والمحققين  
والمنصفين من مفسري العامة ومنهم «الموفق بن أحمد الخوارزمي» في  
«المناقب» و«الحمويني» و«الثعلبي» في تفسيرهما و«ابن عقبة» في  
ملحمته و«أبو السعادات» في «فضائل العترة الطاهرة» و«الغزالي» في  
«إحياء العلوم» أن هذه الآية المباركة نزلت في ليلة المبيت في شأن  
أمير المؤمنين علي عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

(١) بحار الأنوار: ١٥/٤١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

(٣) تنابيع المودة: ٩٠/١.

وعندما بقي علي عليه السلام ثلاثة أيام جائعاً وقد أعطى غذاءه للمسكين واليتيم والأسير، كان ذلك طلباً لرضا الله عز وجل وقد نزلت فيه آية قرآنية وهي قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ \* إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً ﴿<sup>(١)</sup>.

وقد نزلت هذه الآية المباركة في شأن علي وأهل بيته عليهم السلام باتفاق الفريقين<sup>(٢)</sup>.

وعندما كان علي عليه السلام يضرب بالسيف كان ذلك لله ولدين الله فقط وحتى عندما جلس عليه السلام في داره وترك حقه القطعي، إنما فعل ذلك لرضا الله ولبقاء الإسلام.

وعندما قَبِلَ علي عليه السلام الخلافة بعد أن جلس في داره خمساً وعشرين سنة وفي ذلك الزمان الحرج والحساس فإنه كان أيضاً طلباً لرضا الله عز وجل.

وفي آخر حياته المليئة بالتوحيد قال: «فزت ورب الكعبة»<sup>(٣)</sup>.

لقد وُلِدَ عليه السلام في بيت التوحيد (الكعبة) وفتح عينيه على وجه التوحيد (رسول الله صلى الله عليه وآله) واستشهد في بيت التوحيد (مسجد الكوفة) لبقاء التوحيد.

(١) سورة الدهر، الآية: ٨ و ٩.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ٢٤٤/٣٠. وتفسير البرهان: ٤١١/٢٩.

(٣) كان ذلك عندما ضربه ابن ملجم - لعنه الله - على رأسه الشريف في مسجد الكوفة، وهو يهوي إلى السجود، وقد كان مختبئاً خلف الأسطوانة، فقال علي عليه السلام: فزت ورب الكعبة.  
راجع ينابيع المودة: ١٦١/١.

إن سورة «الإخلاص» هي شرح للإخلاص، أما علي عليه السلام فهو الإخلاص نفسه!

وسورة «التوحيد» هي شرح للتوحيد، أما علي عليه السلام فهو التوحيد نفسه!

إن قلبي ليعجز عن توضيح وشرح هذه الحقيقة التوحيدية الجميلة، ولذا سأضعه جانباً بكل حياء وخجل وأطأطأء رأسي معظماً ومستسلماً أمام كل هذه العظمة والكبرياء وأختتم البحث.

## ٨ - الغفران للأموات :

خواص القرآن: روي عن ثامن الأئمة علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من مرّ على المقابر وقرأ «قل هو الله أحد» عشر مرات ثم وهب أجره للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «من قرأها وأهداه للموتى (أي الثواب) كان فيها ثواب ما في جميع القرآن»<sup>(٢)</sup>.

## ٩ - الأمان من أخطار الأسفار:

الدرّ المنثور: روى ابن النجار في تاريخه عن أمير المؤمنين عليه

(١) تفسير البرهان: ٥٢٣/٤، ح ٢٧، عن خواص القرآن عن صحيفة الرضا عليه السلام.

(٢) تفسير البرهان: ٥٢٣/٤ ح ٢٦.

السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من أراد سفرأ فأخذ بعضادتي منزله فقراً إحدى عشرة مرة «قل هو الله أحد» كان الله له حارساً حتى يرجع»<sup>(١)</sup>.

## ١٠ - المساواة مع جميع الكتب السماوية:

ابن بابويه: روى بإسناده عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: من قرأ «قل هو الله أحد» مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن، وثلث التوراة، وثلث الإنجيل، وثلث الزبور<sup>(٢)</sup>.

الدر المنثور: روى الحافظ أبو محمد الحسن بن أحمد السمرقندي في فضائل «قل هو الله أحد» عن ابن عمر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من قرأ «قل هو الله أحد» فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأ «قل هو الله أحد» مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأ «قل هو الله أحد» ثلاث مرات فكأنما قرأ جميع ما أنزل الله»<sup>(٣)</sup>.

## ١١ - تسكين ألم العين:

خواص القرآن: روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ... ومن قرأها على الرمء سكنه الله وهدأه بقدرة الله<sup>(٤)</sup>.

(١) الدر المنثور: ٦٧٥/٨.

(٢) تفسير البرهان: ٥٢١/٤، ح ١٣.

(٣) الدر المنثور: ٦٧٦/٨.

(٤) تفسير البرهان: ٥٢٣/٤، ح ٢٦، عن خواص القرآن.

وبشكلٍ عام لدينا شواهد كثيرة في كتب الشيعة وأهل السنة تتحدث عن معالجة جميع الأمراض وخصوصاً معالجة الأمراض الروحية بواسطة كتابة أو قراءة القرآن الكريم والأدعية المأثورة عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وخصوصاً تربة سيد الشهداء سلام الله عليه، وهذه الرواية واحدة منها.

إن أيسر الكتب وصولاً إليها في هذا المجال هو كتاب «مفاتيح الجنان» و«الباقيات الصالحات» للمرحوم «الشيخ عباس القمي» رضوان الله عليه والموجود في أغلب البيوت.

وقليلاً ما توسل أحد بالقرآن الكريم أو بأحد المعصومين عليهم السلام - وفي الحقيقة شفّعه لدى الله عزّ وجل - من أجل معالجة الآلام الظاهرية والباطنية ولم يصل إلى نتيجة، حتى وإن كان هذا المتوسل من اتباع الديانات والمذاهب الأخرى فإنه لا يحرم أيضاً من هذا الفيض وهذه الموهبة الغيبية التي فيها جانب من الكرامة وأحياناً من الإعجاز.

وهنا خطر بذهن كاتب هذه السطور - بتداعي المعاني - موضوع سأذكره من باب التذكير للأخوة والأخوات من القراء الأعزاء، وخصوصاً بعنوان الشكر لله عزّ وجل وإثبات إعجاز تربة كربلاء المقدّسة.

أتذكّر في الأيام التي كنت ساكناً فيها في مدينة تبريز أن أحد شباب العائلة قد أصيب بمرض روحي غامض، ولشدة مرضه فقد الحالة الطبيعية لأصابه وبعض أعضاء بدنه، فتغيّر شكلها، وتم الرجوع إلى أطباء ذلك الزمان الحاذقين، واستعملت أدوية كثيرة ولكن

بقي الأمر بلا فائدة، وأخذ مرضه يشتدّ يوماً بعد يوم حتى يئس جميع الأطباء من علاجه .

وفي إحدى ليالي شهر محرم الحرام وبعد الغروب وأداء فريضتي المغرب والعشاء ذهبت لعيادة ذلك الشاب فوجدته في حالة صحية سيئة جداً، ورأيت أن مرضه ذاك قد وصل إلى أشد درجاته وهو يتحمل العذاب الشديد، فاحتملت أنه لو استمر به الحال كذلك فستبقى معاناته حتى الصباح .

لقد آلمتني رؤيته على هذه الحالة بشدة وعمّ وجودي الغمّ الشديد - وكنت قد رأيت من آثار أهل البيت عليهم السلام أنّ من ملئ قلبه بالحسرة، وبكى من أعماق قلبه مع خالص النية على مظلومية سيّد الشهداء عليه السلام، فإنّ غمّه سينجلي عن قلبه - ولم يعد لديّ القدرة على التحمل فنهضت وقصدت المسجد المجاور لمنزلنا حيث كانت تقام فيه مجالس العزاء في ليالي شهر محرم الحرام .  
لذكر مصائب مظلوم كربلاء سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام .

وبعد أن صعد أحد الخطباء المنبر وقال: «السلام عليك يا أبا عبد الله» ذكر لنا ومن دون أية مقدّمة أنّ رجلاً كان لديه مريضٌ لم تنفعه مراجعة الأطباء، وقد عجزوا عن علاجه، فحلّ اليأس في قلبه، فتوجه إلى قبلة الحاجات إمام زمانه الإمام الصادق عليه السلام، وشكا إليه الحال وسأله الشفاعة إلى الله عزّ وجل في شفاء مريضه .

فمكث الإمام قليلاً ثم قال وعينه تغصّ بالدموع ما معناه: أعندك تربة جدي الحسين عليه السلام في المنزل؟

فقال: نعم يا بن رسول الله.

فقال عليه السلام ما مضمونه: ضع جزءاً منها في ماءٍ طاهر وأسقه فسيشفى ببركتها إن شاء الله تعالى.

ثم قال ما مضمونه: إذا كان لديكم مريضٌ فاعرضوه على الأطباء فإن لم يشفَ ويئستم فإلينا، فإن دواء عللكم التي لا علاج لها عند آل محمد عليهم السلام.

وعند سماعي لرواية الخطيب هذه، أصبحت كالذي استيقظ من نومه، فنهضت من مكاني بعد انتهاء المجلس. وذهبت إلى الدار وأخرجت مقداراً قليلاً جداً من تربة الحسين عليه السلام كنت أحتفظ بها في منزلي، ووضعتها في نصف قده شاي وخلطتها مع الماء، ثم أخذتها إلى المريض، فلما أحس بقدمي نظر إليّ بعينين يائستين ونصف مغليقتين.

قلت: كيف حالك يا عزيزي؟

قال: كما تراني!

قلت: لقد جئتك بدواء ستتناوله الآن، فتشفى ببركته إن شاء الله تعالى وستنهض غداً من فراش مرضك بعافيةٍ ونشاط لتذهب إلى المدرسة.

ثم ناولته ذلك الماء الشافي فشربه. وأقسم بصاحب تلك التربة

المقدّسة أن ذلك الشاب نهض من فراش مرضه في تلك الليلة قبيل الصبح فأدى صلاة الصبح ثم تناول طعام الإفطار بشهيةٍ وذهب إلى مدرسته بنشاطٍ واجتهادٍ كاملين .

وهو إلى اليوم وبعد مرور خمس وعشرين سنة على ذلك التاريخ يعيش حياته بنشاط تام، وهو الآن متزوج وله عدة أولاد، ويتمتع بصحة وعافية ببركة التربة المقدّسة للحسين عليه السلام، والحمد لله رب العالمين .

وقد روي في فضل تربة أبي عبد الله الحسين - أرواحنا فداء - المقدّسة، عن المعصومين عليهم السلام: إنّ الحور العين إذا أبصرن بواحدٍ من الأملاك يهبط إلى الأرض لأمرٍ ما يستهدين منه السبح والتربة من طين قبر الحسين عليه السلام<sup>(١)</sup> .

ولا يترك القول إن الاستشفاء بتربة الحسين عليه السلام أو بالآيات القرآنية أو بالأدعية المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام - كما ورد في حديث الإمام الصادق عليه السلام في الرواية أعلاه - كان بعد أن يئس الأطباء من معالجة المريض، كما أن شرط تأثيره هو التوجّه والإخلاص والإيمان الكاملين، وأي عملٍ خالٍ من التقوى والطهارة الظاهرية والباطنية فليس له اعتبار عند الله عزّ وجل، وليس له ثمر للإنسان .

يقول الله عزّ وجل في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) بحار الانوار: ١٣٤/٩٨ .

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٧ .



وهنا من باب التأييد وزيادة الوضوح لا بد أن أذكر هذه القصة:

ذكروا أن مريداً لأحد العلماء الأعلام ذهب إليه وقال: يا سيدي! رأيت في أحد كتب الأدعية دعاءً ذكر أن كلَّ من يقرأ هذا الدعاء ستقضى حاجته، وقد قرأته مراراً دون أن أرى أثراً لذلك.

فأجابه ذلك العالم الربّاني قائلاً: عزيزي! لقد ورد في ذلك الكتاب أن (الذي) يقرأ هذا الدعاء تقضى حاجته، ولهذا (الذي) مواصفات خاصة يستحق بها استجابة الدعاء وليس لغيره فكن ذلك (الذي) ثم اقرأ الدعاء ومن الطبيعي أنك ستصل إلى ما تريد.

## ١٢ - الحفظ من الذنب:

تفسير روح البيان: روي عن مولى الموحّدين أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «من قرأ «قل هو الله أحد» بعد صلاة الفجر إحدى عشرة مرة لم يلحقه ذنب يومئذ ولو اجتهد الشيطان»<sup>(١)</sup>. وذكر هذا الحديث أيضاً المرحوم «الشيخ جعفر كاشف الغطاء» في كتابه «كشف الغطاء»<sup>(٢)</sup>.

## ١٣ - العصمة من وساوس الشيطان:

الدرّ المنثور: ذكر الحافظ أبو محمد الحسن بن أحمد

(١) تفسير روح البيان: ١٠/٥٤٠.

(٢) كشف الغطاء: ٢٤٨.

السمرقندي بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله في فضيلة سورة «قل هو الله أحد» المباركة أنه قال: «من واظب على قراءة «قل هو الله أحد» وآية «الكرسي» عشر مرّات في ليلٍ أو نهار استوجب رضوان الله الأكبر، وكان مع أنبيائه وعصم من الشيطان»<sup>(١)</sup>.

لا يبعد أن تكون هذه الرواية أو أمثالها محلّ شك أو تعجب أو - والعياذ بالله - مورد استهزاء بعض الجاهلين، فيقولون بلهجة الاعتراض: إذا ما أسهل دخول الجنة!!

نجيهم على ذلك - وكما ذكرنا سابقاً - أنّ تأثير هذه الآيات أو الأدعية مشروط بالتقوى والطهارة الظاهرية والباطنية، والقبول عند الله عزّ وجل، فليس الأمر بهذه البساطة التي يتصورونها.

إضافةً إلى أنه يلزم أيضاً حصول التوفيق لأداء هذه الأعمال والمداومة عليها، فما أكثر من يقرأ هذه الروايات ولكنه لا يوفّق للعمل بها.

فالمشهور أنّ يزيد بن معاوية - لعنة الله عليه - بعد أن ارتكب جنايته الكبرى بقتل بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وأولاده وأصحابه، وأسر أهل بيته المظلومين، وقد تبرأ الناس وحتى عائلته من هذا العمل الوحشي، فقد أبكى عيون الناس وجرح قلوبهم في هذا المصائب العظيم على مدى أربعة عشر قرناً، بعد كل ذلك أظهر الندامة وطلب من الإمام السجّاد عليه السلام أن يعلمه دعاءً يتوب فيه إلى الله عزّ وجل، فعلمه عليه السلام الدعاء.

(١) الدر المنثور: ٦٧٦/٨.

ولما استوضحت زينب الكبرى الإمام السجّاد عليه السلام عن ذلك، وكيف يعلم شخصاً بهذه الدرجة من الإجمام، دعاء التوبة!

أجابها الإمام السجّاد عليه السلام بما مضمونه: نحن لا نردّ أحداً حتى أعدائنا إلاّ أني أخبرك ليطمئن قلبك: إنه سوف لا يوفق إليه<sup>(١)</sup>.

وفعلاً لم يوفق يزيد إلى قراءة الدعاء ولسوء عاقبته سقط من عرش سلطنته إلى الدرك الأسفل من الجحيم بوجه أسود لعنة الله عليه وعلى من تبعه.

## ١٤ - الإسم الأعظم:

الدر المنثور: روى عبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن ماجه وابن الضريس، عن بريدة أنه قال: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد ويدي في يده، فإذا رجل يصلي يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لقد دعا الله بأسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دُعي به أجاب»<sup>(٢)</sup>.

(١) مسموع من اساتذة الحديث.

(٢) الدر المنثور: ٦٧٨/٨.

# تفسير مفرد آيات البقرة المباركة

## قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

قد مرّ تفسير «الإستعاذة» و «البسمة» ضمن تفسير سورة «الفتاحة» المباركة ولا نجد داعياً لتكرار ذلك.

### تفسير كلمة «قل»

كلمة «قل» فعل أمر حاضر من باب «نَصَرَ يَنْصُرُ» ومن مادة «قَوْلَ» لأنّ «قال يقول» أجوف واوٍ باصطلاح علماء علم الصرف ومصدره على وزن (قول، قال، قيل، قوله، مقال ومقاله).

وقد ذكر علماء اللّغة أكثر من خمسة عشر معنى لهذه الكلمة، أمّا مراد الله عزّ وجل من كلمة «قل» في هذه السورة المباركة فهو المعنى المشهور لها وهو الإخبار.

وكما قلنا في الصفحات الماضية، إنّ هذه الكلمة المباركة - أي كلمة «قل» - وإن جاءت خطاباً لرسول الله صلى الله عليه وآله، إلّا أنّها ذات بعدٍ عمومي، فهي من الآيات ذات المورد الخاص إلا أنّ متعلقها عام، فكأنها خطاب لجميع مسلمي العالم.

أي إن أي مسلم يقرأ هذه السورة، فكأنما يوجه خطابه للمستمع، فيقول له: «قل هو الله أحد».

وكل مسلم عند تلاوته لهذه السورة المباركة فكأنه يخاطب العالم وأهل العالم وحتى السماوات والأرض، والشمس والقمر، والنجوم والبحار والصحاري، وكل ما فيها، وبعبارة أخرى يخاطب جميع الكائنات فيقول: «قل هو الله أحد»، فهو شعار الإسلام العالمي والخالد، وعلى الجميع أن يقولوا: «هو الله أحد» كقوله صلى الله عليه وآله: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا».

وفي الواقع، إن هذا الشعار القاطع لا يختص بالمسلمين، بل يشمل كل ما في عالم الإمكان، فالجميع يقول بلسان التكوين أو بلسان التشريع: «قل هو الله أحد». وقد قال الله عز وجل في قرآنه الكريم في هذا الشأن: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾<sup>(١)</sup>.

إن مراد الله عز وجل في هذه الآية المباركة وسائر الآيات الأخرى المشابهة لها من تسبيح الموجودات هو التسبيح التشريعي، فلو كان المقصود هو فقط التسبيح التكويني لأمكن لنا إدراكه، في حين أن الله عز وجل يقول: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾.

فإذاً، لهذا التسبيح حالة تشريعية إضافة إلى الحالة التكوينية، أي إن جميع الموجودات تسبح الله عز وجل، أمام وحدانيته وعظمته، كلُّ بلغته الخاصة.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

وبعبارة أوضح، إن كل الموجودات تقول بلغتها الخاصة: «قل هو الله أحد» وبما أننا لا نعرف لغتها، فلا يمكننا أن نفقه تسبيحها التشريعي.

وكأن كل موجود يقول - في جميع حالاته - بلسان التكوين والتشريع أمام عجائب الخلق، ولطائف الخليقة، وسر الوجود، مخاطباً جميع الكائنات: «قل هو الله أحد».

فإذاً كلمة «قل» في بداية سورة «التوحيد» المباركة يجب تلفظها ضمن السورة لسببين:

الأول: لكي يُحفظ سياق الآية المباركة ولا يغيّر، فتتلى السورة كما أنزلها الله عزّ وجلّ.

الثاني: لكي يكرر هذا الشعار - وهو شعار عظيم وعالمي وخالد للإسلام ويشمل عالم الملك والملكوت وكل ما سوى الله عزّ وجلّ - أكثر فأكثر «وحده لا إله إلا هو».

وبملاحظة ما ذكرناه أعلاه، يتضح الرد على من يقول: إن الخطاب في كلمة «قل» في أول سورة «التوحيد» المباركة إنما نزل مرة واحدة على رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو موجّه إليه، وعلى هذا فإن تكرارنا لهذه الكلمة «قل» عند تلاوة سورة «التوحيد» المباركة يكون زائداً، فيكفي قول «هو الله أحد».

ومن الواضح أن قراءة هذه السورة المباركة، إضافة إلى ما فيها من اعتراف وإقرار بوحدانية الله عزّ وجلّ، لها بعد تبليغي وإرشادي أيضاً، وهي الانسجام مع كل مظاهر الوجود في النطق بكلمة التوحيد.

وكان قارىء هذه السورة المباركة يقول: إني أقرّ بوحدانية الله عزّ وجلّ، فأنتم أيضاً أيها المستمعون من الموجودات المحسوسة وغير المحسوسة في جميع أنحاء عالم الوجود كلكم، وكل واحدٍ يكلف الآخر أن يقول: «قل هو الله أحد» فاملأوا أعماق عوالم الخلق بهذا النداء التوحيدي الصارخ.

### تفسير كلمة «هو»

تتكوّن هذه الكلمة من حرفين هما: «الهاء والواو». «الهاء» ضمير غائب، أما «الواو» فعلامه للمفرد المذكر الغائب، وهي بجملتها تعتبر عن المذكر الغائب. وكانّ كلمة «هو» جواباً للمشركين أو لقوم من اليهود والنصارى، أو أيّ متسائلٍ قد سأل رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً: إن هذه الأصنام وعُزير والمسيح والفراعنة والطواغيت... وغيرهم هم آلهتنا، أما أنت يا محمد فصف لنا إلهك أي «إله الإسلام».

فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وآله على لسان الوحي الإلهي: «قل هو الله أحد».

أي إن إله الإسلام بل إله العالم كله يختلف عمّا تعبدون من المشهودات والملموسات والمحدودات والتي يشار إليها بكلمة «هذا» أما الله جلّ وعلا فغائب عن الأبصار والحواس في عين ظهوره، و «هو الله أحد».

إن إله الإسلام أنار جميع آفاق الكائنات بظهوره ولكن لفرط

ظهوره كان خفاؤه، كالشمس (وله المثل الأعلى) فهي أوضح وأنور من جميع الموجودات فشعاعها عمّ جميع الكائنات ولكن لا تستطيع أي عين رؤيتها!

فإذا إله الإسلام «هو» وليس «هذا» و «هو» في عين غيابه أقرب إلينا من كل «هذا» الحاضر.

يقول المرحوم «الحاج الملا هادي السبزواري» في منظومته:

يا من هو اختفى لفرط نوره      الظاهر الباطن في ظهوره<sup>(١)</sup>  
«هو الظاهر هو الباطن» وحتى العقل والوهم والخيال وسائر المشاعر أيضاً عاجزة عن إدراك كنه ذاته «هو» إذ أنها في منتهى درجات البطون، أما آثاره فهي في أعلى درجات الظهور، يقول الله عزّ وجل في القرآن الكريم في خصوص بطون الذات: ﴿ لا تدركه الأبصر وهو يدرك الأبصر ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويقول في خصوص ظهور الآثار والصفات: ﴿ فأينما تولّوا فثمّ وجه الله ﴾<sup>(٣)</sup> والمراد في هذه الآية المباركة من «وجه الله» عزّ وجل هو آثاره وصفاته التي تملأ جميع زوايا عالم الخلقة.

وعلى هذا فإنّ ابتداء جواب رسول الله صلى الله عليه وآله وأله لأولئك الذين سألوه أن يصف لهم ربه بكلمة «هو» إشارة إلى أنه إله

(١) وقال أحد الشعراء:

يا من أراه ولست أعرف ما هو      ما واضح ما مبهم إلا هو  
يخفى فأصبح منكراً لوجوده      ورغم إنكاري أعود أراه

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٥.



محمد صلى الله عليه وآله، وإله الإسلام، بل إله جميع العالم (رب العالمين) وكل الكائنات من آثاره جل وعلا، أما ذاته المقدسة فهي غائبة ومستورة عن جميع الأبصار والبصائر، وما يمكن أن يدرك منه هو فقط آثاره جلّ وعلا.

واعتبر بعض علماء التفسير كلمة «هو» في أول سورة «التوحيد» المباركة ضمير شأن، وقالوا: إن ضمير الشأن يستعمل عندما يراد الإخبار بأمرٍ مهم بعده، وخلصوا إلى أن الأمر المهم هنا هو (الله أحد) وكلمة «هو» جاءت قبله كضمير شأن.

وأقول: إن الجميع يعترف أن عبارة (الله أحد) هي خبر مهم، بل هي أهم وأخلد خبر سمعه العالم، وعلى خلاف سائر الأخبار فهو دائماً جديد لا يُبلى، بل يتجدد يوماً بعد يوم ولحظة بعد لحظة.

ولكن ليس هذا دليلاً على أن كلمة «هو» وهي من أعظم الأسماء الإلهية ضمير شأن، فتكون من الناحية الأدبية كلمة زائدة تقريباً وليس لها معنى مستقلاً.

إن كلمة «هو» المباركة هي كلمة مستقلة وجامعة لجميع صفات الجمال والجلال الإلهي، وكل ما هو موجود قد أودع في هذه الكلمة «هو»، وهي تشتمل على سرّ التوحيد وحقيقته.

وتأييداً لهذا الأمر نذكر لكم روايةً عن مولى الموحّدين أمير المؤمنين علي عليه السلام:

ابن بابويه: روى بإسناده، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يكرّر في وقعة صفين في ميدان الحرب هذه الكلمات: «يا هو يا من لا

هو إلا هو، اغفر لي وانصرنني على القوم الكافرين»<sup>(١)</sup>.

## نكات لطيفة

١ - إن حرف الهاء يرسم على شكل دائرة (٥) وبما أن خطّ الدائرة هو من الخطوط غير المتناهية، فليس له بداية ولا نهاية كبقية الخطوط (المستقيم والمنحني والمنكسر) وذلك إشارة إلى أن الذات الإلهية المقدّسة أزلية وأبدية غير متناهية.

٢ - إن عدد حرف الهاء بحساب الأبجد هو خمسة (٥) وتكتب أيضاً على شكل دائرة وهذه إشارة أيضاً إلى أن صفات الله عزّ وجلّ كذاته غير متناهية، لأن صفات الله هي عين ذاته - كما هو مقرّر في محله - فلا تنفصل صفاته عن ذاته، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام في «نهج البلاغة»: «كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه»<sup>(٢)</sup>. أي إن صفات الله لا يمكن أن نتصورها زائدة عن ذاته بل هي عين ذاته.

٣ - إن مخرج حرف الهاء عند النطق هو الصدر، والصدر محل القلب، وهذا إشارة إلى أن الذات الإلهية المقدّسة هي كالأسرار المودعة في الصدور، سرّ خفيّ وسرّ مطلق غير قابل للدرك. وأيضاً إشارة إلى أن الأرض والسموات لا تسعه جلّ وعلا،

(١) تفسير البرهان: ٥٢٥/٤، ح ٩.

(٢) نهج البلاغة: ٧٠، الخطبة: ١.

ولكن وَسِعَهُ قلب عبده المؤمن، ووسع ظهور أنواره، كما في هذا الحديث الشريف: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن».

وطبعاً ليس المراد هو الوسع المكاني للذات، بل للتوحيد ومحل ظهور أنوار الحق جلّ وعلا.

٤ - إن حرف الواو (و) الذي هو إشارة للغائب ورد في كلمة «هو» بعد حرف الهاء، وعدده بحساب الأبجد ستة (٦) وهو إشارة إلى المراتب الست للوجود وهي عبارة عن:

- ١ - عالم الهاهوت .
- ٢ - عالم اللاهوت .
- ٣ - عالم الجبروت .
- ٤ - عالم الملكوت الأعلى .
- ٥ - عالم الملكوت الأسفل .
- ٦ - عالم الناسوت .

وقد أشار الله عزّ وجل في مواضع عديدة في القرآن الكريم إلى هذه العوالم الست فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد ذكرنا في تفسير هذه الآية الشريفة - كما مرّ سابقاً - أن مراد الله عزّ وجل في الآية المذكورة من كلمة «الأيام» - وهي جمع يوم -

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣.

ليس الأيام المعروفة والتي يتكوّن كلٌّ منها من أربع وعشرين ساعة، وتعرف في اصطلاح الفقهاء بأنها من طلوع الفجر الصادق وحتى غروبه الشرعيّ. لأن الجميع يعلم أن اليوم والليلة والشهر والسنة وغيرها من الأوقات ناتجة كلها من حركات الكرة الأرضية ودورانها حول نفسها وحول الشمس. وفي بداية الخلق وقبل أن تخلق السماوات والأرض لم تكن هناك شمس ولا أرض ليتكوّن من حركتها اليوم والليلة والشهر والسنة.

فلعل المقصود في الآية المباركة أعلاه من كلمة «الأيام» هي تلك المراتب والحدود الوجودية.

أي إن السماوات والأرض خلقتا بستّ مراتب وجودية، فجميع العوالم في مراتب ستّ، كما هو الحال في الدنيا حيث لها ستّ مراتب أيضاً وهي:

١ - مرتبة الجماد.

٢ - مرتبة النبات.

٣ - مرتبة الحيوان.

٤ - مرتبة الجن.

٥ - مرتبة الملائكة.

٦ - مرتبة الإنسان.

وأما العرش فهو عبارة عن أسمى مقام في الخلقة، وهو مرتبة الحقيقة المقدّسة لمحمدٍ وآل محمد عليهم السلام الذين وضع أمر تدبير العالم وأهل العالم - سواء في الدنيا أو في الآخرة - بأمر الله تعالى بأيديهم الكفوءة، وتعرف هذه المراتب الستّ المذكورة أعلاه في

اصطلاح حكمة أهل البيت عليهم السلام بالسلسلة الطولية.

إن كاتب هذه الكلمات «المؤلف» قد بدأ تفسير وشرح مفهوم الآية المباركة المذكورة أعلاه بكلمة «لعلّ» وعلته أنني لم أرَ في كلمات المعصومين عليهم السلام ذلك بالترتيب المذكور. ولذا لا أملك الإطمئنان بصحته أو سقمه، وما ذكرته فيه جانب الاحتمال والله العالم.

### بدائع من كلمة «هو»

١ - إن من عجائب كلمة «هو» أن عدد حروف هذه الكلمة الطيبة بحساب الأبجد هو (١١) فإذا أعطي بسطاً وترفيعاً فإنه يطابق حروف الإسم المبارك (عليّ) والذي هو (١١٠) وهو من الأسماء الحسنى، بل هو الإسم الأعظم. وعلى العكس فإذا أعطي عدد حروف اسم (علي) بسطاً وتنزيلاً والذي يقال عنه في علم الأعداد والحروف «التكسير» فإنه سيطابق عدد حروف «هو» وهنا نحصل على نتيجة بديعة وعجيبة جداً وهي:

«هو» في مقام الترفيع تساوي «علي»، و «علي» في مقام التنزيل يساوي «هو».

وهذين الإسمين «علي» و «هو» من أسماء الله الحسنى، وقد ذكرهما الله عزّ وجل في آيات كثيرة من القرآن الكريم متقارنين فقال: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٠.

العظيم ﴿<sup>(١)</sup>﴾ ﴿إنه عليّ حكيم﴾ ﴿<sup>(٢)</sup>﴾ وإنه في أمّ الكتب لدينا لعلي  
حكيم ﴿<sup>(٣)</sup>﴾. صدق الله العليّ العظيم.

٢ - ومن عجائب كلمة «هو» أيضاً أن عدد هذه الكلمة (١١) لو  
ضرب بنفسه لأصبح (١٢١) وهذا العدد يساوي عدد حروف كلمة (يا  
علي).

٣ - ومن بدائع كلمة «هو» أن الحرف الأول منها وهو «الهاء»  
مخرجه في علم التجويد في أقصى الحنجرة وعمق الفم، ويعتبر أول  
مخرج لحروف الهجاء، ولما كان أداء هذا الحرف من نهاية الحلق  
نجد فيه حالة من الاستتار والبطون والخفاء.

وعلى العكس، فإن الحرف الثاني من كلمة «هو» وهو (الواو)  
مخرجه من بين الشفتين. وهو آخر مخرج من مخارج حروف الهجاء،  
وبما أنه يتلفّظ من بين الشفتين فله حالة من الظهور والشهود، ومن  
هذا نصل إلى هذه النتيجة: «هو الأول هو الآخر - هو الظاهر هو  
الباطن» إشارة إلى الأسماء الأربعة من أسماء الله عزّ وجل.

٤ - ومن عجائب هذه الكلمة الطيبة أيضاً «هو» أن تلفّظها لا  
يحتاج إلى حركة اللسان بل يكفي انقباض وانبساط النَّفْس (الزفير  
والشهيق)، وهذا إشارة إلى أن هوية الله عزّ وجل بذاته، وهو قائم  
بنفسه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء الصباح: «يا من

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥. وسورة الشورى، الآية: ٤.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٤.

دلّ على ذاته بذاته، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته، وجلّ عن ملائمة  
كفّيّاته».

وهو على خلاف هوية سائر الموجودات المرتبطة والقائمة به  
جلّ وعلا (وطبعاً ليس قياماً بذاته بل قياماً بفعله) فجميع الموجودات  
محتاجة في تمام لحظات وجودها أنّا بآنٍ إلى فيوضاته الفعلية، وليس  
هناك موجود مستغنٍ حتى للحظة واحدة عن فيوضات منبع الوجود  
جلّ وعلا: ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم﴾<sup>(١)</sup>.

يقول الشيخ الرئيس «أبو علي بن سينا» في رسالة تفسير سورة  
«التوحيد» بهذا الشأن: «قل هو الله أحد» الـ «هو» المطلق (أي خالٍ من  
الزوائد والعوارض الخارجية والذهنية وحتى الإشارتية) هو الذي لا  
تكون هويّته (أي ذاته وجوهره) على غيره فإن كل ما كان هويته  
مستفادة من غيره فمتى لم يعتبر غيره لم يكن هو هو (بل عدم).

وكل ما كان هويته لذاته (أي لا يبتني على وجود الغير) سواء  
اعتبر غيره أم لم يعتبر فهو هو (أي وجوده أزلي وأبدي غير متناهٍ ولا  
يتناهى أبداً).

ولكن كل ممكن وجوده من غيره، فخصوصية وجوده من غيره  
(أي ليس له استقلال ذاتي) وذلك هو الهوية. فإذا كل ممكن فهويته  
من غيره، والذي تكون هويته لذاته فهو واجب الوجود... إلى آخر ما  
ذكره رحمه الله.

(١) سورة طه، الآية: ١١١.

## « لطيفة عرفانية »

يذكر أهل السلوك والعرفان مراتب ثلاث لذكر الله عزّ وجلّ:  
الأولى: الذكر الجليّ. كقولنا: «يا حي يا قيوم» فإن هذا الذكر  
مهما قرىء بصوت منخفض يظهر على صاحبه أنه ذاكر من حركة فمه  
وشفاهه.

الثانية: الذكر الخفيّ كقولنا: «الله» و«لا إله إلا الله» فخلوهما  
من الحروف الشفويّة لا يعرف أن السالك مشغول بالذكر، لأن  
مخارجها ليست من الشفاه إلا أن يقترب المستمع كثيراً منه، وإلا فلا  
يعرف من ذكره شيء.

الثالثة: الذكر الأخرى؛ وفي هذه الحالة يخطر السالك أسماء الله  
عزّ وجلّ في قلبه، ولا يضعها على شفّته ولسانه وفمه، وفي هذه  
الحالة لا يعرف اشتغاله بذكر الله أبداً.

ولكن وبشكل طبيعيّ وبديهيّ إن السالك في هذه المراتب الثلاث  
للذكر إذا اشتغل بأمرٍ آخر كالحديث والنوم حتى لو كان للحظة  
فستقطع غفلة وانفصال.

وأما الآخرين وفي جميع الأحوال، سواء اشتغلوا بأمرٍ أخرى أو  
لم يشتغلوا، وسواء كان ذلك في اليقظة أم في النوم، فإن ذكر «هو»  
أمر طبيعيّ وفطري لا يقطع أبداً.

وإذا دقت معي قليلاً فستلاحظ عزيزي القارئ أن نفس الإنسان  
عندما ينخفض فإنه يؤدي كلمة «ها» بشكل فطري وطبيعي، وهي من



حروف التنبيه بمعنى انتبه .

وعندما يعود النفس فهو يؤدي «هو» بشكل طبيعي وفطري، فإذا  
في كل نفس تُؤدى كلمة التوحيد «هو» على أي حال طوعاً أو كرهاً  
وبهذه الصورة .. (ها، هو) (ها، هو) (ها، هو).

فالإنسان ومن دون أن يلتفت، عندما يكون غارقاً في أفكاره  
وأشغاله أو يكون في نوم عميق فإنه يؤدي كلمة التوحيد المقدسة في  
وجوده بشكل فطري مع كل نفس يتنفسه (ها، هو).

وهذا النداء الملكوتي التوحيدي (ها، هو) يتكرر في جميع أنحاء  
الوجود وفي كل ذراته كلُّ بما يناسب حاله، وقد ملأ عالم الخلق  
والعمق الأكبر بنغماته الملكوتية.

وهؤلاء الغافلون من البشر هم الذين لا يدركون هذا التوحيد  
العالمي ويغفلون عن نداء فطرتهم التوحيدي .. ﴿ أفغير دين الله يبغون  
وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون ﴾<sup>(١)</sup>  
﴿ يستج لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز  
الحكيم ﴾<sup>(٢)</sup>.

أما منكرو التوحيد والكفار الصمّ البكم العمي السكارى،  
الفاقدون للبصيرة، والغافلون عن نداء التوحيد، والمحرومون منه ومن  
ضمايرهم، فهم أيضاً لا يدركون شيئاً، ولا يتنبهون من نوم غفلتهم  
الثقيل والمهلك.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ١.

وصدق الله العليّ العظيم حين يقول: ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صمّ بكم عمي فهم لا يعقلون﴾<sup>(١)</sup>.

أي أن الكفار وهم منكرو التوحيد صمّ وبكم وعمي عن سماع حقيقة التوحيد، كالحیوان الذي إذا نُودي لا يسمع النداء ولا يدرك معناه.

قال الله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾<sup>(٢)</sup>.

### تفسير لفظ الجلالة «الله»

لقد تمّ تفسير لفظ الجلالة «الله» ضمن تفسير «البسمة» في أوّل سورة «الفاتحة» المباركة.

### تفسير كلمة «أحد» المباركة

- ١ - «أحد» بمعنى الواحد والفرد.
- ٢ - يعتبر أهل اللغة أن «أحد» و «واحد» بمعنى واحد، فقد قال صاحب «القاموس»: الأحد بمعنى الواحد<sup>(٣)</sup>.
- ٣ - أصل «أحد» من ناحية الإعلال «وَحَدَّ» ثم قلبت «الواو» إلى

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٣) قاموس المحيط: ٢٨٣/١.

«همزة» فأصبحت «أحد».

٤ - جاءت كلمة «أحد» في موضعين بمعنى واحد، وهما:

أ - يقال في وصف الله تعالى: هو الواحد، هو الأحد.  
والكلمة بهذا المعنى - أي معنى التوحيد - لا يمكن أن يوصف بها أي موجود إلا الله عز وجل.

ب - ما يرد في أسماء العدد كأن يقال مثلاً: أحد وعشرون وواحد وعشرون.

٥ - نطلق كلمة «أحد» على المذكر والمؤنث.

أ - فللمذكر كما في قوله تعالى: ﴿ ما كان محمدٌ أباً أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾<sup>(١)</sup>.

ب - أما للمؤنث فكما في قوله تعالى: ﴿ ينساء النبي لستن كأحدٍ من النساء إن اتقين ﴾<sup>(٢)</sup>.

وجاءت كلمة «إحدى» مؤنث لكلمة «أحد» كما في قوله تعالى: ﴿ فجاءته إحدىهما تمشي على استحياء ﴾<sup>(٣)</sup>. وهي حكاية عن قدم إحدى ابنتي شعيب إلى موسى عليه السلام تمشي باستحياء.

٦ - كلما جاءت كلمة «أحد» في سياق النفي فسيشمل هذا النفي الجميع، فإذا قيل: ما جاءني أحد، أي نفي مجيء أي إنسان. أما كلمة «واحد» فليست كذلك فلو قيل: ما جاءني واحد، أي لم يأتني شخص واحد، ويفهم من كلامه إمكانية مجيء نفرين أو أكثر مثلاً.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

(٣) سورة القصص، الآية: ٢٥.

٧ - قال بعض علماء التفسير: إن كلمة «أحد» تعني الشيء غير القابل للتجزئة والقسمة، وليس له نظير ومماثل، وهاتين الصفتين لا يمكن تصورهما في غير الله تعالى.

٨ - قال السيد «نعمة الله الجزائري» رحمه الله أن كلمة «واحد» تطلق على الإنسان وغيره أما كلمة «أحد» فتطلق على نوع الإنسان (ذي العقل) فقط.

٩ - إن كلمة «واحد» يمكن استعمالها في الأعداد فنقول: واحد، إثنان، ثلاثة... ولكن لا يمكن أن نقول: أحد، إثنان، ثلاثة... وهذه القاعدة طبعاً ملحوظة في الآحاد وليس في العشرات، وإلا قد ورد في القرآن الكريم: ﴿رَأَيْتَ أَحَدَ عَشَرَ كُوكَبًا﴾<sup>(١)</sup>.

١٠ - «واحد» له ثانٍ أما «أحد» فليس له ثانٍ.

١١ - كتاب التوحيد: رُوِيَ عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: الأحد الفرد المتفرد، و«الأحد» و«الواحد» بمعنى واحد وهو المتفرد الذي لا نظير له، والتوحيد الإقرار بالوحدة... إلى آخر الحديث<sup>(٢)</sup>.

١٢ - كتاب التوحيد: بإسناده عن المقدم بن شريح بن هانئ، عن أبيه قال: إن أعرابياً قام يوم الجمل (حرب الجمل حرب وقعت بين أمير المؤمنين علي عليه السلام والناكثين، وقد ركبت فيها عائشة

(١) سورة يوسف، الآية: ٤.

(٢) التوحيد: ٩، ح ٢.

جمالاً وخرجت بالناس بمساعدة طلحة والزبير على أمير المؤمنين عليه السلام، وأشعلت نار الفتنة بين المسلمين. وكانت نتيجتها حرباً عظيمة في البصرة وانتهت بانتصار أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه وانكسار وهزيمة الناكثين، وقد قتل طلحة والزبير في هذه الحرب. والناكثين من نكث أي تخلف ونقض، وهم أناس نقضوا بيعتهم لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتخلّفوا عن طاعته وانضمّوا إلى جماعة المخالفين) إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين! أتقول إنّ الله واحد؟

قال: فحمل الناس عليه، قالوا: يا أعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسّم القلب؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه فإن الذي يريد الأعرابي هو الذي نريده من القوم.

ثم قال: يا أعرابي! إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام، فوجهان منها لا يجوزان على الله عزّ وجل ووجهان يثبتان فيه.

فأما اللذان لا يجوزان عليه، فقول القائل: واحد، يقصد به باب الأعداد، فهذا مما لا يجوز لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد. أما ترى أنه كفر من قال: ثالث ثلاثة.

وقول القائل: هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز عليه لأنه تشبيه، وجلّ ربّنا عن ذلك وتعالى.

وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه، فقول القائل: هو واحد ليس له في الأشياء شبه كذلك ربّنا.

وقول القائل: إنه عزّ وجلّ أحديّ المعنى، يعني به أنه لا ينقسم في وجودٍ ولا عقلٍ ولا وهمٍ كذلك ربنا عزّ وجلّ<sup>(١)</sup>.

وبنقلنا لكلمات المعصومين عليهم السلام في هذا المبحث اتّضح معنى التوحيد إلى حدّ يمكن دركه وفهمه. ويجب القول إنّ في حكمة أهل البيت عليهم السلام وعقيدتنا نحن الشيعة الإثني عشرية أن للتوحيد مراحل أربع كما يلي:

### ١ - توحيد الذات:

أي إن ذات الله عزّ وجلّ المقدّسة واحدة، وليس له شريك، وهو منزّه عن الإحتياج للآخرين، ولا يحتاج إلى أية مساعدة من أيّ موجودٍ ولأي سببٍ كان، ولم يلد ولم يولد، وذاته فوق التعقل وتفكير المخلوقات دائماً وفي كل مكان.

وقد وصف الله عزّ وجلّ توحيد الذات في القرآن الكريم فقال: ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين أثنين إنّما هو إله واحد فإيتي فأرهبون﴾<sup>(٢)</sup>.

### ٢ - توحيد الصفات:

وهو أن ليس لله الواحد الأحد شريك في صفاته أيضاً، وصفاته عين ذاته المقدّسة، ولا يشاركه فيها أحد. وهذه الصفات في اصطلاح حكمة أهل البيت عليهم السلام صفات ذاتية أو صفات ثبوتية، وهي عبارة عن الواحد الحيّ القادر العالم السميع البصير القديم، وهذه

(١) التوحيد: ٨٣، ح ٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٥١.

الصفات ثابتة لله عز وجل دائماً ولا تنفك عنه أبداً، وهي عين ذاته .

ويعتبر البعض صفة (المتكلم) و (المريد) من صفاته الذاتية، وهذه العقيدة خطأ محض، فهي تخالف الآيات القرآنية والأحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام ولا تتفق أيضاً مع قواعد الحكمة، بل إن هاتين الصفتين - أي (المتكلم والمريد) - هما من الصفات الفعلية لله عز وجل .

### الصفات الذاتية والصفات الفعلية:

ورد ذكر صفات الله عز وجل في حكمة أهل البيت عليهم السلام على نحوين:

الصفات الذاتية: وهي كما قلنا عين ذاته جلّ وعلا، ولا تدخل عليها أدوات النفي أبداً، فإن ذلك موجب للكفر والإلحاد. فعلى سبيل المثال لا نستطيع أن نقول: ليس بعالم أو ليس بقادر - والعياذ بالله - وأمثال ذلك. وفرض أيّ من هاتين الحالتين لله عز وجل العالم والقادر كفر مطلق.

وكذلك الأمر في سائر الصفات الثبوتية الذاتية، هذا بالإضافة إلى أن نفي صفة من هذه الصفات التي هي عين ذاته جلّ وعلا يوجب نفي ذاته عز وجل، وهذا على خلاف صفاته الفعلية، فهي لا ترتبط بالذات الإلهية بل هي أثر لأفعاله، ولا مانع من ورود حروف النفي عليها من الناحية العقائدية، كما في الصفتين المذكورتين (المتكلم والمريد) فإننا نشاهد أن الله عز وجل في القرآن الكريم قد أورد لنفسه حرف النفي على صفة الإرادة (المريد) بعدة آيات، وهي كما يلي:

- أ - ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ﴾<sup>(١)</sup> .  
 ب - ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾<sup>(٢)</sup> .  
 ج - ﴿ أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ﴾<sup>(٣)</sup> .

فلاحظ في هذه الآيات الثلاث أن الله عزّ وجل قد نفى عن نفسه الإرادة في هذه الموارد الخاصة: (ما يريد)، (لا يريد)، (لم يرد)، والحروف (ما، لا، لم) من أدوات النفي الصريحة باتفاق جميع علماء اللغة، ففي هذه الحالة لو كانت صفة (المريد - الإرادة) من صفات الله الذاتية للزم لنفيها نفي الذات الإلهية أيضاً، ونفي الذات الإلهية مساوٍ للكفر والإلحاد (أعاذنا الله من زلة الأقدام في العقائد).

وكذلك إن نفي الإرادة عن الله عزّ وجل لا يوجب النقص في جلاله وكبريائه على خلاف الصفات الذاتية - بالمعنى الذي شرحناه - وتأتي سائر الصفات الفعلية الإلهية جميعاً في سياق الإثبات، كما تأتي في سياق النفي ولا مانع هناك من الناحية العقائدية: (تكلم ولم يتكلم، خلق ولم يخلق، رزق ولم يرزق، جبر ولم يجبر، أوحى ولم يوح... إلى غير ذلك من الصفات الفعلية).

أي إن الله عزّ وجل قد تكلم ولم يتكلم، فقد تكلم مع موسى عليه السلام في جبل الطور ولم يتكلم مع فرعون، فموسى كليم الله عزّ وجل، ولكن فرعون ليس كليماً لله عزّ وجل.

- (١) سورة المائدة، الآية: ٦ .  
 (٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥ .  
 (٣) سورة المائدة، الآية: ٤١ .



وخلق الله ولم يخلق، فمثلاً قد خلق في هذه الدنيا بحاراً من ماء ولكنه لم يخلق بحاراً من زئبق.

ورزق ولم يرزق، فهو قد رزق من يعيشون مرفهين، أما من يموتون جوعاً - وللأسف هم كثيرون في هذا الزمن - لم يرزقهم الله عز وجل<sup>(١)</sup>.

جبر ولم يجبر، فإنه سبحانه وتعالى قد جبرنا في الأمور التكوينية، وصفة جبروته عز وجل ﴿العزیز الجبار المتكبر﴾<sup>(٢)</sup> هي من هذا الباب، ولكنه لم يجبرنا في التشريعات بل تركنا أحراراً: ﴿إنا هدينه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾<sup>(٣)</sup>.

أوحى ولم يوح، فقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى أنبيائه ورسله ولكنه لم يوح إلى سائر الناس. وقد نزل جبرائيل عليه السلام بالوحي الإلهي على رسول الله صلى الله عليه وآله مراراً وتكراراً، في حين لم ينزل ولو لمرة واحدة على أيّ منّا نحن الأناس العاديين.

وعلى أي حال، إن الحديث في هذا المبحث طويل وخارج عما نحن فيه، وما نهدف إليه من الاختصار، لذلك سنصرف النظر حالياً عن تلك الأبحاث في هذا الكتاب.

إن العلم والقدرة والحياة وسائر الصفات الثبوتية لا توجد بشكلٍ

---

(١) هذا لا يشمل بالطبع الشعوب التي تنهب خيراتها وتسرق فإن الله عز وجل قد رزقها إلا أن رزقها لم يصل إليها، بل قد يشمل بعض حالات الجفاف التي تصيب بعض المناطق مما يؤدي إلى موت أهلها.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الدهر، الآية: ٣.

مستقلّ في أحدٍ غير الله عزّ وجلّ، فهو العالم فقط بجميع ذرات الخلق، وجميع حقائق الخليقة، وذاته فقط هي العالمة والمحيطه بالماضي والحاضر والمستقبل، وبأوضاع الأرض والسموات وحتى ما كان لملكٍ أو نبيٍّ أو وصيٍّ نبي من معرفةٍ في هذه الأمور فهو حتماً قد تعلّمه منه جلّ وعلا، فكل ما لديهم هو من الله عزّ وجلّ ولم يأتوا به من عند أنفسهم، وليس في هذا العالم إلا تحصيل فيوضات الخالق جلّ وعلا.

إن جميع المخلوقات العادية يستفيدون من النعم الطبيعية التي أعطاهم الله عزّ وجلّ إياها، وكذلك أولئك الذين انتخبهم الحق سبحانه وتعالى وأرسلهم لتربية العالم، فهم يكسبون الفيض منه جلّ وعلا.

وعلى أي حال، العالم والقادر والحيّ والسميع والبصير والفرد والغني بالذات هو فقط الله عزّ وجلّ، فليس لصفاته حدود.

يقول القرآن الكريم في توحيد الصفات: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾<sup>(١)</sup>.

### ٣ - توحيد الأفعال:

إن الله القادر المتعال ليس له شريك في أفعاله وفي خلقه فهو الواحد الأحد بجميع أفعاله وقدراته جلّ وعلا، وليس لأحد حق المداخلة أو القدرة على الاشتراك فيها إلا بإذنه.

فالآباء والأمهات، والأرض والسموات، والغيوم والرياح،

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

والشمس والفلك والنجوم المضيئة، والثوابت والسيارات كلها جزء من أسباب الخلقة، وقد جعلها الله الخالق الحكيم والقادر المتعال تجلياً لخالقته وفق حكمته البالغة، وكل ما رأيناه من ملك أو نبي أو وصي نبي من إحياء أو إماتة أو رزق وغيرها من هذه الأمور فهي بإذنه جلّ وعلا على صورة معجزة خارقة للعادة لإظهار قدرتهم وإثبات حقيقتهم ومقامهم كالأنبياء، وخصوصاً الرسول الأكرم وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين الذين كانوا يحيون الأموات بأمر الله عزّ وجلّ، ويميتون ويشفون المرضى، وفي الواقع كانوا الوسيلة العظمى في الخلق ولا زالوا وسيبقون كذلك.

وعلى هذا فكل أفعال وقدرات الخلق وجميع الأفعال والانفعالات في عالم الوجود كلها من الله عزّ وجلّ، وليس لأحدٍ شركةٍ معه بالاستقلال.

يقول الله تعالى في توحيد الأفعال في قرآنه الكريم: ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ﴾<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - توحيد العبادة:

أي لا تصحّ العبادة إلا لله جلّ وعلا المعبود الحقيقي دون غيره، فلا أحد غير خالق العالم يستحقّ العبادة، والتسبيح، والصلاة، والركوع، والسجود، وكل مظهرٍ من مظاهر العبادة لا تليق إلا بذاته وكبريائه جلّ وعلا فقط.

فسجود الملائكة لآدم، أو توجهنا نحو الكعبة المكرّمة كل ذلك

(١) سورة لقمان، الآية: ١٠.

بأمر الله عزّ وجلّ، وكذلك خضوعنا أو خشوعنا في المشاهد المقدّسة لأهل البيت عليهم السلام هو تقرب إليه عزّ وجلّ، وجذب لرضاه مع أنهم قد خلقهم الله عزّ وجلّ في أعلى درجات الشرف والعزّة، ويستحقون بذاتهم المحبة وكل نوع من أنواع التعظيم والتكريم، ولكن كل ما عندهم هو من منبع الفيض الإلهي.

وخلاصة القول: إن أية عبادة أو طاعة أو أي عمل خير لا يكون قربةً إلى الله وفي سبيل الله، وكان فيه شائبة قليلة أو رياء فإنه ليس فقط غير مقبول عند الله عزّ وجلّ بل هو مردود وسبب للخسران والخذلان. يقول الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم في توحيد العبادة: ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً﴾<sup>(١)</sup>.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.



## وَضَعُ الْعَالَمَ عِنْدَ ظَهْرِ الْإِسْلَامِ

كان جميع أهل الدنيا حتى أرباب الأديان في بداية الظهور النوراني لدين الإسلام المبين، وقبل أن يملأ نبينا المحبوب بدعوته السامية فضاء العالم بالنداء الملكوتي «الله أكبر» و «لا إله إلا الله» و «قل هو الله أحد» كانوا جميعاً في كفر وشرك وضلال، ولم يكن يشاهد في أية نقطة من العالم مظهر للتوحيد.

فالزردشتيون والمجوس كانوا يعبدون «هورمز» و «أهريمن» بدلاً من عبادة الله عزّ وجل وكانوا يعتبرون الإله مركباً من أصلين وهما النور والظلمة أو «يزدان وأهريمن» كما كانوا يعبرون. وكانوا يقسمون الدنيا ومقدّراتها بين هذين القسمين، فكلٌّ منهما يحكم قسماً منها.

واليهود والمسيحيون كانوا يعتقدون بآلهة عديدة، وقد غير رجال دينهم من «الحاخامات» و «القسّيسين» شريعة موسى وعيسى التوحيدية على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، وفق آرائهم الدنيوية وحب الذات، حتى جعلوا لله ولداً كما يشير الله إلى ذلك في القرآن الكريم فيقول: ﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصرى المسيح ابن الله ذلك

قولهم بأفواههم يضلهون قول الذين كفروا من قبل قتلهم الله أنى يؤفكون ﴿١﴾.

كان هذا وضع أهل الكتاب في ذلك اليوم، ومنه يعلم حال المشركين وسائر الجماعات الضالّة، كال يونانيين القائلين بتنوع الأرباب، والهنود والصينيين عبدة الأصنام، وعباد «بوذا» كانوا يخوضون في ظلمات الشرك والضلال دون أن يستقرّوا على حال.

وفي هذه المرحلة المظلمة من التاريخ الإنساني حيث انتشرت عبادة الأصنام وعبادة الذات والطاغوت بدلاً من التوحيد وعبادة الله عزّ وجل، كان أبناء البشر محبوسين في المضائق المظلمة والخطرة التي صنعها رجال الدين الضالّين و«الحاخامات» و«القساوسة» بمساعدة الملوك و«القياصرة» و«الخاقانيين».

وفجأة أشرق شمس الإسلام بأمر الله عزّ وجل من خلف جبال الحجاز، وسطعت كلمة التوحيد من بين شفاه رسول الله صلى الله عليه وآله المباركة، فأضاءت عالم الظلام كله في ذلك اليوم بنور التوحيد وعبادة الله عزّ وجل. وألغت عبادة كل ما سوى الله جلّ وعلا.

وقد شمل فجر التوحيد في ذلك اليوم، العالم المتمدّن كله، من جدار الصين وحتى سواحل المحيط الأطلسي فجعلها تحت أنوار «قل هو الله أحد» مما ألقى خوف الفضيحة على «الحاخامات» و«القساوسة» الظالمين عشاق المال وعبدة الدنيا وعبدة الذات،

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

فوضعوا رؤوسهم تحت طيالستهم، ودخل الخوف على قلوب الأكاسرة والقياصرة القاسية.

لقد بعث رسول الإسلام بالقرآن الكريم الذي هو رسالة الإنسانية ودستور البشرية لنجاتها ولإبلاغ التوحيد ونشر وترويج دين الله عزّ وجل في الأرض. وقد نصّب الله عزّ وجل ورسوله الأكرم صلى الله عليه وآله الأئمة الأطهار - علياً وآل علي عليهم السلام - معلّمين للتوحيد، وحافظين للدين، ومفسّرين للقرآن، ومعرّفين للإسلام، ومُربّين للبشر. فهم الذين حفظوا الإسلام والقرآن من أيدي المتلاعبين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، هذه الأمانة الإلهية العظيمة، وعلموا الناس التوحيد والإسلام والإنسانية، وحفظوا بأرواحهم حدود وثغور عبادة الله عزّ وجل من خطر الشرك والعودة إلى الجاهلية.

وهم الذين تصدّوا لبني أمية وبني العباس الذين جدّدوا نظام الاستبداد والسلطنة بشكل أفجع وأخطر مما كان عليه في الجاهلية. واتخذوا العمامة بدل التاج، وأحيوا في حكمهم سنن البربرية والطغيان، فضحّى أهل البيت عليهم السلام بأنفسهم وأصحابهم وحفظوا بيضة الإسلام إلى يوم القيامة من هذا الخطر الجسيم، وفضحوا خلفاء الشورى والأئمة المصطنعين إلى يوم المحشر.

وهم الذين تغلبوا على المشكّكين والسفسطائيين من الملحدين والمبلّغين لسائر الأديان المنسوخة، بالأدلة القاطعة والمحكمة، وبالْحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة والتي هي أحسن، مظهرين حقيقة الإسلام ومبيّنين للدين الحنيف، فانتصروا على المعاندين والمخالفين.



ولذا يقول الإمام الصادق عليه السلام معلّم التوحيد والقرآن  
الكبير: بنا عُرف الله، وبنا عُبد الله<sup>(١)</sup>، لولانا ما عرف الله، ولولانا ما  
عبد الله.

---

(١) بصائر الدرجات: ٨٤، ح ١٦.

# تفسير الآيات المباركة

## الله الصمد

لقد تم تفسير لفظ الجلالة «الله» ضمن تفسير «البسمة» في اول سورة «الفاتحة» المباركة .

وردت كلمة «الصمد» في القرآن الكريم في مكان واحد فقط، وهو في هذه السورة المباركة، سورة «التوحيد» وهي من أثرى كلمات القرآن الكريم من حيث المحتوى، وقد ذكر أهل اللغة وعلماء التفسير معاني كثيرة لها، نشير إلى بعض منها:

١ - روى عكرمة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ما مضمونه: الصمد هو الذي لا أمر فوق أمره<sup>(١)</sup>. ﴿يد الله فوق أيديهم﴾<sup>(٢)</sup>.

٢ - روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في معنى «الصمد»: إنه الذي يغلب ولا يُغلب<sup>(٣)</sup>.

٣ - روى عن الإمام السجّاد عليه السلام أنه قال: «الصمد» الذي لا شريك له ولا يؤده حفظ شيء (أي لا يعجز عن تدبير وحفظ

(١) معالم التنزيل: ٦٥١/٥.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٣) تفسير الفخر الرازي: ١٨٢/٣٢.

الكائنات) ﴿ لا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾<sup>(١)</sup> ولا يعزب عنه شيء<sup>(٢)</sup>.

٤ - رُوي عن ثامن الأئمة علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال ما معناه: «الصّمد» الوجود المنزّه الذي تعجز عقول جميع الموجودات عن درك كنه ذاته.

٥ - كتب «الملاً حبيب الله الكاشاني» في وجيزته الشريفة في تفسير سورة «التوحيد» نقلاً عن الإمام الصادق عليه السلام أن الصّمد هو الذي عنده منتهى السيادة العظمى ويقصده سكان السماوات والأرض في الحوائج.

٦ - روى داؤد بن القاسم الجعفري عن أبي جعفر الثاني (الإمام الجواد عليه السلام) أنه سأله عن معنى «الصّمد»، فقال: السيّد المصمود إليه في القليل والكثير<sup>(٣)</sup>، أي المقصود إليه.

٧ - قال الإمام الباقر عليه السلام: حدّثني أبي زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عليهم السلام أنه قال: ... «الصّمد» الذي به انتهى سؤدده<sup>(٤)</sup>. أي أن سيادته وعظمته في أعلى درجات الكمال.

٨ - قال الإمام الباقر عليه السلام: «الصّمد» السيّد المطاع الذي ليس فوقه أمر ولا ناه<sup>(٥)</sup>.

٩ - وقال الإمام الباقر عليه السلام: إن محمد ابن الحنفية قال

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) معاني الأخبار: ٧، ح ٣.

(٣) معاني الأخبار: ٦، ح ٢.

(٤) معاني الأخبار: ٧، ح ٣.

(٥) المصدر السابق.

في تفسير الصّمد: «الصّمد» القائم بنفسه والغني عن غيره<sup>(١)</sup>.

١٠ - روى وهب بن وهب القرشي عن زيد بن علي عليه السلام أنه قال: «الصّمد» الذي إذا أراد شيئاً قال: كن فيكون، و«الصّمد» الذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً، وتفرد بالوحدة بلا ضدّ ولا شكل ولا مثل ولا ندّ<sup>(٢)</sup>.

١١ - وروى وهب بن وهب عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: إن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عليهما السلام يسألونه عن «الصّمد» فكتب إليهم: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فلا تخوضوا في القرآن بغير علم، ولا تجادلوا فيه ولا تتكلموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار».

وإن الله سبحانه وتعالى قد فسّر الصّمد فقال: ﴿الله أحد \* الله الصّمد﴾ ثم فسّره فقال: ﴿لم يلد ولم يولد \* ولم يكن له كفواً أحد﴾.

إلى أن كتب: بل هو الله الصّمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء... إلى آخر ما قال عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

١٢ - الدرّ المنثور: أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تفسير البرهان: ٤/٥٢٥، ح ٩.

في كتابه «العظمة» والبيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: «الصّمد» السيّد الذي كمل في سؤده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظّمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفو وليس كمثل شيء<sup>(١)</sup>.

١٣ - قال الحسين بن الفضل البجلي: «الصّمد» هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا معقّب لحكمه ولا رادّ لقضائه<sup>(٢)</sup>.

١٤ - وقال قتادة: «الصّمد» الباقي بعد فناء خلقه<sup>(٣)</sup>. ﴿ كل من عليها فان ﴾ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴿<sup>(٤)</sup>.

١٥ - وقال محمد بن علي الترمذي: «الصّمد» هو الأبدي بلا عدد، والباقي بلا مدد، والقائم بلا عمد.

١٦ - وقال مقاتل بن حيان: «الصّمد» هو الذي لا عيب فيه<sup>(٥)</sup>.

١٧ - وقال ابن كيسان: هو الذي لا يوصف بصفة أحد<sup>(٦)</sup>.

(١) الدر المنثور: ٦٨٨/٨.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ١٨١/٣٢.

(٣) تفسير الفخر الرازي: ١٨٢/٣٢.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٢٦ و ٢٧.

(٥) تفسير الفخر الرازي: ١٨٢/٣٢.

(٦) المصدر نفسه.

«كمال الإخلاص نفي الصفات عنه»<sup>(١)</sup>.

١٨ - وقال سعيد بن الجبير: إنه الكامل في جميع صفاته وفي جميع أفعاله<sup>(٢)</sup>.

١٩ - قال أبو بكر الورّاق: إنه الذي أيس الخلائق من الإطلاع على كيفيته<sup>(٣)</sup>.

٢٠ - قال الربيع بن أنس: هو الذي لا تعتريه الآفات<sup>(٤)</sup>.

٢١ - وقال مرّة الهمداني: إن الصّمّد الذي لا يفنى ولا يبلى.

٢٢ - وقال أبي بن كعب: الذي لا يموت ولا يورث وله ميراث السماوات والأرض<sup>(٥)</sup>.

٢٣ - وقال الحسن البصري: الذي لم يزل ولا يزال ولا يجوز عليه الزوال، كان ولا مكان، ولا أين ولا أوان، ولا عرش ولا كرسي، ولا جنّي ولا إنسيّ، وهو الآن كما كان<sup>(٦)</sup>.

٢٤ - وقال الترمذي: «الصّمّد» الذي لا تدركه الأبصار، ولا تحويه الأفكار، ولا تحيط به الأقطار، وكل شيء عنده بمقدار.

وهناك معانٍ أخرى لكلمة «الصّمّد» المباركة غالباً ما تنسب إلى

(١) نهج البلاغة: ٧٠، الخطبة: ١.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ١٨٢/٣٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

المعصومين عليهم السلام، وهي ما يلي:

- ٢٥ - معاذ جميع العائدين والمحتاجين.
- ٢٦ - الوجود الذي يحتاج إليه الجميع وهو غني عن الجميع.
- ٢٧ - العالم بكل شيء.
- ٢٨ - الحلیم.
- ٢٩ - المصمت وهو ضد الأجوف.
- ٣٠ - الرفیع والعالي الرتبة.
- ٣١ - الذي لا يموت وليس له وارث.
- ٣٢ - الوجود المنزه عن التغيير والتبديل والزيادة والنقصان.
- ٣٣ - الوجود القائم بذاته ولا يحتاج إلى الآخرين.
- ٣٤ - الذي لا يأكل ولا يشرب.
- ٣٥ - الذي ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾<sup>(١)</sup>.
- ٣٦ - الذي لم يزل ولا يزال.
- ٣٧ - الوجود الأسمى من عالم الكون والفساد، أي أعلى من دائرة الإمكان.
- ٣٨ - الذي لا يوصف بالتغاير.
- ٣٩ - الوجود الذي يحتاج إليه الخلق وهو غني بالذات.
- ٤٠ - ما ورد عن الإمام باقر العلوم محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام، وهو آخر معنى لكلمة «الصمد» المباركة ويكون ختام مسك لها:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

«التوحيد»، و «معاني الأخبار» للصدوق، و «بحار الأنوار» للمجلسي عليهما الرحمة، قال وهب بن وهب القرشي: سمعت الصادق عليه السلام يقول: قدم وفدٌ من أهل «فلسطين» على الباقر عليه السلام فسألوه عن مسائل، فأجابهم، ثم سألوه عن الصّمد، فقال: تفسيره فيه، «الصّمد» خمسة أحرف: فالألف دليل على «إنيته» وهو قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾<sup>(١)</sup> وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس.

واللّام دليل على «إلهيته» بأنه هو الله، والألف واللّام مدغمان لا يظهران على اللسان، ولا يقعان في السمع، ويظهران في الكتابة دليلان على أن إلهيته بلطفه خافية لا تدرك بالحواس ولا تقع في لسان واصفٍ ولا أذن سامع، لأن تفسير الإله هو الذي أله الخلق عن درك ماهيته وكيفيته بحسٍّ أو بوهم، لا بل هو مبدع الأوهام وخالق الحواس، وإنما يظهر ذلك عند الكتابة، دليل على أن الله سبحانه أظهر ربوبيته في إبداع الخلق وتركيب أرواحهم اللطيفة في أجسادهم الكثيفة، فإذا نظر عبد إلى نفسه لم يرَ روحه كما أن لام الصّمد لا تتبين ولا تدخل في حاسة من الحواس الخمس، فإذا نظر إلى الكتابة ظهر له ما خفي ولطف، فمتى تفكّر العبد في ماهية الباريء وكيفيته أله فيه وتحير، ولم تحط فكرته بشيء يتصور له، لأنه عزّ وجل خالق الصور، فإذا نظر إلى خلقه ثبت له أنه عزّ وجل خالقهم ومركّب أرواحهم في أجسادهم.

وأما الصاد فدليل على أنه عزّ وجل صادق، وقوله صدق،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.



.. وكلامه صدق، ودعا عباده إلى اتباع الصدق بالصدق، ووعده بالصدق  
دار الصدق.

وأما الميم فدلّيل على ملكه وأنه الملك الحق، لم يزل ولا يزال  
ولا يزول ملكه.

وأما الدال فدلّيل على دوام ملكه وأنه عزّ وجل دائم تعالى عن  
الكون والزوال، بل هو عزّ وجل يكوّن الكائنات، الذي كان بتكوينه  
كل كائن.

ثم قال عليه السلام: لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عزّ وجل  
حملة، لنشرت التوحيد والإسلام، والإيمان والدين والشرائع، من  
الصّمد، وكيف لي بذلك ولم يجد جدّي أمير المؤمنين عليه السلام  
حملةً لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء ويقول على المنبر: «سلوني قبل  
أن تفقدوني، فإن بين الجوانح مني علماً جماً، هاه، هاه، ألا أجد من  
يحمّله، ألا وإني عليكم من الله الحجة البالغة، فلا تتولوا قوماً غضب  
الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور» ثم  
قال الباقر عليه السلام: الحمد لله الذي منّ علينا ووفّقنا لعبادته<sup>(١)</sup>.

أقول: إن المعاني الأربعة التي ذكرناها لكلمة «الصّمد»  
المباركة هي غالباً عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام، أو تلامذتهم  
الأجلاء. وبعض هذه التفاسير من الآخرين، وهي أيضاً ترشّحات  
علومهم سلام الله عليهم.

---

(١) التوحيد: ٩٢، ح ٦. ومعاني الأخبار: ٧، ح ٣. وبحار الأنوار: ٣/٢٢٤،  
ح ١٥.

وجميع تلك الأقوال هي تقريباً على مستوى واحد، ويؤيد بعضها البعض الآخر ويشرحه، وقد ذكرنا هذه المعاني الأربعين لكلمة «الصّمد» لأهميتها وسعة معناها - كما ورد في ذيل الرواية المنقولة عن الإمام الباقر عليه السلام في المعنى الأربعين - فهذه المعاني الأربعين تعطي المعنى الواقعي للتوحيد ومن الله التوفيق.



# تفسير آية المبدأ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ

علي بن إبراهيم: روى بإسناده عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال في تفسيره لسورة «التوحيد» المباركة بخصوص قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾: لم يلد منه عَزِيزٌ كما قالت اليهود عليهم لعائن الله وسخطه، ولا المسيح كما قالت النصارى عليهم سخط الله، ولا الشمس والقمر ولا النجوم كما قالت المجوس عليهم لعائن الله وسخطه، ولا الملائكة كما قالت كفار قريش لعنهم الله. ولم يولد لم يسكن الأضلاب، ولم تضمه الأرحام لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان<sup>(١)</sup>.

نهج البلاغة: روى نوف البكالي، عن أمير المؤمنين عليه السلام في «الكوفة» فقال: خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين علي عليه السلام بالكوفة وهو قائم على حجارة.

وهذه الخطبة مفصلة جداً وهي كسائر خطبه وبياناته في منتهى الفصاحة والبلاغة، وقد ورد فيها ما يتعلق بالآية مورد البحث حيث

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ٤٩٩/٢.

يقول: لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركاً، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً<sup>(١)</sup>.

بحار الأنوار: روي بالإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه أن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عليهما السلام يسألونه عن الصّمَد.

فقال ضمن تفسيره لكلمة «الصّمَد» - كما مرّ تفصيلاً ذلك في تفسيره «الصّمَد» -: ﴿لم يلد ولم يولد\* ولم يكن له كفواً أحد﴾.

ثم قال في تفسير «لم يلد»: لم يخرج منه شيء كثيف كالولد، وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنفس، ولا يتشعب البداوات كالسنة والنوم، والخطرة والهَم والحزن والبهجة والضحك، والبكاء والخوف، والرجاء، والرغبة والسامة، والجوع والشبع، تعالى أن يخرج منه شيء وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف<sup>(٢)</sup>.

نخلص من حديث سيّد الشهداء عليه السلام إلى أن معنى «لم يلد» ليس فقط نفي وجود الولد له تعالى، بل هناك معنى أوسع وأدق منه، وخلاصته أن وجوده جلّ وعلا منزّه عن أن تكون أفعال وصفات وحالات المخلوقات خارجة منه، وهذا نفسه دليل قاطع ومحكم في ردّ القائلين بـ «وحدة الوجود»، أو «وحدة الوجود» فإنهم يعتقدون أن جميع الكائنات موجودة في ذات الحقّ جلّ وعلا، ثم تخرج منها إلى العالم الخارجي وبعد ذلك تعود إليها، تعالى الله عن ذلك.

(١) نهج البلاغة: ٣٩٢، الخطبة ١٨٢.

(٢) بحار الأنوار: ٣/٢٢٤، ح ١٤.

ويستدلون بهذه الآية المباركة وبعض الآيات المتشابهة الأخرى لإثبات ادّعائهم ويقولون: إن الله عزّ وجل قال في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وهي تعني أننا نخرج من الذات الإلهية ونعود إليها، وهذا عين التفسير بالرأي وأساس الضلال. بل التفسير الصحيح للآية أعلاه - كما ذكر «السيد الشريف الرضي» في كتابه «الخصائص»: قال علي عليه السلام وقد سمع رجلاً يقول: ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: يا هذا! إن قولنا: «إِنَّا لِلّٰهِ» إقرارٌ منا بالملك. وقولنا: «وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» إقرار بالهلك... إلى آخره<sup>(٢)</sup>.

تفسير الكشاف: يقول الزمخشري في تفسير الآية المباركة ﴿لم يلد ولم يولد﴾: «لم يلد» لأنه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا. وقد دل على هذا المعنى بقوله: ﴿أَنْتَىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾<sup>(٣)</sup>.

«ولم يولد» لأن كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا أول لوجوده وليس بجسم<sup>(٤)</sup>.

أنوار التنزيل: يقول البيضاوي بهذا الخصوص: «لم يلد» لأنه لم

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٢) خصائص أمير المؤمنين: ٧٨.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠١.

(٤) تفسير الكشاف: ٢٩٨/٤.

يجانس ولم يفتقر إلى ما يعينه أو يخلف عنه، لامتناع الحاجة والفناء عليه<sup>(١)</sup>

التفسير الكبير: يقول «الفخر الرازي» في تفسير هذه الآية المباركة:

١ - لِمَ قَدَّمَ قَوْلَهُ «لَمْ يَلِدْ» عَلَى قَوْلِهِ «وَلَمْ يُولَدْ» مَعَ أَنَّ فِي الشَّاهِدِ يَكُونُ مَوْلُوداً أَوَّلًا ثُمَّ يَكُونُ وَالِدًا؟

والجواب: إنما وقعت البداءة بأنه لم يلد لأنهم ادّعوا أن له ولداً، وذلك لأن مشركي العرب قالوا: (الملائكة بنات الله).

وقالت اليهود: (عزير ابن الله)، وقالت النصارى: (المسيح ابن الله). ولم يدّع أحدٌ أن له والداً، فلهذا السبب بدأ بالأهم فقال: «لم يلد» ثم أشار إلى الحجة فقال: «ولم يولد».

٢ - لماذا اقتصر على ذكر الماضي فقال: «لم يلد» ولم يقل: لن يلد؟

الجواب: إنما اقتصر على ذلك لأنه ورد جواباً عن قولهم ولد الله، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَا أَنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لِيَقُولُونَ وُلِدَ اللَّهُ﴾ فلما كان المقصود من هذه الآية تكذيب قولهم، وهم إنما قالوا ذلك في الماضي، لا جرم وردت الآية على وفق قولهم<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير البضاوي: ٤/٤٦٤.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ٣٢/١٨٣.

# تفسير آية المباركة وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ

«الكفو» أو «الكفوء» بمعنى المثل والنظير، وقد قرأ هذه الآية المباركة بعض القراء بهذا الشكل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ﴾ وعلى أي تقدير فإن معنى الآية المباركة أنه لم يكن له مثل ولا يكون.

وذكر «حبيب الله الكاشاني» في تفسير هذه الآية المباركة، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ﴾ أي ليس له شبه ولا مثل ولا عدل ولا يكافئه أحدٌ من خلقه بما أنعم عليه من فضله.

إن هذه الآية المباركة هي نتيجة للآيات السابقة وبهذا التفصيل: إن الوجود المقدس الأحد الغني عن العالمين ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ هو حقيقة واحدة فقط وهي الذات الإلهية المقدسة التي لا يكون لها كفو وشبيه ومماثل.

## تفسير عرفاني

يقول الخواجة «عبد الله الأنصاري» في تفسيره في ذيل تفسير



هذه الآية المباركة أن كل آية من آيات هذه السورة هي تفسير للآية التي سبقتها وذلك:

يقولون: من هو؟ قل: هو الله أحد.

يقولون: من الأحد؟ قل: الصّمد.

يقولون: من الصّمد؟ قل: الذي لم يلد ولم يولد.

يقولون: من الذي لم يلد ولم يولد؟ قل الذي لم يكن له كفواً

أحد.

وفي نهاية تفسير سورة «التوحيد» المباركة أحببت أن أختتم هذا البحث بما منّه الله عليّ بلطفه العميم بكتابته بكلمات لإمام الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في التوحيد:

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه:

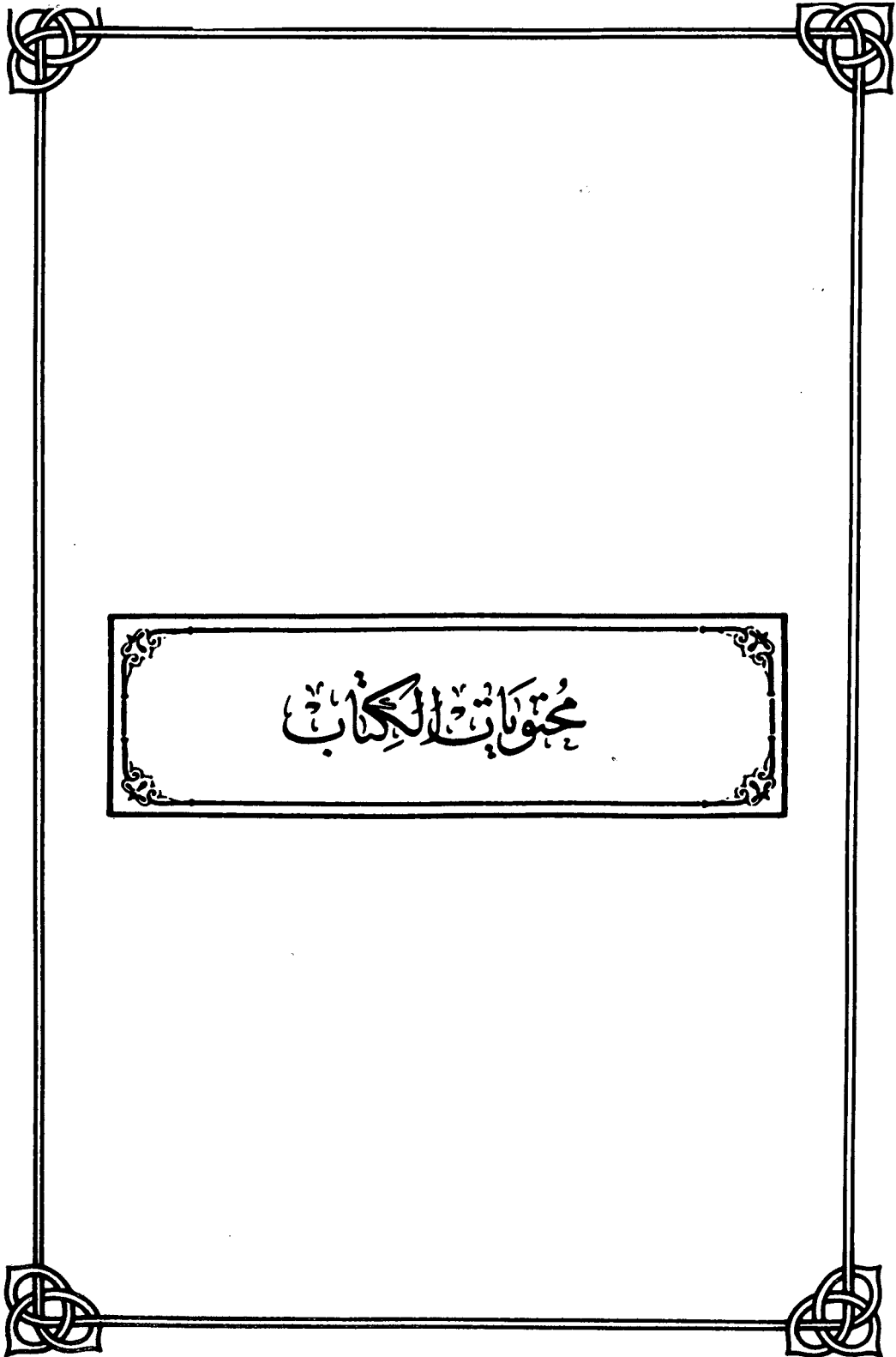
ما وحده من كيّفه، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا إياه عنى من شبّهه، ولا صمده من أشار إليه وتوهمه... إلى أن قال عليه السلام: لم يلد فيكون مولوداً، ولم يولد فيصير محدوداً، جلّ عن اتّخاذ الأبناء وطهر عن ملامسة النساء، لا تناله الأوهام فتقدّره، ولا تتوهمه الفطن فتصوّره، ولا تدركه الحواس فتحسّه، ولا تلمسه الأيدي فتمسّه، ولا يتغيّر بحال، ولا يتبدّل في الأحوال، ولا تبليه الليالي والأيام، ولا يغيّره الضياء والظلام.. إلى أن قال عليه السلام: ولا كفؤ له فيكافيه، ولا نظير له فيساويه<sup>(١)</sup>.

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٦.

والحمد لله على إتمامه وصلى الله على محمد وأهل بيته الطيبين  
الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين، والسلام علينا وعليكم  
وعلى عباد الله الصالحين.

خادمُ الشريعة الفراء  
ميرزا عبد الرسول الحائري رامقاني  
ميرزا عبد الرسول الحائري





مَجْمُوعَاتُ كِتَابِ



## مُتَوَاتِرَاتُ الْكُتُبِ

- الإهداء ..... ١١
- تقديم: سماحة الامام المصلح الحاج ميرزا حسن الحائري
- الإحقاقي ..... ١٣
- تقريظ: سماحة الامام الشيخ محمد مهدي شمس الدين ... ١٥
- مقدمة المؤلف ..... ٢١
- تفسير الثقلين ..... ٣٤
- شرح حديث الثقلين** ..... ٣٧
- متن ومصادر حديث «الثقلين» ..... ٤١
- معنى كلمة «الثقلين» ..... ٤٦
- المراد من العترة وأهل البيت «ع» ..... ٤٨
- تحقيق واستنباط في حديث «الثقلين» ..... ٥٨
- القرآن وأهل البيت عدلان ..... ٥٨
- الوجود التدويني والوجود التكويني ..... ٦١
- الخلافة ..... ٦٧
- الطهارة ..... ٧٥
- الشرف ..... ٧٦
- سماوية القرآن ..... ٧٨
- العلم ..... ٨٠
- الإعجاز ..... ٨٢

٨٤	.....	- الأبدية
٨٤	.....	- الشفاء
٨٦	.....	- العصمة
٨٧	.....	- وجوب الطاعة
٩٠	.....	- الفاروق
٩٠	.....	- كلمات الله
٩٢	.....	- الهيمنة
٩٤	.....	- الجذب المعنوي

## ١٠٩ ..... **تفسير سورة الفاتحة المباركة**

١١٣	.....	- أسماء سورة ﴿الفاتحة﴾ المباركة
١١٩	..	- محل نزول وعدد كلمات وحروف سورة ﴿الفاتحة﴾
١١٩	.....	- فضيلة سورة ﴿الفاتحة﴾
١٢٧	.....	● تفسير «الاستعاذة»
١٣٩	..	● تفسير وفضيلة الآية المباركة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
١٣٩	.....	● ﴿باء: بسم الله﴾
١٤٧	.....	● ال ﴿إسم﴾
١٤٨	.....	● ﴿الله﴾
١٥١	.....	● ﴿الرحمن الرحيم﴾
١٥٩	.....	● تفسير الآية المباركة ﴿الحمد لله رب العالمين﴾
١٦٢	.....	- كلمة حول علم الأعداد والحروف
١٦٣	.....	- مثلث الكيان ومربع الكيفية
١٧١	.....	● تفسير الآية المباركة ﴿الرحمن الرحيم﴾

- تفسير الآية المباركة ﴿مالك يوم الدين﴾ ..... ١٧٥
- تفسير الآية المباركة ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ..... ١٨٣
- تحقيق في معنى العبودية ..... ١٨٩
- بحث حول الجبر والاختيار ..... ١٩٥
- تفسير الآية المباركة ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ ..... ١٩٩
- بحث عرفاني عن الصراط المستقيم ..... ٢١١
- تفسير الآية المباركة ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ ..... ٢١٣
- تفسير الآية المباركة ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ ..... ٢٢١
- تفسير سورة الإخلاص المباركة** ..... ٢٣٧
- أسماء سورة ﴿الإخلاص﴾ المباركة ..... ٢٤١
- محل نزول وعدد كلمات وحروف سورة ﴿الإخلاص﴾  
المباركة ..... ٢٥٥
- شأن نزول سورة ﴿الإخلاص﴾ المباركة ..... ٢٥٥
- فضيلة سورة ﴿الإخلاص﴾ المباركة ..... ٢٥٩
- غفران الذنوب عند الموت ..... ٢٥٩
- حضور الملائكة عند التشييع والدفن ..... ٢٦١
- الأمان من عذاب القبر ..... ٢٦٢
- النجاة من الفقر ..... ٢٦٢
- الأمن من الحاكم الجبار ..... ٢٦٣
- المساواة مع ختم القرآن ..... ٢٦٤
- الإنتساب إلى الرب جل وعلا ..... ٢٧١
- الغفران للأمم ..... ٢٧٤



- ٢٧٤ ..... الأمان من أخطار الأسفار -
- ٢٧٥ ..... المساواة مع جميع الكتب السماوية -
- ٢٧٥ ..... تسكين ألم العين -
- ٢٨٠ ..... الحفظ من الذنب -
- ٢٨٠ ..... العصمة من وساوس الشيطان -
- ٢٨٢ ..... الإسم الأعظم -
- ٢٨٣ ..... ● تفسير مفردات الآية المباركة ﴿قل هو الله احد﴾
- ٢٨٣ ..... ● تفسير كلمة ﴿قل﴾
- ٢٨٦ ..... ● تفسير كلمة ﴿هو﴾
- ٢٨٩ ..... - نكات لطيفة
- ٢٩٢ ..... - بدائع من كلمة ﴿هو﴾
- ٢٩٥ ..... - لطيفة عرفانية
- ٢٩٧ ..... ● تفسير كلمة ﴿أحد﴾ المباركة
- ٣٠١ ..... - توحيد الذات
- ٣٠١ ..... - توحيد الصفات: الصفات الذاتية والفعلية
- ٣٠٥ ..... - توحيد الأفعال
- ٣٠٦ ..... - توحيد العبادة
- ٣٠٩ ..... - وضع العالم عند ظهور الإسلام
- ٣١٣ ..... ● تفسير الآية المباركة ﴿الله الصمد﴾
- ٣٢٣ ..... ● تفسير الآية المباركة ﴿لم يلد ولم يولد﴾
- ٣٢٧ ..... ● تفسير الآية المباركة ﴿ولم يكن له كفواً احد﴾
- ٣٢٧ ..... - تفسير عرفاني

